وهمية الشبهات الوهمية

حول الكتاب المقدس

والرد على كتاب الدكتور القس منيس عبد النور

تأليف

أ. د/ سامى نجيب محمد

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

دار الروضة

للطبع والنشر والتوزيع



رقم الإيداع بدار الكتب
١٥٧٣ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى I.S.B.N
978-977-458-009-3

دار الروضة ـ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٢٥٩١٣٤٢٤ ـ ٢٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٢٥٩٢٧٣٦٤


المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد الله والمنةّ والشكر له . له الحكم وإليه ترجع الأمور، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فلا ملجأ من الله إلا إليه .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخاتم الرسل إلى أهل الأرض . وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله .

اللهم أنني عبدك وابن عبدك، ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما إستطعت، وأشهد أن دينك الحق وأن رسولك حق، والجنة حق، والنار حق، والملائكة حق . لا أملك من أمرى شيئاً سوى التوحيد لك والسجود لك أملاً فى غفرانك .

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

كتابى هذا أرد به على ما كتبه الدكتور منيس عبد النور والذى أصدره تحت عنون: {الشبهات الوهمية للكتاب المقدس} وأهم ما إسترعى إنتباهى هى المناظرة التى وضعها الدكتور هى المناظرة التى يقوم بها بينه وبين المجهول والمقصود رفع الشبهة عن الكتاب المقدس ورفع الحرج عما جاء فيه من إختلاف وتناقض، قد أجمع عليه الأولين والآخرين حتى من المسلمين والعلماء النصارى . فرأيت أن أبين للدكتور منيس وهو قطب من أقطاب الكنيسة الإنجيلية، وصاحبة التنصير الأول بمصر والعالم العربى والأفريقى ولعل من يقرأ الكتاب يدرك الغث من السمين والحق من الباطل؛ لذا كان علىّ أن أبادر بالرد على كتاب الدكتور منيس بإضافة كلمة واحدة على عنوانه {وهمية الشبهات الوهمية حول الكتاب المقدس} .

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المؤلف


الفصل الأول

الفصل الأول

الدكتور القس منيس عبد النور أحد أعمدة الفكر المسيحى فى مصر رغم إنتمائه إلى الكنيسة الإنجيلية، وهى الكنيسة التى لها النشاط التنصيرى فى مصر والعالم . وأنا عن شخصى أحترم فكر الرجل دون الإتفاق معه، وأحترم رؤيته دون الموافقة عليها، ولكلٍ له توجهاته ولكل له ملة ودين ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] .

ولقد شاءت الأقدار أن أقرأ كتابه الذى أصدرته كنيسته {شبهات وهمية حول الكتاب المقدس} . وفيه تخيل أو خُيِّل له أنه ملك ناصية الحقيقة، فأخذ يرد بإسهاب ونسى أو تناسى أن الحقيقة أدركها الباحثون والعلماء النصارى قبل المسلمين منذ قرون عديدة . فأغمض عينه بادئ ذى بدء عن صحة الكتاب المقدس، ككتاب مقدس، وبدء بشرح تناقضات المتن بداخل هذا الكتاب دون النظر هل هذه الكتب حقيقية أم لا . إلا أننى أقول أنه من حق القس منيس عبد النور أن يدافع عن دينه وأن يدافع عن كنيسته الإنجيلية، وهى بعض الكنائس الغربية التى خرجت عن الكنيسة الأم بروما، ولها الملّة الخاصة بها والتى تختلف عن الملل الأخرى، والتى تثُبت بما لا يدع مجالاً للشك أن إختلاف الملل بإختلاف العقائد ليثبت بديهياً بما قد يدّعونه بوحى الكتب المقدسة، وبإعتراف القس منيس عبد النور بأن هناك هجومات نشأت بين بعض علماء الكتاب المقدس، المنحرفين عن الحق كقوله فى أوائل القرن التاسع عشر . رغم أن هذا النقض كان فى بداية القرون الأولى من ميلاد السيد المسيح، كما أتعجب بإتهام منيس بانحراف هؤلاء العلماء وهم أقرب منه للعهود القديمة . وتنكر الدكتور منيس مما قاله {ول ديورانت} فى موسوعته قصة الحضارة، وتنكر {لشارل جنيبر} فى كتابه نشأة المسيحية وتطورها، بل تنكر للموسوعة الأمريكية والفرنسية والبريطانية . وتنكر لحركة أريوس فى بدايات القرن الرابع وقبل تحديد الكتب القانونية الأربعة فى مجمع نيقية ٣٢٥م . وأقول الكتب القانونية وليست كتب الوحى المقدس . والفرق كبير، لأن القس منيس يعلم تماماً كيف تم إختيار هذه الكتب الأربعة من بين مئات الكتب لتكون كتباً مقدسة أوحى إليها من قبل الله ﷻ . وليتذكر القس منيس عبد النور، أنه بعد مجمع نيقية ٣٢٥م وإصداره قانون الإيمان النيقى، عقد بعد عدة مجامع متتالية تضيف وتحذف

ما يحلو لها ثم يعلن الأمر بيسر وسهولة أن كل هذا إنما هو مقدس وبوحى من الله! .

المسألة ليست مسألة طرح ما يكتب على أنه الحقيقة المطلقة وكما تفعل الملل المسيحية بأنها أيضاً على الحق، ويأتي الملل على باطل . وكما فعلت الكنيسة الكاثوليكية فيما مضى من منع الشعب من تفسير الكتب المقدسة وجعلها قاصرة على آباء الكنيسة والقساوسة فقط . إن المسألة برمتها لابد أن تخضع للمنهج العلمى والتقييم الفكرى الناضج، والرؤية التى لا تتعارض مع العقل والفكر السليم . وليس معنى هذا أن رأيى على صواب وأراء الآخرين خطأ، بل علينا أن نطرح على القارئ الأراء المختلفة والمدعمة بالدلائل، وندع القارئ يميز بين الغث والسمين .

لقد رأيت فى الرد على كتاب الدكتور منيس عبد النور {شبهات وهمية حول الكتاب المقدس} ما يفند الأراء التى طرحت فى هذا الكتاب ويحوّل الشبهات إلى حقيقة دامغة لا تقبل الجدل أو طرحها على نظريات فلسفية سئمنا من تكرار طرحها، ليس طعناً فى الدين ولكن إظهاراً لنقد العلمي بعيداً عن ما تعود عليه البعض من إظهار كثير من الكتب التى تطعن فى الإسلام والقرآن والرسول ﷺ بلغة غير إخلاقية لم يدع بها أى دين سماوى أو غير سماوى فالخلق الكريم يكون دائماً هو سبيل الحوار العلمى .

إن دراستنا هذه لن نتطرق فيها لمحاولة الدكتور منيس أن يطرح فى ردوده على الشبهات فى أنه ترك الأساس وتصدى لواقع فرعى غير ذى قيمة، ألا وهو الردود على التناقضات بين أسفار التوراة أو الإيضاحات، أو التناقض بين أصحاحات الأناجيل وبعضها . ولذلك فنحن سوف نتناول أساس التوراة وأساس العهد الجديد والحقيقة فى كونها كتباً مقدسة، أو أنهم البسوها الثياب المقدسة . فإن أثبتنا أو خلعنا هذه الثياب الوهمية . إنهدمت كل الردود التى أوردها الدكتور منيس فى كتابه دعماً لنظرية {ما بنى على باطل . فهو باطل} .

إن مشكلة علماء النصارى أنهم يصرّون على وضع التفسير لكتبهم دائماً على أساس الرمز الذى تغلفه الفلسفة والتى قد تختلف من عالِم إلى آخر وكل له مدرسته وفكره الفلسفى والذى قد يختلف من عالم إلى آخر ومن ملّة إلى أخرى، وأنا أقول إن الله ﷻ الذى أراد من عبيده أن يعبدوه حق عبادته وأن يعلموا تشريعاته وشريعته بالتأكيد لا

يبعث برسله أو أديانه تعتمد على الرمز والغموض فى تفسيراتها. أو أن ليدع الناس يفسروا دينهم على مبدأ ربما تغلّفه الأهواء والفلسفات التى من الأكيد يتخبط فيها البشر من التفسيرات المجازية أو الإجتهادية .

إن الله بعث برسله جميعاً لتوضيح التوحيد وشعائر عبادته ببيان واضح يفهمه العالِم والأمى دون ألغاز أو غموض .


شبهات الكتاب
المقدس بين
الحقيقة والواقع

شبهات الكتاب المقدس بين الحقيقة والواقع

بادئ ذى بدء، هو إيمان علماء النصارى وبعض علماء اليهود إيماناً يقينياً راسخاً، أن التوراة والأناجيل وأسفارها هى كتب مقدسة موحى بها من قبل الله، وأن الله وعد بحفظهما من التحريف والتبديل، مع ملاحظة أن الإجتهاد دائماً لابد أن يعتمد على الدلائل والمواثيق، لأن الإجتهاد فى الرأى لابد أن يولّد اختلافاً فى الرأى، فمن اليسير أن أجتهد، ويجتهد غيرى وغيرى، والذى يحكم الإجتهاد فى النهاية هو الدليل على هذا الإجتهاد لذلك فالقاعدة الإسلامية المعروفه {لا اجتهاد مع نص} هى خير دليل على أن أى إجتهاد لابد أن يدعّمه نص بذلك يصل أى مجتهد للإقناع التام للرأى . أما إذا اجتهد العالم دون نص يؤيده أو أن يكون النص فى غير محل القياس عليه، فذلك كمن يركب سفينه ليبحر بها فى الصحراء .

لذلك يقول الدكتور منيس فى بداية كتابه أن الله أوحى بالتوراة والإنجيل ووعد بحفظهما من التحريف والتبديل، وهو دائماً يصدق وعده . وهى عبارة إجتهادية لم يأت الدكتور منيس بنص يصدق قوله ولا يوجد نص يقول أن الله وعد بحفظ التوراة والانجيل من التبديل أو التحريف، مثل ما وعده الله فى نص آية: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، نص صريح بحفظ القرآن لا تشوبه شائبة .

ثانياً: مسألة الوحى

يدعى الدكتور منيس أن الله أوحى بالتوراة والإنجيل! بالرغم من أننا جميعاً نعلم وأنه من المسلم به أن الله ﷻ إذا أوحى برسالة أو دين، فإن الوحى يكون لصاحب الرسالة نفسها فلا يوحى لأحد غيره .

والرسالة اليهودية أبلغت لموسى عن طريق الله نفسه وهذا موثق فى الديانات بما فيها الديانة اليهودية نفسها ولأنه نبى لبنى إسرائيل وما جاءت به التوراة من الأحاديث بين الله وموسى، وقال الرب لموسى، وقال موسى للرب . والغالب فى هذا أن موسى كان يبلغ بنى إسرائيل هذه الأوامر الإلهية شفهياً .

ولقد أثبتنا فيما سبق أن موسى لم يكتب أى شئ نهائياً بل تلقى الديانه والشريعة

والشعيرة اليهودية إما عن طريق الألواح أو شفاهة وذلك للثلاثة أدلة التى أوردناها سابقاً

فإذا أخذنا قضية توراة موسى أو حتى إنجيل عيسى بتحليل متأن سوف نكتشف حقائق لم يتطرق إليها باحث لأنها تتناول زاوية تختلف عما تناوله الآخرين .

والسؤال هنا . هل كتب موسى التوراة التى بين أيدينا، والجواب على ذلك أن موسى لم يكتب أى شيئ حتى الأسفار الخمسة، لأن الشريعة وكما أوضحنا كان موسى يتلقاها من الله شفهياً وكان موسى يتلوها على بنى إسرائيل أيضاً شفهياً سواء كانت طقوس عبادية أو أوامر . وأن الشيئ الوحيد المكتوب كان هما اللوحين التى كتبها الله ﷻ لموسى، لأن الله لو أراد أن يملى على موسى ليكتب لفعل ذلك . فكان اللوحان هما أساس الديانة اليهودية وكما يقول الله ﷻ فى سورة الأعراف: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] .

ولعلنا نلاحظ أن القرآن الكريم أورد كلمة {الواح} رغم أن التوراة حددت عدد الألواح بلوحين فقط . وسوف نسرد قصة اللوحين كما جاءت فى التوراة .

تقول التوراة: أنه فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر ـ علينا أن نلاحظ الفترة الزمنية والمحددة بثلاثة شهور فقط ـ ثم تستطرد التوراة القول: وأما موسى فصعد إلى الله . فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل ـ نلاحظ هنا كلمتى {تقول}، {تخبر} مما يفيد بأنها أقوال شفهية مطلوب من موسى أن ينقلها لبنى إسرائيل . ثم ينتهى هذا الحوار لما فعله موسى نتيجة لذلك، تقول التوراة فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التى أوصاه بها الرب ـ ولم تقل التى كتبها له الرب أو كتبها موسى ـ وكان رد بنى إسرائيل: كل ما تكلم به الرب نفعل .

ثم تستطرد التوراة فى قصة موعد الله مع موسى فى الجبل، وبدء شرح الرب لموسى الشريعة اليهودية بداية من الوصايا العشرة وبداية من الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج حتى الإصحاح ٣٢ من نفس سفر الخروج . أى أن الشريعة اليهودية أوصى بها الرب لموسى فى {١٢} إصحاح وضع فيها الله ﷻ الشريعة اليهودية والتى تقع ما بين صفحة {٨٨} وحتى صفحة {١٠٤} من سفر الخروج . وإلى أن نصل إلى نهاية

الإصحاح ٣٢ وفى العدد ١٥ وهو ما يهمنا فى هذه الدراسة وحيث تقول التوراة: فإنصرف موسى ونزل من الجبل {ولوحا} الشهادة فى يده . لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحين هما صنعة الله . والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين . فنجد التوراة قد حددت عدد الألواح بلوحين فى الوقت الذى لم يحدد القرآن عدد الألواح .

١} ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥]

٢} ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الأعراف:١٥٠] .

٣} ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤] .

وعلى ذلك فإن التحديد فى القرآن لم يقل بلوحين وكلمة {ألواح} . تعبر عن أكثر من هذا مثل القول: ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣]، وأقل عدد هو ثلاثة ألواح لتأخذ صيغة الجمع لأنهم لو كانا لوحين لذكر فى القرآن ثنائية العدد وكما ذكر مفرد العدد فى قوله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢] .

فلماذا إذن ذكر القرآن الجمع وليس {اللوحين} لأن الحقيقة التى ذكرها القرآن أن الله ﷻ كتب فيها شريعة بنى إسرائيل وهى التوراة الإلهية وليست توراة كتبها أحبار اليهود الأوائل وأضافوا فيها ما أضافوا، وحذفوا منها ما حذفوا ثم نسبوها إلى موسى ﷺ، لذلك فإن التجديد بلوحين وكما جاء حسب زعم اليهود فى التوراة أنها كتبت فيها الوصايا العشرة فقط فى حين أننا لو تتبعنا قصة اللوحين لوجدنا الآتى:

١} بدءت التوراة فى صفحة ٨٨ والإصحاح ٢٠ بكلام الله لموسى وتوصيته ألا يكون له آلهة أخرى وأن يصنع إحساناً من محبى وحافظى وصايا الرب ـ ملاحظ كلمة وحافظى ـ وكذلك تقديس يوم السبت ـ وأن يكرم أباه وأمه وألا يقتل ولا يزنى ولا يسرق وألا يشهد على قريبه شهادة زور، وألا يشته امرأة قريبه . من هذه الوصايا ادعت بنى إسرائيل أنها الوصايا العشرة التى كتبها الله على اللوحين، وعلى كل لوح كتب على الوجهين . ثم نرى التوراة تستطرد بعد نهاية هذه الوصايا التى أوصاها الله لموسى والتى تنتهى بالعدد ٢١ من

الإصحاح ٢٠، ليبدأ العدد ٢١ من نفس الإصحاح والذى يبدأ: فقال الرب لموسى: فماذا قال الرب لموسى؟ بداية شرح الشريعة اليهودية من الطقوس العبادية حتى أنه فى الإصحاح ٢١ يقول الله لموسى: {وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم، وليبدأ تسلسل الشريعة بداية من الإصحاح ٢١ والذى يتضمن العناوين كما ننقلها:

١} العبيد العبرانيون .
٢} الضرر بالأشخاص .
٣} حماية الأملاك .
٤} المسئولية الإجتماعية .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٣ والذى يتضمن عناوين:

١} أحكام العدل والرحمة .
٢} فرائض السبت والأعياد السنوية الثلاث .
٣} تأكيد العهد .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٤ والذى يتضمن عناوين:

١} التقدمات لخيمة الإجتماع .
٢} تابوت العهد .
٣} غطاء التابوت .
٤} مائدة خبز الوجوه .
٥} المنارة .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٥ والذى يتضمن عناوين:

١} خيمة الإجتماع .
٢} الحجاب .
٣} السجف .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٦ والذى يتضمن عناوين:

١} مذبح المحرقة .

٢} الدار الخارجية .
٣} زيت المنارة .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٨ والذى يتضمن عناوين:

١} ثياب كهنوتية .
٢} الرداء .
٣} الصدرة .
٤} جبة الرداء .
٥} صفيحة الذهب والقميص والعمامة .
٦} أقمصة ومناطق وقلانس وسراويل .

ثم يبدأ الإصحاح ٢٩ والذى يتضمن عناوين:

١} تكريس الكهنة .

ثم يبدأ الإصحاح ٣٠ والذى يتضمن عناوين:

١} مذبح البخور .
٢} مرحضة الإغتسال .
٣} زيت المسحة .
٤} البخور .

ويبدأ الإصحاح ٣١ والذى يتضمن:

١} بصليئل وأهولياب {بصليئل من سبط يهوذا، وأهولياب من سبط دان} .
٢} السبت .

وإلى هنا تم وضع الشريعة لكل ما يتعلق ببنى إسرائيل من طقوس وعبادة وحتى الملابس وتقديس السبت والبخور وحتى الإغتسال والتطهر، وأيضاً رسم الكهانة .. إلخ . فماذا حدث بعد ذلك؟ .

يبدأ الإصحاح ٣٢ بقصة تأخر موسى فى تلقى الشريعة من الله فى الجبل فما كان

من بنى إسرائيل إلا أن صنعوا عجلاً من الذهب .. الخ من بقية القصة المعروفة، والتى أخبره بها الله وهو فى الجبل ما فعله بنى إسرائيل من صنع هذا العجل ويشرح الإصحاح {٣٢} هذه القصة من العدد {١} حتى نهاية العدد {١٤} . ثم يبدأ العدد {١٥} فيقول: فإنصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده: لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا وهنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين .

من كل ما سبق نجد أن اللوحين أو الألواح قد كتبت فيها الشريعة اليهودية كاملة، وليست كما يزعم اليهود أن اللوحين كتبا فيهما الوصايا العشرة فقط، ويؤكد الله ﷻ هذا فى القرآن ليفند مزاعم اليهود والتى أرادت بعد موسى أن تخترع ما تشاء من الشرع وكما يقول موسى لشعب إسرائيل قبيل وفاته .

وفى سفر التثنية الإصحاح {٣١} العدد {٢٦} : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم . ليكون هناك شاهداً عليكم . لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم . قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحرى بعد موتى .. لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى آية بسيطة جمعت كل ما سبق فى قوله ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] .

ويُطرح السؤال نفسه تلقائياً: هل بعد كل هذا يتبجح أحد ويدّعى أن موسى هو كاتب التوراة؟ . التى بين أيدينا الآن؟

ثم نذهب للأدلة المادية التى تؤكد أيضاً أن موسى لم يكتب التوراة التى بأيدينا وللأسباب الآتية:

أولاً: تقع التوراة وهى الأسفار الخمسة فقط والتى يدعى اليهود أن موسى هو كاتبها فى ٢٥١ صفحة من حجم الخطوط الصغيرة .

ثانياً: فى سفر الخروج وفى الإصحاح ١٢ العدد ٣٧: فارتحل بنو إسرائيل من المحسيس إلى سُكّوت، نحو ست مائة ألف ماشى من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم

لفيف كثيراً أيضاً من غنم وبقر، مواشي وافرة جداً ـ **علينا أن نلاحظ هذه الكثرة من المواشي** ـ ثم ننتقل بعد ذلك إلى الإصحاح ١٤ العدد ٨ والذى يصف مطاردة فرعون لليهود: وشدد الرب قلب فرعون مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل، وبنو إسرائيل خارجون بيد رفيعة . فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه ـ فلما إقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم . ففزعوا جداً . وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى: هل لأنه ليست قبور فى مصر، أخذتنا لنموت فى البرية، ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ .

ثم تفصل التوراة غرق فرعون فى الإصحاح ١٤ العدد ٢٢: فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم .

ثم ننتقل إلى النقطة التى تهمنا فى هذا الموضوع فى الإصحاح ١٦ العدد ١: **فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى بعد خروجهم من أرض مصر** فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية . وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع . فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميت كل هذا الجمهور بالجوع . والسؤال أيضاً الذى يطرح نفسه، هذه الشكوى من بنى إسرائيل جاءت بعد شهر ونصف من خروجهم من مصر، فأين الغنم والبقر وهذه المواشى الوافرة جداً التى كانت معهم؟

هذا بجانب أن فرعون كان مع جيشه وراءهم وكان بنو إسرائيل فى حالة فزع شديد وخوف من إدراك فرعون وجيشه لهم . وليس لمن هو فى حالة فزع وهروب أن يرعى غنم وأبقار أمامه .

وفى نهاية نفس الإصحاج تقول التوراة: وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة . أى أنه لم يكن هناك مواشى ولا غيره .

ولقد تم تفسير المن والسلوى فى التفاسير القرآنية أن المن خبز رقاق والسلوى هى طائر السمان[1] .

---

(١) ابن كثير

وقد شرحت التوراة المن والسلوى؛ نعنى الإصحاح ١٦ : ٦/٨: فقال موسى وهارون لجميع بنى إسرائيل: فى المساء تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر وفى الصباح ترون مجد الرب لإستماعه تذمركم على الرب، وأما نحن فماذا حتى تتذمروا علينا؟ وقال موسى: ذلك بأن الرب يعطيكم فى المساء لحماً لتأكلوا وفى الصباح خبزاً لتشبعوا .

ولعل القارئ يتساءل وما دخل كل ما مضى بالدليل المادى لعدم كتابة موسى للتوراة .

لم تكن الكتابة فى هذا الزمن شيئاً فى متناول اليد، وكانت تنحصر فى ثلاثة أشياء:

١} الكتابة على جلود الحيوانات وقد أثبتنا عدم وجود حيوانات مع بنى إسرائيل حتى يستخدمها موسى فى كتابة ٢٥١ صفحة أى مئات الآلاف من الجلود .

٢} الكتابة على أوراق البردى، ونبات البردى كان ينتشر على ضفاف النيل ولم يوجد فى صحراء قاحلة فى سيناء حيث لا يوجد فيها ماء .

٣} الكتابة على الحجر، ومعنى هذا أن موسى كان لابد أن يحتاج لمثل الهرم لكتابة هذه التوراة .

من كل هذه الدلائل يتم التأكد أن موسى لم يخط بيده هذه التوراة . بل انحصرت التوراة فى الكتابة التى كتبها الله ﷻ فى الألواح فوق الجبل . ونقل موسى بقية الأوامر الإلهية لبنى إسرائيل شفاهة حتى وفاته .

لذلك يقول الله ﷻ فى القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]، وهو دليل إنحراف بنى إسرائيل وقولهم: أنها كتاب مقدس موحى إليه من قبل الله . وإنكراهم أن التوراة كانت تتداول شفهياً بينهم، ثم كتبوها وأضافوا ما أضافوا، وأخفوا منها ما أخفوا، وكما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] . والكتمان هنا يدل على شئ شفهى وليس شيئاً مكتوباً .

فكانت الألواح هى الدستور الأساسى للديانة اليهودية وليست الوصايا العشرة فقط، ثم كان ما قاله الله ﷻ لموسى هو شرح ما جاءت به الألواح والذى نقله موسى شفهياً لبنى إسرائيل والذى تم التحريف فيه بالحذف والإضافة فيما بعد .

وبهذا اعترف العلماء اليهود والنصارى بذلك، مثال ذلك:

١} يقول الحبر اليهودى الغرناطى {إبراهيم بن عزرا} فى نتائجه .

٢} أن موسى ﷺ لم يكتب إفتتاحية سفر التثنية والتى جاء فيها: {فى عبر الأردن فى أرض مواب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة {لسبب واضح جداً هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن وأنه مات فى برية سيناء كما جاء فى سفر التثنية الإصحاح {٣٤} العدد {٥/٦} : {فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب مقابل لبيت فاغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم} .

ب} نُقش سفر موسى الأصلى كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد وكما جاء فى سفر التثنية الإصحاح {٢٧} العدد {٨} : {وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً} . وسار على نهج موسى يوشع بن نون، ففى سفر يوشع الإصحاح {٨} العدد {٣٢} : {وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى إسرائيل} ـ وبالطبع هذا يؤكد الإضافة فى نفس سفر التثنية الإصحاح {٣١} العدد {٢٤/٢٦} : {فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها . أمر موسى اللاويين حاملى تابوت العهد قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت الرب إلهكم . ليكون هناك شاهداً عليكم ـ وتلك إضافة أضافها الأحبار ليؤكدوا أن هناك توراة قد كتبها موسى بيده وسلمها للاويين قبل وفاته .

لقد نُقش سفر موسى الأصلى على اثنى عشر حجراً ـ والكلام مازال للحبر إبراهيم بن عزرا ـ حسب أعداد أسباط بنى إسرائيل الأثنى عشر . ومعنى ذلك أن سفر موسى الأصلى كان فى حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة الآن .

هذا ما رمز إليه إبراهيم بن عزرا بقوله: {سر الأثنى عشر} .

٢} يذهب الشيخ رحمه الله هندى فى كتابه {إظهار الحق} إلى الجزئية الخاصة

بوضع التوراة التى كتبها موسى بجانب التابوت وليس بداخله، فيقول: {فكانت نسخة التوراة فى جنب الصندوق، وكانت الطبقة الأولى على وصية موسى ﷺ، فما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى إسرائيل فكانوا يرتّدون تارة ويسلمون أخرى ـ وضاعت تلك النسخة الموضوعة بجانب تابوت العهد ولا يُعلم جزماً متى ضاعت .

٣} ويقول الدكتور موريس بوكاى فى كتابه{القرآن والإنجيل والتوراة والعلم الحديث} : ظلّت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران أن موسى نفسه هو الذى كتب التوراة، وربما كان من دفع بتلك الدعوى قد اعتمد على واقعة أن الرب قال لموسى: اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب {خروج ١٤/١٧} ، وكذلك قول التوراة: فعندما كمّل موسى كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها {تثنية ٢٤/٣١} ، وأيضاً: كتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة {تثنية ٩/٣١} .

ولقد تبنى هذه الدعوى {فلافيوس جوزيف} ، {فيلون السكندرى} أما اليوم فقد هُجر هذا الفرض تماماً، وأصبح الجميع يتفق على عدم هذه النسبة غير الشرعية بين الأسفار الخمسة وبين موسى ﷺ .

وأننى أضيف على ما أورده الدكتور موريس بوكاى، وكما أورده سفر التثنية الإصحاح {٩/٣١} : {وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة ابنى لاوى حاملى التابوت . وهنا نسأل: لماذا ضمير الغائب فى مسألة هامة وهى انتهاء موسى من كتابة التوراة فيقول: وكتب موسى هذه التوراة ومعنى هذا أن لاوى أو كاتب هذه الفقرة يروى انتهاء موسى من كتابة هذه التوراة، وعلى الرغم من أن هذه الفقرة مكتوبة فى التوراة وفى سفر التثنية وهى آخر الأسفار الخمسة، ويؤكد ذلك التزوير والتزييف الذى كتبت به التوراة، وإنما هى لشخص أو أشخاص جاءوا من بعد موسى ليخبرونا أن موسى أتم كتابة التوراة وهذا غير صحيح . لذلك حاول اليهود بشتى الطرق الإيعاز والإقناع بأن موسى هو كاتب التوراة فى كتاب شامل، فى حين أن موسى لم يكتب شيئاً وقد كان بالأحرى أن يكتب اللوحين بعد كسرهما، إلا أنه أنتظر حتى كتب الله اللوحين مرة أخرى حسب نص توراتهم .

لذلك فإننى أتحدى أى عالم يهودى أو مسيحى وعلى رأسهم العزيز الدكتور

منيس أن يثبت وجود دليل موثق بصفة قطعية على أن موسى عليه السلام قد كتب التوراة بيده، بل إن كل الدلائل تثبت وتشير بعكس هذا وكما أوردنا سابقاً .

وإذا كان عزرا قد لعب دوراً خطيراً فى بعث التوراة وادعى أنها توراة موسى على الرغم من التناقض الخطير الذى كُتب فى التوراة بين ما زعمه {حلقيا الكاهن} فى ادعائه أنه عثر على التوراة بعد سبعة عشر عاماً من حكم الملك {يوشيا} وكما ذكرنا وقرأها حلقيا علىى يوشيا فى أقل من يوم .

إلا أن التوراة عادت فذكرت أن عزرا قد قرأ التوراة على بنى إسرائيل فى سبعة أيام .

وقد ذكرت دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان {توراة} : إن العلم العصرى ولاسيّما النقد الألمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة، والتاريخ . علم اللغات . أن التوراة لم يكتبها موسى، وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها، وقد ألفّوها على التعاقب معتمدين على روايات سماعية قبل أسر بابل(١) .

• ——— •

ترجمات التوراة

١} الترجمة السبعينية: وتعتبر أول ترجمة للتوراة من العبرية إلى اليونانية، وقد قام بها إثنان وسبعون عالماً من علماء اليهود بالإسكندرية عام ٢٨٢ ق.م بأمر بطليموس لفائدة اليهود المصريين .

٢} الترجمة القبطية: وقام بها {تيتيونس} حيث ترجم من الترجمة السبعينية {اليونانية} إلى اللغة القبطية وذلك بين القرن الثالث والخامس الميلادى .

٣} الترجمة العربية: ويقال أنها كانت بمعرفة يوحنا الاشبيلى أسقف اشبيلية بأسبانيا وذلك عام ٧٥٠م، وهذا غير مؤكد . وأنا أيضاً أشك فى ذلك لأن هناك واقعة ترويها السنة النبوية عن حادثة الزنا التى حدثت بين اليهود فى المدينة. وجاءوا

---

(١) المخططات التلمودية اليهودية ـ أنور الجندى .

ليتحاكموا للرسول ﷺ وسالأهم الرسول عن الحكم فى التوراة ووضعوا أصبعهم على حد الزنا فى التوراة وهو الرجم، فأمرهم الرسول ﷺ برفع أصبعهم ليثبت حد الزنا فى التوراة، ومن البديهى أن الرسول ﷺ كان لا يعرف العبرية أو الآرامية . مما يثبت أن التوراة فى عهد الرسول ﷺ كانت مترجمة بالعربية فى ذلك الوقت .

٥ ـــــــ ٥

إن كلمتى للدكتور منيس إن الحقائق لا تتقرر أو تثبت بمجرد الادعاء، بل جرى العرف أن الإدعاء يحتاج إلى دليل وأنت ولا غيرك سواء من علماء اليهود أو النصارى يملكون الدليل على القول أن التوراة قد كتبت بيد موسى أو بوحى من الله ـ بل هى أمور تحاولوا بشتى الطرق مجرد إثباتها لأن بعض الأناجيل تعتمد على مقولات التوراة بالتنبأ بالمسيح أو هى زرعت لذلك . أو تم تأويلها لخدمة كاتبو الأناجيل .

٥ ـــــــ ٥

أننى سأطرح على الدكتور منيس عبد النور بعض الأحداث الهامة والتى تثبت خرفات التوراة وعلى هذا الأساس سأطرح عليه خرافات سفر التكوين، وربما ليؤكد للدكتور منيس كل ما قلناه سابقاً من حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش رغم أننا أوردنا هذا فى كتاب سابق[1]، إلا أننا سنعاود كتابته مرة أخرى .

خرافات سفر التكوين

كلمة سامية والتى يلوكها اليهود بمناسبة وبدون، المقصود بها نسل سام ابن نوح، وقد ذكرت التوراة وكما بيّنا من قبل أنه بعد غرق الأرض كلها ونجاة نوح وزوجته وأولاده الثلاة سام، حام، يافث ومنهم تشعبت كل البشرية وهذا زعم التوراة . والتحليل العلمى يثبت أن طوفان نوح لم يغرق الكرة الأرضية كما زعمت التوراة[2] . بل كان الطوفان فى منطقة محدودة لقوم نوح الذين كفروا . ولنذهب إلى النص التوراتى فى هذا :

١} يقول سفر التكوين الإصحاح {٩} العدد {١٨} :{أما أبناء نوح الذين

---

(١) وحى كتاب المقدس ـ للمؤلف

(٢) حقيقة تاريخ العرب ـ د. محمد فتحى الريس

خرجوا معه من الفلك فكانوا . ساماً وحاماً ويافث، وحام هو أبو الكنعانيين، هؤلاء كانوا أبناء نوح الثلاثة الذين تفرغت منهم شعوب الأرض كلها} وهذه أول أكذوبة، فالحقائق العلمية أكدت أن طوفان نوح كان طوفان إقليمي ولم يغرق الأرض كلها، وكما حدث تماماً في طوفان موسى في مصر . ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣] .

وكذلك كان طوفان موسى . إلا أن اليهود أرادوا عن طريق التلفيق الذى هم بارعون فيه أن يثبتوا أن الأرض كلها قد غرقت، لماذا؟ الجواب بسيط جداً، أنهم بدأوا في نسج الأساطير بعد ذلك ويكون أولاد نوح هم أصل البشرية ويستطيعوا من خلال ذلك تصنيف البشرية حسب أهوائنهم وإبراز دور كل إبن من أبناء نوح ينزلوا اللعنة على من شاؤوا منهم ويباركوا من شاؤوا وبالتالى يفوز جدهم الأكبر سام ابن نوح . ومن هنا بدأت القصة تأخذ هذا الاتجاه من بعد الطوفان، فيقول سفر التكوين الإصحاح {٩} العدد {٢٠} : {واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرماً، وشرب من الخمر وسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عرى أبيه، وأخبر أخويه، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا للخلف وسترا عورة أبيهما ولم يبصراها، فلما أفاق نوح من خمره علم ما فعله ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته، وقال: مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم} .

ويعقب الدكتور الريس على هذا الإصحاح بقوله: {إذا كان حام وهو الأبن الأوسط وليس الصغير كما يرد ترتيبه بإستمرار في التوراة فد ارتكب إثماً، فلم صبّ نوح لعناته على صغيره كنعان الذى لا صلة له بهذا الحادثة؟ والمقصود باختراع هذه الفرية هو رفع مكانة اليهود بين شعوب العالم} .

إلا أنني لى تعقيب على تعقيب الدكتور الريس رحمه الله : فإذا كان سام، يافث هما من سترا آباهم كما تزعم التوراة فلماذا اختص نوح بمباركة سام دون يافث؟ وقد كان من الأولى أن يقول مبارك الرب إله سام ويافث .

ومع ذلك فإن الكنعانيين وهم من القبائل العربية كانوا يسكنون بلاد الشام كلها منذ أقدم العصور حتى من قبل الطوفان وكانت لهم حضارة متقدمة ودور في التاريخ

البشرى، ويكفى أن حروف الكتابة التى تستخدمها أغلب شعوب العالم حالياً خرجت من بلادهم، بينما كان الإسرائيليون رعاة أغنام يقيمون فى خيام جنوب فلسطين كما تذكر التوراة فى سفر الخروج ابتداء من يعقوب {إسرائيل} ﷺ، وأبنائه قبل أن يستضيفهم فرعون مصر بسبب القحط الذى كانوا يعانون منه، وانتهاء بموسى عندما خرج من مصر ومن معه من اليهود بعد ٤٣٠ سنة قضوها فى {كيشان} شرق محافظة الشرقية حالياً كعبيد للمصريين سخروهم فى صناعة الطوب اللبن ولم يكن لهم شأن بالحضارة أو المدنية مما ترتب عليه حقدهم على الكنعانيين أصحاب الأرض تخيّلهُ كتبة التوراة بهذه اللعنات التى نسبوها إلى نوح على صغيره كنعان . ـ وكما نسبوا أن ابنتا نبى الله لوط قد أسكرت أبيهما حتى يضاجعهما[1] ـ والذى لم يرتكب إثماً بينما صّبوا الدعوات بالبركة على سام الأبن الأكبر لنوح والذى يزعم اليهود أنه جدهم[2] .

وأود أن أضيف هنا ثلاثة نقاط هامة تهدم هذه الأسطورة من أساسها:

أولاً: ركز مؤلف التوراة على وصف حام بأنه أبو الكنعانيين على الرغم من أن نسل حام لم يتحدد وقتئذ باسم الكنعانيين إذ لم يكن لهم وجود كشعب أو قبائل، فإذا كان لهم وجود كما أثبت ذلك الدكتور الريس حينئذ فلا يكون حام هو جد الكنعانيين لأنهم موجودون أصلاً قبل حام .

ثانياً: نأتى لأسباب لعنة نوح على ابنه الأصغر . فاللعنة فى حد ذاتها لابد أن يكون لها موضع فى الشريعة اليهودية كما قيل فى الإصحاح {٢٠} العدد {٩} من سفر اللاويين والذى يحدد من الذى يستحق اللعنة فتقول التوراة: {كل من شتم أباه أو أمه يقتل لأنه شتم أباه أو أمه، لذلك دمه عليه ـ وإذا عاشر رجل زوجة أبيه فقد كشف عورة أبيه، وكلاهما يقتلان} . إذا وكما نرى أنه لابد من استخراج سبب ليلعن نوح ولده حام أو بمعنى أدق ليلعن ابن حام وهو كنعان . فجاءت هذه االأكذوبة لرؤية حام لعورة أبيه .

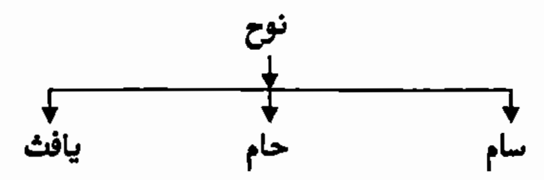
ثالثاً: تؤكد أكذوبة مؤلف التوراة أنه اختص الكنعانيين بلعنة نوح بالرغم من أن

(١) سفر التكوين ـ الإصحاح {١٩} .

(٢) حقيقة العرب وتاريخهم ـ د. محمد فتحي الريس .

حام كان له أربعة أبناء ولبس ابناً واحداً فأولاد حام والتى يشرحها الإصحاح {١٠} العدد {٦} من سفر التكوين وحسب ترتيبهم: كوش، ومصرايم، وقوط، وكنعان، فلماذا يختص نوح لعنته بأصغر أبناء حام ليصب اللعنات عليه ولِمَ لم يصبها على كوش أو مصرايم أو قوط . هذا بالطبع هدف مؤلف التوراة حيث يثبت بعد قليل أن أحفاد كنعان الذى يخرج منهم إسماعيل ملعنون . أما أحفاد سام فقد تباركوا من جدهم نوح وبذلك تظهر عنصرية اليهود وأنهم شعب الله المختار، أو أنهم سادة البشر .

التناقض فى نسل نوح



ومعذرة إذا كنا سنثقل كاهل القارئ فى تركيزه على كيف كتبت التوراة سلالة نوح والذى يعطى الإنطباع بالتركيز على أبناء سام والذى ينحدرون منه حسب زعمهم .

بدأت التوراة بذكر نسل أصغر أبناء نوح وهو يافث فذكرت سبعة أخوة هم أبناء يافث ثم ذكرت أولاد اثنين منهم فقط وزعمت أنه تفرع من هؤلاء سكان الجزائر وتفرقوا فى مناطقهم ثم انتقات إلى ذكر أبناء حام الابن الثانى لنوح فذكر أربعة أبناء لحام منهم كنعان الذى اختص بلعنة جده نوح وهم على الترتيب {كوش ـ مصرايم ـ قوط ـ كنعان} ثم ذكر أبناء كوش ثم قبائل مصرايم ثم أبناء كنعان ولم يذكر شيئاً عن قوط . ثم انتقل إلى أبناء سام ولنرى فى أول سطر كلمة وأنجب سام أبناء ومنه انحدر جميع بنى عابر ثم ذكر أسماء أبناء سام {عيلام ـ أشور ـ أرفكشاد ـ لود ـ أرام} ثم ذكر أبناء أرام وذكر إبناً واحداً إرفكشاد هو شالح وولد شالح عابر! ! ثم ذكر تفصيلاً أولاد عابر وقبائلهم حيث انتهى بالقول: {هؤلاء هم المنحدرون من سام حسب قبائلهم ولغاتهم وبلدانهم وشعوبهم} . ولم يذكر أبناء عيلام أو أشور أو لود أو أبناء الأبناء لآرام وإنما اختص بالتفصيل الأجيال المتعاقبة لأرفكشاد ثم عابر الذى خرج منه بنو إسرائيل . ولماذا تعمد المؤلف ذلك لأنه أراد بعد ذلك أن يصل بنسب نوح عن طريق سام إلى إبراهيم ﷺ، ليثبت أن إبراهيم من نسل سام المباشر ونسل عابر أى أن إبراهيم يهودى أو من سلالة يهودية ولذلك

نلاحظ فى التوراة أنه لم يذكر سوى السلسلة التى تربط بين إبراهيم ونوح صعوداً وكما يوضح الجدول .

شجرة الأنساب كما زعمت التوراة من آدم إلى إبراهيم

الاسم	تاريخ الميلاد بعد الخلق	تاريخ الوفاة	العمر
آدم	ـ	٩٣٠	٩٣٠
شيت	١٣٠	١٠٤٢	٩١٢
أنوش	٢٣٥	١١٤٠	٩٠٥
قينان	٣٢٥	١٢٣٥	٩١٠
مهلليئل	٣٩٥	١٢٩٠	٨٩٥
يارد	٤٦٠	١٤٢٢	٩٦٢
أخنوخ	٦٢٢	٩٨٧	٣٦٥
متوشالح	٦٨٧	١٠٥٦	٩٦٩
لاسلك	٨٧٤	١٦٥١	٧٧٧
نوح	١٠٥٦	٢٠٠٦	٩٥٠
سام	١٥٥٦	٢١٥٦	٦٠٠
أرفكشاد	١٦٥٨	٢٠٩٦	٤٣٨
شالح	١٦٩٣	٢١٢٢	٤٣٣
عابر	١٧٢٣	٢١٨٧	٤٦٤
فالج	١٧٥٧	١٩٩٦	٢٣٩
راعو	١٧٨٧	٢٠٢٦	٢٣٩
سروج	١٨١٩	٢٠٤٩	٢٣٠
ناحور	١٨٤٩	١٩٩٧	١٤٨
تارح	١٨٧٨	٢٠٨٣	٢٠٥
إبراهيم	١٩٤٨	٢,١٢٣	١٧٥

الجدول يكذب الطوفان

تقول التوراة فى الإصحاح {٧} العدد {١٠} : {ففى سنة ستة ومائة من عمر نوح فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر منه تفجرت المياه من اللجج العميقة} .

ومعنى هذا أن الطوفان حدث عندما كان عمر نوح {٦٠٠} سنة، فإذا جمعنا تاريخ ميلاد نوح وهو ما يوافق ١٠٥٦ منذ خلق آدم مع عمر نوح أى ١٠٥٦ + ٦٠٠ = ١٦٥٦ . أى أن الطوفان حدث عام ١٦٥٦ من بعد ميلاد آدم .

فإذا كان تاريخ وفاة إبراهيم ﷺ عام ٢١٢٣، فهل يمكن القول أن البشرية أعاد الحياة على الكرة الأرضية بكل الشعوب والقبائل . وعلى الرغم من رحلات نبى الله إبراهيم التى روتها التوراة من جنوب العراق ماراً بالشام ثم فلسطين ثم مصر وكل الحضارات التي مر بها . فهل أعادت البشرية نفسها فى خلال ٤٦٧ عاماً فقط . بل إن هذا يثبت أيضاً من ناحية أخرى أن طوفان نوح لم يكن سوى طوفاناً إقليمياً فقط .

هدف الصلة بين سام وإبراهيم

وكما سبق القول لقد أراد مؤلف التوراة أن يربط الصلة بين سام ونبى الله إبراهيم فى سلسلة نسب متصلة . حتى يعطى الإيحاء أن أرض الميعاد هي حق وعده الله لإبراهيم فى أرض الميعاد ولإثبات أن إبراهيم يهودى النسب والعشيرة أباً عن جد .

إن القول الفصل في كل ما مضى أن سفر التكوين بالكامل من أساطير اليهود والتى تناقلها اليهود شفهياً ثم أضيفت على توراتهم لأن التوراة التى أنزلت على موسى كانت بعد زمن إبراهيم وصدق قول الله العظيم فى قوله: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:٦٥] . وصدق الله العظيم وكذبت أساطير اليهود . وكذلك قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧] .

النقد التحليلى للمؤرخ {ليوتاكسل}

يقول سفر التكوين الإصحاح {٦} العدد من {١٣ - ٢٢} : أما نوح فوجد نعمة فى عين الرب، فقد كان الرجل باراً كاملاً فى جنسه، لذلك جاء يهوة زائراً محذراً من

الكارثة الوشيكة الوقوع ثم منحه فرصة للخلاص {فقال الله لنوح: نهاية كل بشر أتت أمامي . لأن الأرض إمتلأت ظلماً أمامي؛ فها أنا مهلكهم من الأرض . اصنع لنفسك فلكاً من خشب الجفر، واجعل الفلك مساكن، واطله من داخل ومن خارج بالقار واصنعه هكذا: ثلاث مائة ذراع يكون طول الفلك،، وخمسين ذراعاً عرضه، وثلاثين ذراعاً ارتفاعه . واصنع كوى الفلك، وتكمله إلى حد ذراع من فوق، وضع باب الفلك في جانبه، واجعل فيه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية . فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض، لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء؛ كل ما في الأرض يموت . ولكن أقيم عهدى معك . فتدخل الفلك أنت وبنوك وإمرأتك، ونساء بنيك معك، ومن كل حى، من كل ذى جسد اثنين، من كل تدخل إلى الفلك لإستبقائها معك، تكون ذكراً وانثى من الطيور كأجناسها، اثنين من كل تدخل اليك لإستبقائها . وأنت خذ لنفسك من كل طعام يؤكل، واجمعه عندك . فيكون لك ولها طعاماً، ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله، هكذا فعل} {تكوين ١٣/٦ ـ ٢٢} .

لقد استمر بناء الفلك مائة عام(١) . ولم يأذن يهوه لنوح أن يحذر باقى البشر من الخطر القاتل الزاحف إليهم . أى أن نوحاً وعائلته كانوا يعدون عدتهم فى الخفاء . ولا ريب أن الدهشة كانت ترتسم على وجه القوم عندما كانوا يرون نوحاً يبنى فى الحقل فلكاً طوله ثلاثمائة ذراع، أى حوالى مائة وخمسين متراً، وهو طول سفينة كبيرة . وكان بعضهم يظن أن العجوز فقد عقله، فيهزأ ويمشى . أما نوح فكان يسمع سخرياتهم بصبر ويتابع عمله بأناة وتأن .

نلاحظ هنا أن ما أفرده {ليوتاكسل} من سخرية قوم نوح لم يرد ذكره فى التوراة إلا أنه ذكر فى القرآن ففى قوله ﷻ: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨] .

ثم يستطرد {ليوتاكسل} نقده فيقول: لن تبدو الأعوام المائة التى استغرقها بناء الفلك الطويلة، إذا تذكرنا أن آلاف الضرورات كانت مرتبطة بتلك المنشأة، لكن التوراة لم تأت على ذكرها . فقد كان ينبغى على أبناء نوح الثلاثة، على سبيل المثال، أن

---

(١) التوراة ـ ليوتاكسل .

يجوبوا بلاد العالم كلها ليأتوا بمختلف أنواع الحيوانات، وبما أنه كان ينبغى عليهم حماية أنفسهم داخل الفلك نفسه، من بطش الأسود والنمور والفهود والتماسيح. وغيرها من الكواسر، فقد كان عليهم أن يتقنوا فنون الترويض . وكان يجب عليهم أيضاً، أن يعدّوا كميات كبيرة من الطعام، بما فى ذلك اللحوم الضرورية لذلك العدد الهائل من الكواسر؛ إضافة إلى الحبوب والثمار وما شابه وعلينا أن نفترض أن الخشب الذى صنع منه الفلك هو من أفضل أنواعه . لأنه إذا ما قرر أحدهم أن يصرف مائة عامة على صنع سفينة، فإنه لن يجد الخشب الذى يبقى سليماً حتى نهاية عملية البناء؟ ولتحولت مؤخرة السفينة إلى فتات يتآكل عندما يصل البناؤون إلى مقدمتها . وهكذا تتحول عملية إلى إعادات متكررة، فما هو نوع الخشب الذى استخدمه نوح يا ترى؟ حتى الآن لا أحد يعرف . وعلى الرغم من أن التوراة تسميه خشب {الجفر} إلا أن أحداً لم يستطع أن يتعرف على هذه الشجرة حتى الآن[1] إذا كان ذكر خشب {الجفر} فى توراة فقد ذكر أيضاً خشب {السرو} فى نسخة أخرى للتوراة[2] .

عندما انتهى بناء الفلك قال يهوه لنوح: ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأنى إياك رأيتك باراً أمامى هذا الجيل {تكوين ١، ٧} وتبين تتمة الحديث، أن يهوه نسى تعليماته السابقة، فقد رأينا أنه أمر العجوز بألا يأخذ معه سوى زوج من كل حيوان . لكنه عاد وأدخل على خطته تعديلاً هاماً، فى اللحظة الأخيرة، فقال: {من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة، ذكراً وأنثى، ومن البهائم التى ليست طاهرة، اثنين، ذكراً وأنثى}[3] .

ولا تذكر لنا التوراة إذا كان يهوه قد أشار إلى نوح بعلامات التقسيم إلى {طاهرة} و{غير طاهرة}، ولكن كتاباً آخر ينسب إلى موسى هو سفر اللاويين يعدد الحيوانات التى يعتبرها اليهود {طاهرة} وتلك التى يعتبرونها {نجسة} فالطاهرة بين البهائم د تلك المشقوقة أظلافها، وتجتر، بيد أن الجمل والأرنب يجتران لكن أظلافها غير مشقوقة، ولذلك فهما حيوانان نجسان، والخنزير أظلافه مشقوقة لكنه لا يجتر، فهو

---

(١) دراسة فى الكتب المقدسة ـ موريس بوكاى .

(٢) المؤلف .

(٣) المذكور فى العهد القديم .

نجس . ومن الطيور النجسة ـ التى حُرِّم أكل لحومها: النسر، الحدأة، العقاب، الغراب، النعامة، البومة، النورس، البجع، وما شابه . وأعلن الإله الأب لنوح أن الطوفان سيبدأ بعد سبعة أيام . وكان ينبغى على نوح أن يدرس التاريخ الطبيعى ليعرف ما إذا كان عليه أن يحمل سبعة غرانيق أو غرنوقين فقط، فيلين أم سبعة أفيال، اثنين من وحيد القرن أم سبعة، اثنين من جاموس النهر أم سبعة . وحدث بعد سبعة أيام، أن مياه الطوفان صارت على الأرض . فى سنة ستمائة فى حياة نوح، فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر من الشهر، فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء {تكوين ٧: ١٠ ـ ١١} . يتضح من هذا النص، أن الروح القدس واثق من وجود تجمع مائى كبير فى الجانب الآخر من السماء، فرغ مياهه عبر فتحات: {وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة . وفى ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث، بنو نوح، وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه، هم وكل الوحوش كأجناسها، وكل البهائم كأجناسها، وكل الدبابات التى تدب على الأرض كأجناسها، وكل الطيور كأجناسها، كل عصفور، كل ذى جناح} {تكوين ٧: ١٢ ـ ١٤} .

يا له من فلك! إذا جمعنا الزمن المذكور فى هذا الإصحاح وما يليه، فسيتبين لنا أن نوحاً وعائلته وتلك الحيوانات التى أنقذها، أمضوا فى الفلك ٣٩٣ يوماً . ولكن اللاهوتيين لا يقولون لنا كيف تمكن ثمانية أشخاص أن يطعموا تلك الحديقة من الحيوانات كلها على امتداد أكثر من عام، ويحافظوا على نظافة مرابطها، ويجب أن تطرح هنا أيضاً مسألة التكاثر! وإلى كم من اللحوم احتاج الأمر؟ وأى كمية هائلة من المواد الغذائية خاصة أن هناك حيوانات لا تأكل إلا العشب . ولما آن الآوان جاء يهوه بنفسه وأغلق أبواب الفلك . {وأغلق الرب عليه} {تكوين ٧: ١٦} . وبعد أن تعاظمت المياه أبحرت السفينة {فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت السماء، خمس عشر ذراعاً فى الارتفاع، تعاظمت المياه} {تكوين ٧: ٩ ـ ٢٠} .

غنى عن القول: أنه يصعب كثيراً على المرء أن يتخيل ذلك الكم من المياه، خاصة إذا ما أخذنا بالحسبان أن أعمق نقطة فى المحيط الهادئ {وهده مارين} تزيد عن أحد عشر ألف متر، بينما أعلى جبل فى العالم {جومولونغما} {ايفرست} فى الهمالايا إرتفاعه ٨٨٨٠ متر فوق سطح البحر {فمات كل ذى جسد يدب على الأرض، من الطيور

والبهائم والوحوش، وكل الزاحفات التى كانت تزحف على الأرض، وجميع الناس، كل ما أنفه نسمه روح حياة، من كل ما فى اليابسة مات . فمحا الله كل قائم كان إلى وجه الأرض، الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء! فمحت من الأرض، وبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط . وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً {تكوين ٧: ٢١-٢٤}

لقد كان السمك وحده سعيداً فى ذلك الخضم المتلاطم! ولكن لكل شئ نهاية {ثم تذكر الله نوحاً وكل البهائم التى معه فى الفلك وأجاز الله ريحاً على الأرض، فهدأت المياه، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء، فامتنع المطر من السماء، ورجعت المياه على الأرض رجوعاً متوالياً، وبعد مائة وخمسين يوماً، أنقصت المياه واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر، على جبل أرارات، وكانت المياه تنقص متوالياً إلى الشهر العاشر، فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . {تكوين ٨: ١ ـ ٥} .

كم من العجائب المفاجئة فى هذه السطور الخمسة! أولاً: أننا سعداء بلقاء {ريح يهوه} اللطيفة، مرة أخرى، فبعد نهاية الخراب الكونى، لم يعد لها أى عمل، وكأن شارحو التوراة قد أرغموها {بروح يهوه} . ففى البدء، تقول التوراة: {كانت هذه الروح ترف فوق وجه الغمر } أما الآن، فلكى يجفف يهوه مياه الطوفان أطلق {الروح القدس} {روح يهوه} التى يصفها الإنجيل بأنها {حمامة الله} ، وألقى على عاتقها مستحيلة، وهى تجفيف مياه الطوفان . ونحن لا نرتاب فى أن الأمر كان يتطلب تدخل أحد أفراد {الثالوث المقدس} ، لأنه لم يكن بمقدور أى ريح عادية أن تجفف ذلك الكم الهائل من المياه . وبما أن مستوى مياه الطوفان كان أعلى من جبال الأرض بخمسة عشر ذراعاً، فقد توصلت بعض الحسابات إلى أن حجمها كان يساوى حجم اثنى عشر محيطاً أحدها فوق الآخر . وعليه فقد كان ذلك الطوفان العجيب أكثر تميزاً بين العجائب التى صنعها يهوه كلها، لأنه بعد صنع المحيطات التى يدركها البصر عاد وقضى عليها بنفخة واحدة من فمه . أى رئتان عند تلك الحمامة؟!

والعجيبة الأخرى التى يجب ألا نغفل عنها هى: فى اليوم السابع عشر من الشهر السابع رسى فلك نوح فوق قمة أرارات التى يبلغ إرتفاعها ٨٠٠٠ متر أو القمم الأخرى فى {أمريكا الجنوبية وأفريقيا} ، لم تظهر إلا فى اليوم الأول من الشهر العاشر أى بعد ستة أسابيع؟ أنها لعجيبة حقاً!

وتضم رواية التوراة عن نهاية الطوفان أكثر قصص الغراب والحمامة سذاجة على الإطلاق، لكنها لا تمثل أى أهمية بالنسبة إلينا، فقد أطلق نوح الغراب أولاً فطار ولم يحط إلا بعد أن جفت المياه عن الأرض . ثم أرسل الحمامة لكنها لم تجد مكاناً لرجلها، فعادت إليه، إلى الفلك، فعادوا وأطلقها بعد سبعة أيام، فعادت إليه تحمل ورقة زيتون بمنقارها، عندئذ علم نوح أن المياه قد قلت على الأرض . ثم تخبرنا التوراة بأن نوحاً كان قد بلغ عامه ٦٠١ .

وقال يهوه لنوح، أنه آن الأوان ليخرج من الفلك، وخرجت الحيوانات، والبهائم بنظام نموذجى، على أغلب الظن . أضف إلى هذا، أنه يجب أن نعتقد {وهذا ما لا تقوله التوراة} ، بأن المياه المالحة إنفصلت عن المياه العذبة فى الحال {عجيبة أخرى} لكى تتمكن الأنهار والبحيرات والبحار أن تعود إلى مجاريها ثانية، كما كانت عليه حالها قبل ذلك ثم عادت الأسماك إلى المياه التى تلائم طبيعتها .

{وبنى نوحاً مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، من كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذابح، فتنسم الرب رائحة الرضى، وقال الرب فى قلبه: لا أعود ألعن الأرض ثانية من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان الشرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أميت كل حى، كما فعلت} {تكوين ٨: ٢٠ ـ ٢١} .

وفى أثناء ذلك منح يهوه بركته لنوح وأبنائه، وأجاز لهم أن يأكلوا كل طعام آخر، إضافة إلى الحبوب والنباتات {وبارك الله نوحاً وبنيه} وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، وليكن خوفكم ورهبكم على كل حيوانات الأرض، وكل أسماك بحر: قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون طعاماً لكم، كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع، غير أن لحماً بحياته ودمه لا تأكلوه، فأنا أسترد دمكم أيضاً، الذى فيه حياتكم . استرده من يد كل حيوان، ومن يد الإنسان، وسافك دم الإنسان يسفك الإنسان دمه: لأن الله على صورته عمل الإنسان {تكوين ٩: ١ ـ ٦} .

يتبين مما سبق عرضه أن للحيوانات روحاً، وهى تسكن الدم، ويبدو أيضاً أن يهوه لا يستطيع أن يتقبل قتل الإنسان، لكن الإله التوراتى يتصف بسرعة نسيانه أقواله، وسنرى كيف سيحرص اليهود على القتل . وبما أن العجوز يهوه التزم بعدم

إغراق البشر بعد ذلك . فإن الاتفاق يتطلب توقيعاً وتوقيعه هو، قوس قزح، الذى لم يظهر إلى الوجود إلا فى ذلك اليوم المشهود . {وضعت قوسى} فى السحاب . فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض ويظهر القوس فى السحاب، إنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً تهلك كل ذى جسد . {تكوين ٩ : ١٣ ـ ١٥} .

والحقيقة أنه كان لحذر يهوه الشرير هذا ما يبرره، فالذاكرة كثيراً ما تخون أصحابها، حتى وإن كان الإله يهوه نفسه! ونلاحظ فى هذا السياق، أن النص المقدس يقول موسى: {أنا وضعت قوسى} وهذا يعنى بوضوح، أن قوس قزح لم يكن موجوداً قبل ذلك الحدث . وبما أن قوس قزح يتشكل من انكسار الأشعة الشمسية وانعكاسها فى قطرات الماء، فمن الجلى أن الأرض لم تعرف المطر كوسيلة للرى خلال القرون الفاصلة بين خلق العالم والطوفان، أى أن الشجر والنباتات كانت تنمو تلقائياً، إذ كان يكفيها العرق الذى كان يسيل من جباه البشر العاملين، أو أن ذلك المتشرد قابيل الذى بنى المدن بنى أيضاً شبكات الرى الصناعى فى أنحاء الأرض كلها(١) .

يقول المؤرخ {جيمس فريزر} عن قصة الطوفان: لم يعنينى فى المقام الأول أن أتساءل عن صدقها أو كذبها وإن كان لا ينبغى إهمال هذا السؤال عند البحث عن موضوع نشأتها، ومن ثم فقد تناولت هذه القصة من زاوية أخرى أى بوصفها تراثاً شعبياً . ومن المعروف منذ زمن طويل أن أساطير الطوفان الذى هلك فيه كل الناس على وجه التقريب تنتشر انتشاراً كبيراً فى جميع أنحاء العالم . وبناء على ذلك فقد حاولت أن أجمع الروايات المختلفة لهذه القصة وأن أقارن بينها لكى أرى ما تسفر عنه هذه المقارنة من نتائج .

وقد روت كل شعوب العالم على وجه التقريب قصصاً عن الطوفان الكبير الذى أغرق الأرض ومن عليها فيما عدا رجلاً واحداً .

---

(١) التوراة ـ ليوتاكسل .

أسطورة الطوفان البابلية

أسطورة الطوفان البابلية أو السومرية هى أقدم أساطير الطوفان المدونة فى الأدب، والتى كتبها المؤرخ البابلى الأصل {بيروسوس} فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وكان يكتب مؤلفاته باللغة اليونانية، وفيها ظهر الإله {كرونسوس} للملك البابلى العاشر {اكسيسوثروس}، وقد أدمجت ضمن حوادث ملحمة {جلجاش} الشهيرة والتى ذاع صيتها حتى اليوم مكتوبة فى إثنى عشر نشيداً أو لوحاً ومحتوية على حكاية الطوفان الكبير فى لوحها الحادى عشر، كما أعلن {جورج سميث} فى اجتماع {جمعية الآثار الإنجيلية} فى ديسمبر ١٨٧٢م .

فيما يرى جيمس فريزر أن قصة الطوفان البابلى لم تكن لها فى الأصل علاقة بالملحمة الشهيرة {جلجاش} .

أسطورة الطوفان العبرية

يجمع نقاد العهد القديم على أن أسطورة الطوفان العبرية كما هى مدونة فى سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين فى أصلهما ومتناقضتين تناقضاً جزئياً .

وقد مزج المؤلف بين القصتين لكى يكوّن منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل، إلا أن هذا المزج كان بطريقة فجة للغاية بحيث يرى فيها تكراراً وتناقضاً . وربما كانت المقارنة السطحية بين حكايتى الطوفان العبرية والبابلية كافية لأن تؤكد لنا أن كلتا الحكايتين لم تنشأ فى الأصل مستقلتين(١)، بل من المؤكد أن أحداها اعتمدت على الأخرى أو أنهما استمدا معاً من أصل واحد تعود وجوه الاتفاق بين الروايتين حتى تشمل التفصيلات الجزئية بحيث لا يمكننا أن نرجع هذا إلى محض الصدفة ويتعدد وجه الشبه بين الروايتين البابلية والعبرية فى مجموعها . فإذا شئنا بعد ذلك أن نتعمق فى التفصيلات فإننا نجد أن الحكاية البابلية أقرب إلى الحكاية اليهوية منها إلى الحكاية الكهنوتية .

فإذا كانت الروايتان العبرية والبابلية عن الطوفان تتشابهان إلى هذا الحد فكيف

(١) هذا الفرق نشأ لوجود توراة بابلية وتوراة سامرية ـ المؤلف .

يمكننا أن نفسر هذا التشابه؟ إن الرواية البابلية لا يمكن أن تكون من الرواية العبرية لسببين:

أولاً: أن بينهما ما يقرب من أحد عشر أو اثنى عشر قرناً من الزمان .

ثانياً: أن الحكاية العبرية فى جوهرها ـ كما لاحظ {تسيمرن} تقضى بأن يكون البلد المشار إليه قابلاً لحدوث الفيضانات، مثل بابل . الأمر الذى لا يدع مجالاً للشك فى أن الحكاية نشأت أصلاً فى بابل ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلسطين . ولكن إذا كان العبريون قد أخذوا حكاية الطوفان الكبير عن البابليين، فمتى؟ وكيف تم ذلك؟ إننا لا نملك أدنى قدر من المعلومات عن هذا الموضوع . ومن ثم فإن الإجابة على هذا السؤال لا تكون إلا عن طريق التخمين . ومن المحتمل أن كُتّاب هذا المصدر قد تعرفوا على التراث البابلى أما عن طريق الروايات الشفوية أو المدونة وذلك فى أثناء أسرهم أو ربما بعد عودتهم إلى فلسطين .

تعقيب المؤلف

لقد افترق اليهود إلى فرقتين صار لكل فرقة اسم تتميز به وتعرف به . فالذين اتخذوا القدس عاصمة لهم سمّوا باليهود العبرانيين، وهو اللقب الذى كان لجميع بنى إسرائيل . وسميت دولتهم بمملكة يهوذا، لأن حكامهم كانوا من سبط يهوذا . وسميت أيضاً بمملكة داود لأن الحكام عليهم كانوا من نسل داود من سبط يهوذا . أما الذين اتخذوا من نابلس عاصمة لهم فقد سموا بالسامريين لأن {عمرى} ملكهم اشترى جبلاً من {شامر} بوزنتين من فضة، وبنى على هذا الجبل مدينة التى سماها باسم صاحب الجبل شامر وسميت دولتهم بمملكة إسرائيل نسبة إلى الجد الأول وسميت أيضاً بمملكة {إفرايم} لأن حكامها كانوا من نسل إفرايم بن يوسف ﷺ . ثم تلقبت بعد ذلك الفرقتين بما عرفوا باليهود العبرانيين واليهود السامريين . وكان لكل فرقة توراة . توراة عبرانية وتوراة سامرية .

وفى أثناء الأسر الذى حدث فى بابل وهو ما يطلق عليه الأسر البابلى وجُمع فى هذا الأسر اليهود العبرانيين والسامريين، اتفقوا على جمع التوراتين فى توراة واحدة والتى كتبها عزرا ووافقوا عليها . وأعتقد أن هذا هو السبب فى اختلاف قصة الطوفان فى مصدرين مصدر عبرى وآخر سامرى .

نعود إلى جيميس فريزر حيث يقول: أما الآن فسأكتفى بتقديم نتائجى العامة تاركاً للقارئ مهمة التأكد من صحتها أو تصحيحها أو معارضتها معتمداً على الشواهد التى زودته بها . ومن ثم فإننا إذا صرفنا النظر عن الحكاية العبرية عن الطوفان والتى تعد بدون شك مستقاة من الرواية البابلية .

يقول المؤرخ {أرنولد توينبى} فى كتابه تاريخ البشرية {أن بعض الأساطير الواردة فى التوراة ـ مثل قصة الطوفان وهى ذات أصل سومرى قد أنتقلت عن طريق {الأكديين} و{الكنعانيين}} .

التحليل النقدى لمصدرى الطوفان

جمع مؤلف قصة الطوفان وبطريقة مصطنعة ليس بها أى نوعية من الحرفية القصصية حتى بات واضحاً للعيان وجود مصدرين واضحين وهو ما يطلق عليه نقاد العهد القديم المصدر الكهنوتى ثم المصدر اليهودى والذى يعد هو المصدر الأقدم على الكهنوتى. ويعتقد الباحثون أن المصدر اليهوى قد كتب فى أرض الميعاد فى العصور الأولى من الحكم العبرى، أى أنه كتب فى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد على وجه الاحتمال. أما المصدر الكهنوتى فيرجع تاريخه إلى ما بعد ٥٨٦ قبل الميلاد .

الموازنة بين المصدرين

أولاً: يختلف اسم الرب فى كلا المصدرين، فهو فى المصدر اليهودى {يهوه} وهو فى المصدر الكهنوتى {الوهيم} وكلا الإسمين نقلتهما الترجمة الإنجليزية المعتمدة على التوالى إلى كلمتى {السيد} و{الرب} .

أما الكاتب الكهنوتى فإنه يتجنب فى قصة الطوفان فى خلال سفر التكوين استخدام اسم يهوه ويستبدل به اسم الوهيم هو الإسم المألوف للرب عند العبريين . والسبب الذى دفع الكاتب الكهنوتى إلى هذا هو أن اسم يهوه وفقاً لرأيه هو الأسم الذى أوحى به الرب لموسى لأول مرة . ومعنى هذا أن الرب لم يكن يسمى فى العصور الأولى السابقة على عهد موسى بهذا الاسم . أما الكاتب اليهوى فلا يتبنى هذا الرأى ومن ثم فهو الرب بهذا الأسم فى رواياته منذ الخليقة .

ثانياً: الاختلافات المادية بين الرواية الكهنوتية والرواية اليهوية تصل فى بعض الحالات إلى حد التناقض القاطع ؛ لذا فإن إثبات أن هذه الروايات مستمدة من مصدرين منفصلين يصل إلى حد اليقين . فالرواية اليهوية عن الطوفان تميز بين الحيوانات الطاهرة والنجسة . وبينما أخذ نوح معه فى الفلك سبعاً من كل صنف . نجد الكاتب الكهنوتى لم يميز بين صنوف الحيوان على هذا النحو بل جعلها تدخل الفلك وهى على قدم المساواة مع بعضها البعض وإن كان قصر عددها بدون تحيز على زوج واحد من كل صنف . والسبب فى هذا الاختلاف البين هو أن الكاتب الكهنوتى لم يفرق بين ما هو طاهر من الحيوان وما هو نجس على أساس أن هذه التفرقة قد أوحى بها الرب لموسى لأول مرة . ومن ثم فإن نوحاً لم يكن يعرفها . أما الكاتب الذى جهد فى التفكير فى هذا الموضوع، فقد أدعى أن التفرقة بين صنوف الحيوان على أساس الطهارة والنجاسة كانت معروفة لدى الجنس البشرى منذ العصور الأولى .

ثالثاً: هناك اختلاف جوهرى يتعلق بدوام مدة الفيضان . فقد ظلت الأمطار تهطل فى قصة الكاتب اليهوى مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم ظل نوح فى السفينة بعد ذلك مدة ثلاثة أسابيع قبل أن ينحسر الماء بمقدار يمكنه من الرسو بسفينته . ومعنى ذلك أن الفيضان يكون دام واحداً وستين يوماً .

أما فى الرواية الكهنوتية فمدة الطوفان فيه مائة وخمسين يوماً ثم بدأ الطوفان ينحسر أما مدة الطوفان كاملاً فى الرواية الكهنوتية فقد استغرقت اثنى عشر شهراً وعشرة أيام .

رابعاً: يروى الكاتب اليهوى عن بناء نوح للهيكل وتقديمه الضحية للرب شكراً له على إنقاذه من الطوفان . فى حين أن الكاتب الكهنوتى لا يذكر شيئاً عن بناء هذا الهيكل .

ومن كل ما تم تحليله أكد النقاد إلى النتيجة التى وصلوا إليها وهى أن الروايتين كانتا فى الأصل مستقلين وأن الحكاية اليهوية تعد أقدم من الحكايات الكهنوتية .

وعلى ذلك فهناك مقطع كهنوتى يشير إلى أن نوحاً قد أخذ زوجاً من كل نوع . ثم نجد مقطع يهوى يحدد أن الله أمره بأخذ سبعة من كل نوع . ثم مقطع يهوى يشير

إلى أن عامل الطوفان هو ماء المطر فقط . ومقطع كهنوتى يشير إلى أن سبب الطوفان ماء مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية . مدة الطوفان فى الرواية اليهوية ٤٠ يوماً ومدة الطوفان فى الرواية الكهنوتية ١٥٠ يوماً . الرواية اليهوية لا تحدد تاريخ وحياة نوح وقت الطوفان . بينما الرواية الكهنوتية تحدد بأن عمر نوح وقت الطوفان بـ ٦٠٠ سنة وقبل إبراهيم بـ ٣٩٢ سنة . ولكم كل الكائنات الحية أعدمت على الأرض ـ حسب الروايات ـ حيث قرر الله تدمير البشر مع كل المخلوقات الحية الأخرى، فكيف يمكن إعادة بناء البشرية نفسها فى ثلاثة قرون من نوح وأولاده وزوجاتهم حتى ميلاد إبراهيم الذى أوجد هذه المجتمعات الكثيرة والحضارات البابلية والمصرية والكنعانية فى هذه المدة المحدودة من الزمن . إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أى مصداقية .

٭ ـــــ ٭

هذا بجانب أن الآثار لم تثبت أن هناك طوفان أغرق العالم كله، ولم يوجد فى أى برديات مصرية أى ذكر لهذا الطوفان . فما بال الدكتور منيس يصر على قدسية العهد القديم وأنه أوحى به من قبل الله وهو كلام قد يؤخذ عليه وعلى مصداقية كل ما أورده فى العهد القديم وخلع رداء القدسية على ما يقوله . وللقارئ أن يحكم بعد ذلك .

مع ملاحظة أن التوراة البابلية ضمت اليها غسر الأسفار الخمسة أسفار القضاة غير أن التوراة السامرية لم تؤمن إلا بالأسفار الخمسة لموسى .. وكلا من التوراتين لا أصل لها من توراة موسى يقول الله ﷻ: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣] ..

٭ ـــــ ٭

الشبهات الوهمية
حول الأناجيل

الشبهات الوهمية حول الأناجيل

وحول مس المعتقد باشر الدكتور منيس عبد النور أطروحاته محاولاً إقناع القارئ وكأنها حقيقة لا تقبل الجدل، وواقع مُسَلّم به وغير قابل للمناقشة أو النقد . وكما فعل مع العهد القديم فعل أيضاً مع العهد الجديد ولم يتطرق إلى حقيقة الأناجيل أو وثائقيتها بل تطرق مباشرة إلى متن إنجيل متّى وما تلاه من الأناجيل الثلاثة. وكان يضع سطرا أو سطرين عما أسماه بقدسية الأناجيل، وشرعيتها . فماذا يقول الدكتور منيس عن هذا؟ . لم يقل الدكتور منيس شيئاً عن أصل شرعية هذه الأناجيل!! بل بدأ مباشرة في الرد على التناقضات في الأناجيل الأربعة وبدأ بإنجيل متّى والذى أحصينا فيه {١٣٠} نقداً لإنجيل يقع فى {٤٤} صفحة!! .

إلا أننا وهذا أهم من تناقضات واختلافات الأناجيل سنطرح الجزئية الهامة وهى هل حقاً هذه الأناجيل شرعية؟ وهل حقاً هذه الأناجيل مقدسة؟ أو موحى بها؟ هذا هو الأهم لأن إذا كانت الأشياء باطلة فكل ما بنى عليها باطل، وأن الرد على الإعتراضات التى يرد عليها الدكتور منيس لا طائل من ورائها ـ مع ملاحظة أن ردود الدكتور منيس دائماً تتبع نظرية الإحتمالات تحت كلمتى {نعتقد ـ يجوز}، وكما سبق القول أن الإعتقاد دون توثيق كأنه لم يكن، وسنتلمّس طريقنا إلى الأناجيل ككل، فإذا أثبتنا أن هذه الأناجيل مجرد مؤلفات تاريخية لا تقدم ولا تؤخر، ولا تمت للقداسة أو الوحى بصلة قربى، لأصبح بعد ذلك أن مسألة أنتقاد الإصحاحات والرد عليها أو المجادلة فيها عبثاً غير ذى جدوى .

أولاً: يقول الأستاذ/ أحمد إدريس فى كتابه {تاريخ الإنجيل والكنيسة} : لقد شك بعض علماء المسيحية أنفسهم فى صحة الأناجيل . ففى صفحة ٩٠ من تاريخ الكنيسة الرومانية والمطبوع فى مرزا بور بالهند عام ١٨٥٦ جاء ما نصه:

كان كثير من المسيحيين يكتبون بأنفسهم كتباً يروجونها بعد نسبتها إلى هذا أو ذاك من أصحاب المسيح أو أحد خدامهم أو أسقف كبير من الأساقفة، وقد بدأت عمليات التزوير هذه من القرن الثالث الميلادى واستمرت سنوات طويلة وكانت عمليات

مؤسفة للغاية . وبسبب الضعف التاريخى فى الأناجيل وتناقض روايتها فيما بينها، أنكر كثير من الباحثين المسيحيين وجود المسيح نفسه . فالباحث الفرنسى {دو بوى} فى كتابه عن أصل الأديان يقول: إن المسيح لم يكن له وجود أصلاً بل المراد به الشمس التى تولد من بطن الربيع العذراء {يعنى مريم} وفصل الخريف {بيلاطس النبطى} هو الذى قبض على المسيح وصلبه {يعنى حلول موسم الشتاء وتجمد كل شئ فيه} ثم بعد فترة تعود حرارة الشمس وهو ما يجب فهمه على أنه القيامة بعد الموت .

وعلى الدرب نفسه يقول الباحث الدينى الألمانى الدكتور/ ستراس عام ١٨٣٥م وفى كتابه سيرة المسيح: إن جميع وقائع سيرة المسيح المذكورة فى الأناجيل مأخوذة كلها من خرافات الوثنيين .

ومن العلماء الذين أنكروا وجود المسيح البروفيسور {سميث} فى كتابه {Ecoedeus} والبروفيسور الألمانى {دريوز} والفرنسى {كوتشو} والباحث {بروسبر الفاريك} ، {فيتوريس ماتشيدرو} وغيرهم الذين، قالوا إن المسيح لم يكن غير شخصية خيالية .

أما عن حياته وسيرته فإن معرفة تاريخ ميلاده ودعوته ثم صلبه على وجه اليقين لا يمكن القطع بها بناء على ما جاء فى كتب اليهود أو كتابات الوثنيين المعاصرين لمولده . فقد اعترف المؤرخ {فيرار} فى كتابه عن حياة المسيح، بأن تاريخ ميلاده غير معروف البتة، أما دائرة المعارف البريطانية فى جزئية عن يوم رأس السنة الميلادية فتنتقد روايات الأناجيل التى تقول أنه فى ليلة ميلاد المسيح كان الرعاة وقطعانهم موجودين وتتساءل كيف يمكن ذلك وفى ديسمبر تهطل أمطار غزيرة فى فلسطين .

وتقول دائرة المعارف أن ٢٥ ديسمبر لم يكن يعتبر يوم ميلاد المسيح حتى الأربعة القرون الأولى، وأن تحديد هذا اليوم أسند إلى الراهب {دايونيس} الذى كان مُنَجماً فقرر له الخامس والعشرين من ديسمبر لأن هذا اليوم كان يوماً مقدساً قبل مولد المسيح بحوالى ستة قرون، وكانت آلهة كثيرة قد تقرر ميلادها فى هذا اليوم ومن ثم اختاره هذا الراهب للمسيح أيضاً .

أما القرآن فيشير إلى أن المسيح ولد فى فصل الصيف وكما جاء فى سورة مريم:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]، لأن ثمار النخيل لا تثمر إلا فى فصل الصيف .

ثانياً: يقول شارل جنيبر أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس: إن المسيحية تنبع أساساً من حركة يهودية . وهى تبدو أولاً وعلى وجه التخصيص كظاهرة تهم الحياة الدينية اليهودية وتتميز بها البيئة الفلسطينية، ولا يمكن تصور قيامها خارج نظام العالم اليهودى . وقد بدأ بهذه الحركة ـ التى تعددت آثارها فيما بعد ـ عيسى الناصرى، ولا تعنى كلمة الناصرى فى غالب الظن {رجل الناصرة} ولكن {الناظر} أى {قديس الله} .

ولا أعتقد أنه يمكن التشكيك فى وجوده على غرار ما يحاوله البعض فى أيامنا هذه . ولكننا متى أثبتنا وجوده التاريخى، فإننا بذلك نضع أنفسنا مباشرة فى تيه من التاريخ كله ظلمات وشكوك . ولا أدل على ذلك من أن البحث الدقيق الذى دار فى السنوات الأخيرة على أساس من الوثائق الأصلية . لم يثبت سوى استحالة تصوير حياة عيسى فى شيئ من اليقين والتثبت .

ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعّى سرد سيرته على أنها مؤلفات تستند إلى الكثير من التحكم والنزعات الذاتية . ونستطيع إدراك السبب فى هذا الغموض من تخيل أحاسيس هؤلاء الرجال الذين استمعوا إلى دعوة عيسى وآمنوا بها، ثم هالهم وأيأسهم تعذيبه وصلبه، وأعلنوا بعد ذلك بعثه . هؤلاء لم يشعروا البتة بالحاجة إلى تدوين ذكرياتهم أو رسم شعورهم عنه . إنهم لم يفكروا فى أن يكتبوا إلى أجيال قادمة كانوا على يقين من أنها لن تأتى . فالعالم ـ عالم الظلم والخطايا ـ كان فى عقيدتهم وشيك النهاية[1]، لذلك كانوا يترقبون ما بين لحظة وأخرى توقف الحياة البشرية وظهور المسيح المنتصر فى السماء[2] .

ثم يستطرد شارل جنيبر: إننا لابد أن نقر واقعاً واضحاً للعيان أن المسيح لم ينجح فى دعوته، وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التى نسبها إلى نفسه ولم

(١) أنظر الأصحاح ٢٤ ، ٣٤ ـ إنجيل متى .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارل جينبر .

يسيروا على نهج الأخلاق التى أراد أن يُوحى بها إليهم ـ إنه لم يؤسس شيئاً ولم يأت بدين جديد. ولا حتى بأى طقس جديد من طقوس العبادة . لم يأت إلا بتصور شخصى فريد للتقوى وفى إطار الديانة اليهودية . تلك الديانة التى لم يزعَم قط أنه ينبغى التعبير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها . واعتمدت تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التى آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه إلا أنه فهمّها وعبر عنها بطريقته الخاصة ـ أما أن ننسب إليه إرادة تأسيس كنيسة تكون كنيسته هو . كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التى يعينها لها والتى يظهر فيها رضاه عنها .. كنيسة تمهّد لها فتح الأرض جميعاً . فهذا واقع لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخى . ولن نتعدى الحق إن أضفنا أن كل ذلك لا يمكن إعتباره إلا تحريفاً لفكرته .

ثالثاً: يقول الدكتور {فريدرك كلفتن جرانت} أستاذ الدراسات اللاهوتية بمعهد اللاهوت الإتحادى بنيويورك فى كتابه {الأناجيل أصلها وتطورها}: لقد رأينا أنه قبل عام ١٤٠م لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية . على عكس ما يكتبه بعض المعلقين حتى اليوم ـ وكما يفعل الدكتور منيس أيضاً ـ بل يجب انتظار عام ١٧٠م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنسياً .

فى تلك العصور المسيحية الأولى كان تداول كثير من الكتابات المسيحية، غير أنه لم يعتد بها ككتابات جديدة بصفة الصحة كما أوصت الكنيسة بإخفائها ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة {Apocryphes} ولقد بقى من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها كانت تتمتع بالتقدير العام ـ على ما تقول لنا الترجمة المسكونية ـ إلا أن هناك نصوصاً أخرى قد استبعدت بشكل أكثر عنفاً ولم يتبق منها إلا بعض الأجزاء . ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين . لذلك يقول الأب {كايننجست} الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس فى كتابه {الإيمان بالقيامة}: أنه لم يعد واجباً الأخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل .

الأناجيل والرسائل غير المعترف بها

١} إنجيل برنابا
٢} إنجيل متى {غير المعتمد كنسياً}
٣} إنجيل الأبيونيين
٤} إنجيل توماس
٥} إنجيل السبعين
٦} إنجيل العبريين
٧} إنجيل يعقوب
٨} إنجيل نيكوديم
٩} إنجيل التذكرة
١٠} إنجيل الصبوة لبطرس
١١} إنجيل الحياة
١٢} إنجيل مانى
١٣} إنجيل بطرس
١٤} إنجيل المصريين
١٥} إنجيل مرقيون
١٦} إنجيل توما
١٧} إنجيل طفوليات المسيح
١٨} إنجيل يعقوب
١٩} إنجيل متياه
٢٠} الإنجيل الثانى ليوحنا
٢١} إنجيل برنباه
٢٢} إنجيل تهيودشن
٢٣} إنجيل أندرياه
٢٤} إنجيل الطفولة
٢٥} إنجيل فيلب
٢٦} إنجيل برتو لماه
٢٧} إنجيل الحق
٢٨} إنجيل نيقوديموس
٢٩} إنجيل الكمال
٣٠} إنجيل بول
٣١} إنجيل فيلبس
٣٢} إنجيل سما لائيل
٣٣} إنجيل الانكراتيين
٣٤} إنجيل هسيشيوس
٣٥} إنجيل باسيليوس
٣٦} إنجيل أبللس
٣٧} إنجيل ماتياس
٣٨} إنجيل يهوذا
٣٩} إنجيل ناسينس
٤٠} إنجيل برثولماوس

٤١} إنجيل الناصريين
٤٢} إنجيل فاسينس
٤٣} إنجيل الإثنى عشر
٤٤} سفر المشاهدات
٤٥} كتاب الأسرار
٤٦} إنجيل الإقرار
٤٧} رسالة إلى أبكرس ملك آديسه
٤٨} كتاب التمثيلات والوعظ
٤٩} كتاب السحر
٥٠} رسالة مريم إلى سى سيليان
٥١} كتاب مسقط رأس مريم
٥٢} كتاب تاريخ مريم وحديثها
٥٣} كتاب نسل مريم والخاتم السليمانى
٥٤} مشاهدات بطرس الثانية
٥٥} كتاب المعراج
٥٦} مباحثة بطرس
٥٧} كتاب تستمنت
٥٨} رسالة زبورة
٥٩} رسالة إلى بطرس
٦٠} كتاب مسقط رأس المسيح
٦١} رسالة المسيح التى سقطت من السماء
٦٢} رسالة مريم إلى أكتاشس
٦٣} كتاب مريم وظئرها
٦٤} كتاب معجزات المسيح
٦٥} رسالة بطرس إلى كليمنس
٦٦} تعاليم بطرس
٦٧} وعظ بطرس
٦٨} أعمال يوحنا
٦٩} كتاب مسافرة يوحنا
٧٠} رسالة يوحنا إلى حيدر وباك
٧١} المشاهدات ليوحنا
٧٢} كتاب مسافرة توما
٧٣} كتاب وفاة مريم
٧٤} أعمال متياه
٧٥} كتاب بى سن برنياه
٧٦} رسالة برنياه
٧٧} آداب صلاة بطرس
٧٨} كتاب قياس بطرس
٧٩} حديث يوحنا
٨٠} أداب صلاة يوحنا
٨١} أعمال توما
٨٢} مشاهدات توما

٨٣} آداب صلاة يعقوب
٨٤} حديث متياه
٨٥} آداب صلاة مرقس
٨٦} الفضائل الكيملنتية
٨٧} أعمال بولس
٨٨} رسالة بولس إلى لادوقيين
٨٩} رسالة بولس الثالثة إلى أهل تسالونيقى
٩٠} رسالة بولس الثالثة أهل كورنثيوس
٩١} رسالة بولس إلى سفكيا
٩٢} المشاهدات الثانية لبولس
٩٣} وعظ بولس
٩٤} أعمال اندراوس
٩٥} رؤى الراعى لهرماس
٩٦} رؤيا بولس
٩٧} رسالة إكليمنتس
٩٨} آداب صلاة متى
٩٩} أعمال فيليب
١٠٠} مأثورات كليمنت
١٠١} نهاية العالم لجاك
١٠٢} أعمال تهلكة
١٠٣} مشاهدات بولس
١٠٤} كتاب رقية الحية
١٠٥} رسالة الرسل
١٠٦} رؤيا بطرس
١٠٧} الديداكى
١٠٨} رؤيا استفانوس
١٠٩} وزن بولس

رابعاً: يقول شارل جنيبر: إن تصفح الأناجيل وحده لا يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية . ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض التسلسل حوادثه عليهم[١] .

وهذا يبرهن إن إدعاء بعض علماء النصارى ومنهم الدكتور منيس أن هذه الكتب ملهمة هو إدعاء ليس له أساس من الصحة، فليس من المنطق أن الإلهام أو الوحى يكون له مثل هذا التخبط أو التناقض فى تسلسل الأحداث، أو أن هناك أحداثاً هامة كتبتها

(١) المصدر السابق

بعض الأناجيل وأخرى لم تذكرها، فنجد المؤلفين كلُ قد اتبع هواه وخطته الخاصة . بل لا يوجد أحد منهم قد اعتمد على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح، فلم يكن عملهم إذن إلا أن يربطوا بين أطراف المرويّات، تكون نهايتها سيرة تفتقر إلى الوحدة الحقيقية، ولعلنا نلحظ فى هذه السيرة الإنجيلية تناقض خطير حتى فى إنجيل مرقس الذى بلغ به الحرص فى أنه تحاشى سرد مولد عيسى وطفولته، وكذلك من المرجح أن الحوادث المتعلقة بالصلب فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين بها وقبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت فى خيالهم بالأساطير المختلفة والشائعة فى الشرق، مثل بعض أساطير بوذا وكرشنه .

جدول يبين بعض المقارنات بين الديانات الوثنية والمسيحية:

ومصادر هذا الجدول أخذت من خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى لـ{داون} ، وتاريخ الهند لـ{موريس} ، خرافات البوذية لـ{هاردى} ، تحليل العقائد الدينية {الكونت أمبرى} ، تاريخ بوذا {بيل} ، فشنو بوراما {ترجمة ويلسن} ، تاريخ آداب اللغة السنسكرينية القديمة {مولر} . وبعض المصادر الأخرى المتعددة .

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
عقيدة النبوة الإلهية	كرشنه: هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس	بوذا: هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس	يسوع المسيح: هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس

أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	الموضوع {العقيدة}
وُلد يسوع من العذراء مريم التى أختارها الله الأب لأبنه بسبب طهارتها وعفتها . {إنجيل مريم، الإصحاح السابع} وُلد يسوع من العذراء مريم من غير مضاجعه رجل أنظر: {متى ١: ١٨، لوقا ١: ٣٤-٣٨}	وُلد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل . {أوليمس، ديانة الهنود الوثنيين . صفحات ٨٢، ١٠٨}	وُلد كرشنه من العذراء ديفاكي التى أختارها الأب لأبنه بسبب طهارتها وعفتها . {دوان صفحة ٢٧٨ Doane	١} مولده
{فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النساء} {لوقا ١: ٢٨} {وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك . فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله} {لوقا ١: ٣٥}	كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا . {دوان . صفحة ٢٨٩} {بنصون . صفحة ١٠، Bunsen ٢٥}	قد مجّد الملائكة ديفاكي والدة كرشنه ابن الله وقالوا: {يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة} {تاريخ الهند . المجلد الثانى . صفحات ٣١٧، ٣٦٧}	٢} بشارة الملاك بالإبن القدوس

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
٣} ظهور نجمة فى السماء	عرف الناس ولادة كرشنه من نجمة الذى ظهر فى السماء. {تاريخ الهند المجلد الثانى صفحات ٣١٧، ٣٦٧}	وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه نجم المسيح . {دوان . صفحة ٣٩٠}	{أين هو المولود ملك اليهود . فإننا رأينا نجمة فى المشرق واتينا لنسجد له} . {متى ٢ : ٢}
٤} تسابيح الملائكة للمولود {ابن الله}	{لما وُلد كرشنه سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره . وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة} Vishnu Purama {فشنوبوراما . صفحة ٥٠٢}	{لما وُلد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أنا شيد المجد للمولود المبارك قائلين: وُلد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرة والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ويهب البصر للعمى} {دوان . صفحة ٢٩٠}	{وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام . وبالناس المسرة} . {إنجيل لوقا ٢ : ١٣، ١٤}
٥} عند الولادة لم يكن له موضع . مع أنه من سلالة ملوكانية	كان كرشنه من سلاله ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر {دوان . صفحة ٢٧٩} Doane	ويصلون نسب كوتوما بوذا من أبيه {صدودانا} فى أناس كلهم من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا وهو على	كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه {ملك اليهود} ولكنه ولد فى حال الذل والفقر بغار . فاضجعته فى

أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	الموضوع {العقيدة}
مزود بقر . انظر {متى ٢ : ٢، لوقا ٢ : ٧} { دوان . صفحة ٢٧٩} Doane ويقول دوان Doane في صفحة ٢٩١ : {ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين كلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم أبي البشر . وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته مذكورة في التوراة كتاب اليهود وليس بالإمكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضاً ويظهر لنا أن المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد بها إعلاء نسب حكيمهم علاوة على	زعمهم أول ملك صار في الدنيا . والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب {بيورازا} البرهمي توجد في أنسابه كثير من الأسماء والحوادث غير أنه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية ادخلوا فيها أسماء قبائل واخترعوا أسماء تمكنهم من اعلاء نسب حكيمهم عدا اعتبارهم إياه إلهاً} { دوان . صفحة ٢٩١} Doane لما نزل بوذا من مقعد الأرواح وحل في جسد العذراء مايا		

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
		صار حملها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة . {بنصون، اللاك المسيح صفحة ٢٠ Bunsen } {دوان . صفحة ٢٩٠ Doane}	قولهم بألوهيته} انظر: {متى ١: ١ـ١٧، لوقا ٣: ٢٣ـ٣٨} وقابل مع أخبار الأيام الأول ٣: ٥ـ١٩} مع أن المسيح ينفى نسبه إلى داود {لوقا ٣٠: ٤١ـ٤٢}
٦} لما وُلد كرشنه أضئ الغار وكذلك يسوع	لما وُلد كرشنه أضئ الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكى يرسل أشعة نور مجد . {دوان . صفحة ٢٧٩ Doane}	.	لما وُلد يسوع المسيح أضئ الغار بنور عظيم أعيى بلمعانه عينتى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار {إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح {١٢} العدد {١٣}} لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
			{ دوان . صفحة ٢٩٠ Doane} {بنصون . صفحة ٢٠ Bunsen} الكونت إمبرلى، تحليل العقائد الدينية، صفحة ٤٢٤ Amberly
٧} يكلم الناس فى المهد	ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها . {تاريخ الهند . المجلد الثانى . صفحة ٣١١}	لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعاً {كتاب هردى المدعو العقائد البوذية صفحتي ١٤٥، ١٤٦}	وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل: {يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى إليك وقد أتيت لأخلص العالم} {إنجيل الطفولة الإصحاح الأول العدد ٢، ٣}
٨} عرفه الحكماء وآمنوا به وقدموا له هدايا	وآمن الناس بكرشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب . {كتاب الديانة الشرقية صفحة ٥٠٠ وكتاب الديانات القديمة المجلد	وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حيّاه الناس ودعوه إله الآلهة وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من	وآمن الناس بيسوع المسيح واعترفوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر {متى ٢: ٢} وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله
	الثاني صفحة ٣٥٣}	مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة {دوان . صفحة ٢٩٠} Doane	ومر {إنجيل متى ٢: ١-١١}
٩} وباركه رجل بار تقي	وسمع نبي الهنود {نارد} بمولد الطفل الإلهي كرشنه فذهب وزاره في {كوبول} وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد . {تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧}	ولد بوذا بن العذراء مايا التي حلَّ فيها الروح القدس يوم ٢٥ كانون الأول الذي صار يحتفل به من عام إلى عام يوم عيد الميلاد . {بنصون . صفحة ١٠} Bunsen	وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان . وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزيه إسرائيل والروح القدس كان عليه . أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ..} {لوقا ٢: ٢٥-٣٠}
١٠} الملك ..	وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنه الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي	.	وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل الإلهي وطلب قتله وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في تلك الليلة التي ولد

أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	الموضوع {العقيدة}
فيها يسوع المسيح} {متى ٢: ١٦}		ولد فيها كرشنه} {دوان . صفحة ٢٨٠} Doane	
وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طلب اهلاكه {متى ٢: ١٣، ١٤} واسم المدينة التي هاجر إليها الطفل يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية هي المطرية ويقال أنه عمل فيها آيات وقوات عديدة . {المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين وكذلك كتاب سفلرى المدعو الرحلات المصرية . المجلد الأول صفحة ١٣٩}		وسمعناندا خطيب ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبي وأمه واهرب بهما إلى كابول واقطع نهر جمنه لأن الملك طالب إهلاكه {كتاب فشنوبورانا الفصل الثالث}	١١} ملاك الرب يأمر خطيب أمه بالهرب

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
١٢} الموطن والمعجزات الأولى	واسم المدينة التى ولد فيها كرشنه {مطراً} وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنه أنه ابن الله وأنه الله إلى يومنا هذا . {تاريخ الهند المجلد الثانى صفحة ٣١٧، والتنقيات الأسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩}		واسم المدينة التى تربى فيها يسوع المسيح {الناصرة} وفيها صنع معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل {يوحنا ٢: ١ـ ١٧} {متى ٤: ٢٣ ـ ٢٥}
١٣} ولادة يحيى قبل ولادة يسوع وولادة راما قبل ظهور كرشنه	كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنه فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانثا ملك البلاد اهلاك القديس راما والقديس كرشنا أيضاً {تاريخ الهند المجلد الثانى صفحة ٣١٦}		وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس فى اهلاك يوحنا كما سعى فى اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
			المسيح . {إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإصحاح السادس} {إنجيل متى ١٤: ٣ـ١٢. إنجيل يوحنا ١ ١٩ـ٣٦} .
١٤} يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبه {متى ٧: ٢٩} كرشنا بوذا . يسوع فى صموتهم فاقوا الشيوخ علما غ	ربى كرشنه بين الرعاة ولما جئ به إلى مطرا كان فى احتياج عظيم التعليم . فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى المسائل العلميه السنسكريتيه دقيقة . {دوان صفحة ٢٨٠ Doane {تاريخ الهند المجلد الثانى صفحة ٣٢١}	لما أرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد ادهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة والعرافة . ولما صار عمره اثنى عشرة سنه دخل الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه . {هاردى اللاك المسيح	أرسل يسوع المسيح وهو صبى عند المعلم داخوس كى يعلمه . فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل ـ ألف ـ فقال الرب يسوع أخبرنى أولا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول الباء . فهدد المعلم يسوع بالضرب . فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمه والحروف المنحنية والحروف المثناه والتى لها نقط وناذ وضعت

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله
		ص ٣٧} {تاريخ الديانة البوذية صفحة ٦٧ـ٦٩}	فى هذا الترتيب أى بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها فى كتاب {إنجيل الطفولة ٢٠: ١ـ٨} {إنجيل لوقا ٢: ٤٦ـ٤٧} قال أستاذه داخيوس لأبيه يوسف: {لقد أتيتنى بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم} {إنجيل الطفولة ٢٠: ١١}
١٥} التجربة من بليس		لما عزم بوذا على السياحة قصد التعب والتنسك وظهر عليه ـ مارا ـ أى الشيطان كى يجربه، وقال مارا لبوذا لا تسرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة	لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كى يجربه . وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . فأجابه يسوع وقال اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله
		سبعة أيام تصير ملك الدنيا . فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عني . ولما ترك مارا تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً وطيباً ملأ الهواء طيب عرفه {دوان صفحة ٢٩٢}	للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه الشيطان وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه . {متى ٤: ١٠، ١١، لوقا ٨: ٤، ١٣-١٥}
١٦} المعمودية		وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذى فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا . {بنص، كتاب الملاك المسيح صفحة ٤٥} {بل Beal تاريخ البوذية صفحة ١٧٧}	ويوحنا عمَّد يسوع في نهر الأردن وكانت روح حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذى فيه تم تجسدد عندما حلَّ بالعذراء مريم فهو الأب والإبن والروح القدس . {متى ٣: ١٣-١٧}

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
١٧} غسل أرجل التلاميذ	وكان كرشنه خير الناس خُلقاً وخلقاً وعلّم باخلاص ونصح . وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت . {موريس وليمس، دين الهنود صفحة ١٤٤}		وكان يسوع خير الناس خُلقاً وعلّم بالإخلاص وغيره وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية مثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم ظهر لنا بالناسوت . {إنجيل يوحنا ١٣: ١-١١}
١٨} اتحاد اللاهوت بالناسوت {الحلول الإلهى على الإنسان}	كرشنه هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية . كرشنه الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته .		يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر من أسراره العظيمة الإلهية . {ثيموثاوس أولى ٣: ١٦} يسوع المسيح الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند النصارى.

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
			{فيلبى ٢: ٥-١١، بولوسى ١: ١٥-١٧}
١٩} التجلى	وفى حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنا وأضاء وجهه كالشمس مجد العلى اجتمع فى إله الآلهة . فأجنى أرجونا رأسه تذللاً ومهابة وتكتف تواضعاً وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وأنى أرجو رجمتك يارب الأرباب فعد وأظهر على فى ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت . {موريس وليمس، دين الهنود . صفحة ٢١٥}	ولما كان بوذا على الأرض فى أواخر أيامه بدأت هيئته وهو إذ ذاك على جبل {بندافا} فى {سيلان} ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل إكليل، ويقولون أن جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضئ كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبدل فى هيئته قالوا ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم .	وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئة قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج . وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قاءل هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً . فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا . فرفعوا أعينهم ولما يروا أحداً إلا يسوع وحده.

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله
			{إنجيل متى ١٧: ١ـ٨} {إنجيل لوقا ٩: ٢٨ـ٣٦}
٢٠} نور العلم	قال كرشنه {أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما يضئ ونور الأنوار ليس فيَّ ظلمة} Wiliam Hinduism P.٢١٣		{ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة} {يوحنا ٨: ١٢}
٢١} الموت والصعود إلى السماء		لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية {أي بقوة إلهية} . وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض . {بنص، الملاك المسيح صفحة ٤٩} {دوان، Doane صفحة ٢٩٣	لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية أي بقوة إلهية . وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض . {إنجيل متى ٢٨: ١-٧} {إنجيل لوقا ٢٤: ١ـ١٢، ٢٤: ٥٠، ٥١} {أعمال الرسل ١: ١-١٢}

الموضوع {العقيدة}	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن بوذا ابن الله	أقوال المسيحيين فى يسوع ابن الله
٢٠} المجيئ الثانى والدينونة		ولسوف يأتى بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها . وسيدين بوذا الأموات . {دوان Doane صفحة ٢٩٣	ولسوف يأتى يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها . وسيدين يسوع الأموات . {متى ١٦: ٢٧، ٢٨، يوحنا ٥: ٢٢، ٢٣}

هل قرأ الدكتور منيس هذه المقارنات البسيطة غير مقارنات ديانة إيزيس وأوزريس عند المصريين، وأنا أثق تماماً أن الدكتور منيس يعلم تمام العلم هذه المقارنات وربما أكثر من هذا بكثير . ولكن التساؤل لماذا هذا الإصرار بالرغم من أنّ علم وثقافة الدكتور منيس تكاد أن تصل إلى حد كبير لوضع الأمور فى حقيقتها ونصابها الصحيح .

فهل المسألة لا تعدو مسألة دفاع عن دين هو يعلم علم اليقين أن الاختلافات حوله ضيعت مضمونه وجوهره الحقيقى الذى نادى به عيسى ﷺ .

خامساً: يتناول الدكتور شارل جنيبر الفترة الحالية التى وصلت فيه الأناجيل فيقول: إن العصر الذى تم تدوين الأناجيل على صورتها التى وصلت بها إلينا، هذا العصر قد فرض على العقيدة الخاصة ببعث عيسى والتى أصبحت الأساس الأول للمسيحية أن تخرج للناس فى إطار قوى، مدعمة بأحاديث عيسى نفسه والتى غالباً ما تكون غير صحيحة[1] .

---

(١) السابق .

المسيح نفسه ينفى قضايا الصلب والقيامة

إننا لو أخذنا قضية الصلب مثالاً فسنجد كم الاختلافات الهائل بين الأربعة أناجيل بالرغم من أن قضية الصلب هذه هى عماد هذه الديانة، فكيف يمكن أن تكون الانتقادات الصارخة فى قضية الصلب . والدكتور منيس يدعى أن المهم الجوهر، بمعنى أن هناك صلب حدث ولا يهم الإختلافات، فيقول الدكتور منيس فى بداية الرد على شبهات إنجيل متى {الكتب المقدسة الموحى بها لله لا تضيع معانيها ولا طلاوتها إذا ترجمت إلى عدة لغات}[1] . هذا الكلام يؤخذ على الدكتور ولا يحسب به . فالمسألة يا دكتور ليست مسألة اختلاف معنى، بل هى اختلاف واقع ووقائع حدثت مما ينفى الإدعاء عن القول إنها موحى بها من قبل الله فإن الله ﷻ لا يناقض الروايات ويكفى أن نذكر أن المضمون الذى تتحدث عنه، أى بمعنى أن الأناجيل قد اتفقت على واقعة معينه مثل قضية الصلب، فقد اتفقت الأناجيل الأربعة على واقعة الصلب . ولكن التناقضات بينها خطيرة، ويكفى أن نذكر أن مواضيع الأناجيل التى تناولتها الأناجيل والتى تبلغ وقائعها حوالى ١٩٠ موضوعاً لم تتفق فيها هذه الأناجيل الأربعة إلا فى ١٥ موضوعاً فقط وأيضاً ومع هذا الإتفاق إلا أن أحداث هذه الوقائع تختلف من إنجيل إلى آخر، فهل هذ موحى إليه من قبل الله كما يدعى الدكتور منيس؟ . إن فى كتاب الدكتور منيس والذى يرد فيه على اعتراضات إنجيل متى وجدنا ١٣٠ إعتراضاً على إنجيل متى الذى يحوى ٢٨ إصحاحاً أى بمعدل أربعة إعتراضات لكل إصحاح . فهل يكون هذا كتاب موحى إليه من قبل الله . ولكننا سنعود إلى قضية الصلب والتى اختلفت فيها الأناجيل سنجد إختلافاً فى الزمن وشهود العيان والوقائع ذاتها[2] . ومع هذا فإن عيسى أنكر قضية الصلب من أساسها، فإذا أنكر عيسى أنه لم يتم القبض عليه ولن يحاكم فإن قضايا الصلب والموت والدفن والبعث تنهار تدريجياً . وليس هذا بكلامى، بل هو نص ما أورده إنجيل يوحنا وفى الأصحاح {٧} العدد {٣٢} حيث يقول:

{سمع الفريسيون الجَمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خُداماً ليمسكوه . فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضى إلى

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ـ القس منير عبد النور .

(٢) انظر كتابنا هل القرآن معصوم ـ للمؤلف .

الذى أرسلنى . ستطلبوننى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود: فيما بينهم: إلى أين هذا مزمعٍ أن يذهب حتى لا نخبره نحن؟ العله مُزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلِّم اليونانيين؟ ما هذا القول الذى قال: ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟ .

كلام واضح لا لبس ولا تأويل فيه أو فلسفات، ولا يخرج علينا الدكتور منيس ليقول لنا أن المقصود هو واقعة الصلب لأنه يقول فى صراحة تامه: ستطلبوننى ولا تجدوننى . أى عندما يتم القبض عليه من قبل اليهود لن يكون موجوداً . مع العلم أن إنجيل يوحنا يقع فى ٢١ إصحاحاً وهذا القول كان فى الإصحاح السابع . أى أن يسوع كان يعلم أن اليهود سيحاولون القبض عليه، إلا أن الله ﷻ لن يمكنهم منه . وأنه سيرفع قبل هذه المحاولة للقبض عليه فكان قوله: وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . وهكذا أسقط مؤلف إنجيل يوحنا دون أن يدرى كل الإضافات التى إستعاروها من العهد القديم وأضافوها علي العهد الجديد فى محاولة إثبات أن هذا هو المسيح مثله مثل كرشنا وبوذا الذين تم أيضاً صلبهم . لذلك فإن دعاء المسيح لله أن يمرر عليه هذا الكأس وكما قيل فى إنجيل متى الأصحاح {٣٩/٢٦}، وفى مرقس الاصحاح {٣٥/١٤}، وفى لوقا الاصحاح {٤٢/٢٢} والذى يقول فيه وهو يدعو لله: {يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس .. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت}[1] وفيما معناه جاءت الأناجيل الثلاثة السالفة الذكر . والمعنى هنا واضح وهو دعاء المسيح أن يمرر عليه ما سيحدث من واقعة الصلب وهو لا يريد هذا، لا يريد أن يصلب أو يموت على الصليب، وهو رفض طبيعى للنفس البشرية، ولو كان المسيح إلهاً أو ابن إله لرفع عنه هذه الكأس - إلا أن المسيح يدرك أن صاحب الأمر فى هذا هو الخالق ﷻ، فهو كنفس بشرية يأبى ما سيحدث ودعاه هذا الإباء والرفض إلى الالتجاء إلى خالقه يدعوه أن يمرر عنه هذا الكأس

لذلك تؤكد دراسات الباحثين أن عيسى لم يدّعِ قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه انه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع وكما يقول الدكتور شارل يمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين . كذلك

---

(١) انجيل متى ٣٩/٢٦ .

لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير {ابن الله} على المسيح، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية والأساطير المصرية والهندية كما أنها اللغة التى استخدمها بولس وكما استخدمها يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع .

سادساً: عن موضوع سند الأناجيل الذى طرحه الدكتور منيس فى قوله فى إنجيل متى سبباً وفى مرقس سبباً آخر وفى لوقا وفى يوحنا فإنه يرجع السند إلى بعض أقوال القدماء!! وهذا يدل على عدم معرفة حقيقة معنى كلمة السند عند الدكتور منيس، فالسند الصحيح يلزم فيه التواتر بداية من إعلان قانونية الأناجيل عام ٣٢٥م حتى عصر المسيح ﷺ؛ لذا فالسند عندنا فى الشريعة أن يكون كل راو أو كُل رجل من رجال الإسناد قد روى عمن قبله . وهكذا من أول الإسناد إلى آخره حتى يصل إلى رسول الله ﷺ بل إن قواعد أصول الأحاديث تشترط لصحة الحديث أن يكون لكل راوٍ أو كل رجل من رجال الإسناد قد روى عمن قبله أو عاصره وسمع منه فى زمن واحد . وأن يكون متصل السند ولا يكون فيه حذف أو سقوط بعض الرواة، فيفتقد السند السند المتصل . مع الأخذ فى الإعتبار جيداً أن الأحاديث النبوية ليست نصاً مقدساً يتعبد به الناس أو تتلى فى صلاتهم . وهذا هو الصحيح فى الإسناد فهل يستطيع الدكتور منيس أن يجد هذا السند حتى عيسى ﷺ أم أنه يستشهد بأقوال من هنا وهناك حتى ولو كان قول واحد من الأباء الأولين فرأيه هو السند عند الدكتور منيس وغيره من العلماء . بل المصيبة الأدهى والأعظم هو ليس الإختلاف فى السند فقط بل الإختلاف فى اللغة التى كتبت بها الأناجيل لأنه لم يثبت وثائقياً بأى لغة أصلاً كتبت بها الأناجيل، وليس لأحد أن يحول مقولة عالم نصرانى أو اجتهاد له إلى وثيقة يعتد بها، فالقرآن والسنة كتبت باللغة العربية منذ نزول القرآن وحتى وقتنا هذا، لم تتغير ولم تتبدل، والطريف الذى يطرحه الدكتور منيس حول إنجيل لوقا الذى يعترف أنه يكتب ما حدث لصديقه ثاوفليس فى رسائله إليه، وأقول رسائله إليه، إلا أن الدكتور منيس فجاءة يحول رسائل لوقا إلى أن الروح القدس أوحت به لمؤلف الإنجيل أو الرسائل بمعنى أدق، ومن الذى قال هذا أو وثق هذه الإرهاصات . لا أحد!! وليتعجب معى القارئ من قول الدكتور منيس: {قال البشير لوقا بصفته من الرسل، الذين حلّ فيهم روح الله ـ هكذا فجاءة ـ فقوله رأيت أن

أكتب فسرّها الدكتور منيس أن معناها أن الروح القدس ألهمه ليكتب تاريخ المسيح وميلاده ومعجزاته وآلامه وموته وقيامته، ومع أن الله ألهم هذا الرسول بالروح القدس، إلا أنه لم يغض الطرف عما به من القُوى العقلية، فتحرى الحق} . أى والله هكذا كتب الدكتور منيس وكأنه يشرح فى إحدى مدارس التربية الفكرية ! !

لقد جاء فى الموسوعة الأمريكية الجزء الثالث القول: إن العهد الجديد من بدايته إلى نهايته هو كتاب إغريقى، فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التى تختص بأعمال المسيح وأقوله، لا شك أنها كانت متداولة باللغة الآرامية، وهى اللغة التى كانت سائدة فى فلسطين وبعض أجزاء الشرق الأدنى، وبالتالى بين اليهود، وهى اللغة التى تكلم بها المسيح وتلاميذه، وأنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة والتى كانت لغة الحديث فى عالم البحر المتوسط المتحضر .

ويعقب الدكتور محمد على ربيع هذا الكلام فى ان كلام الموسوعة الأمريكية هذا يثير الشك والريبة فى موضوع سند الأناجيل، فإذا كانت أقوال المسيح قد ترجمت من الآرامية إلى الإغريقية الدارجة، فإن معنى هذا أن الفصل الأول لأقوال المسيح مفقود .

لذلك يقول {هـ ج. ويلز} فى كتابه معالم تاريخ البشرية الجزء الثالث: من الحقائق الثابتة أن ما تحويه الأناجيل من مجموعة الأخبار والتأكيدات اللاهوتية التى تؤلف المبادئ المسيحية الطقوسية لا يقوم إلا على سند محدود جداً . إذ لا يوجد فى هذه الكتب ـ كما يرى القارئ بنفسه ـ ما يدعم ويؤيد كثيراً من تلك المبادئ التى يرى معلمو المسيحية على اختلاف نحلهم أنها ضرورية بوجه عام للخلاص . فإن سندها من الأناجيل غالباً ما يكون سنداً غير مباشر ومعتمداً على الرمز أو الإشارة . ولابد إذا من تصيد ذلك السند وإقامة الحجة عليه بالبحث والمجادلة، وفيما عدا بعض الفقرات التى تدور حولها المنازعات، يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسّر فيها مبادئ الكفارة والغداء أو حض أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سرّ مقدس، وهى اعباء وظيفة رجال الكهنوت وسنرى من فورنا كيف مزقّ الشقاق حول مسألة الثالوث فيما بعد . العالم المسيحى بأسره، وليس هناك دليل واحد على أن حوارى المسيح قد اعتنقوا ذلك المبدأ . كذلك لا يبرز المسيح دعواه بأنه المسيح، ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز . ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته لو أنه كان يراه أمراً فى الدرجة

الأولى من الأهمية . ومن أشد ما يحيّر الفكر قوله: حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح[1] .

وهنا سؤال يطرح نفسه على وقائع النقاط السابقة .

هل كتب عيسى ﷺ إنجيلاً؟

الدلائل تشير بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة أن عيسى لم يكتب شيئاً:

الدليل الأول: أن المسيح نشأ وتربى بين أمه مريم العذراء ويوسف النجار والذى كان يعمل نجاراً معه، ولذلك فقد كان أمّياً لا يكتب ولا يقرأ وإنما تلقى العظات والمواعظ شفوياً من أمين وحى السماء {جبريل} ونقلها إلى الشعب والتلاميذ .

الدليل الثانى: أننا لم نسمع عن أحد التلاميذ الإثنى عشر كان يكتب ما يقول، ودعنا من الأناجيل الأربعة القانونية لأنه لم يثبت يقيناً أن هذه الأناجيل كتبها أصحابها .

الدليل الثالث: أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة سواء كانت شريعة تعبديّة أو أحكاماً شرعية أو طقوس من نوع ما، والفاحص للأناجيل سيجد كلام المسيح لم يكن سوى مجرد مواعظ روحية لتهذيب النفس وتقويم الروح، أو تكرار لبعض آيات التوراة لإعترافه ومنذ البداية بأنه لم يبعث لنقض التوراة بل مكملاً لها وبشريعتها، وهذا ما أورده القرآن الكريم من خلال آياته الكريمة:

١} ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ﴾ [البقرة:١٧٤] . والكتمان هنا لواقع يتداول شفهياً وليس كتاباً مكتوباً . مثل كتمان الشهادة .

٢} ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦] . والاختلاف لا يكون فى شئ مكتوب، ولكن الاختلاف عادة ينشأ فيما يتداول شفهياً، من ذلك الاختلاف الشديد الذى نشأ فى ماهية الأقنوم الثانى وجوهره إذ كانوا صادقين .

٣} ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾

(١) متى ٢٠/١٦ .

[المائدة:٦٨] . وهذا إشعار من الله ﷻ أن اليهود والنصارى لم يقيموا ويتخذوا صحيح التوراة وصحيح الإنجيل التى فقدت أصولها وحقيقتها والدليل قوله ﷻ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣] . برهاناً على عدم وجود التوراة .

٤} الآية الفاصلة فى كل ما سبق قول الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [البقرة:٧٩] . آية صريحة وجهت لليهود والنصارى لتحريفهم كتبهم وإدعاؤهم أنها من عند الله وكما يفعل علماء النصارى فى قولهم أن الأناجيل الأربعة موحى بها من قبل الله وما هى من قبل الله .

سابعاً: إن العهدَ الجديد الذى بين أيدينا الآن لم يعرف قانونية قبل القرن الرابع الميلادى وعلى الرغم من أن محتويات العهد الجديد كانت معروفة على العموم فى عام ٢٠٠ ميلادياً ـ شفهياً أو مجرد رسائل ـ أما الأناجيل الأربعة ورسائل بولس فقد قبلت على نطاق واسع . وأن اختيار الأناجيل الأربعة والتى تم إختيارها من بين العديد من الأناجيل وكما تقول الموسوعة الأمريكية لم يتم إختيارها عن طريق أى مجمع بل كانت بالمحك الدائم للإستعمال اليومى . لذلك كان هناك تأخير لمدة طويلة فى قانونية كتابين رئيسين من كتب العهد الجديد وهما كتاب رسالة إلى العبرانيين ورؤيا يوحنا .

فزعم أن الرسالة إلى العبرانيين قد كتبت فى الغرب، ةربما فى روما، فإنها لم تقبل لمدة طويلة .

وكذلك كتاب رؤيا يوحنا اللاهوتى فقد كان الشرق هو الذى تردد فى قبوله رغم أن الغرب هو الذى قبل أولاً رؤيا يوحنا .

وربما يتساءل أحد ولماذا لم تتخذ المسيحية إنجيلاً واحداً بدلاً من هذا الزخم من أربعة أناجيل إضافة أعمال الرسل ثم إضافة واحد وعشرين رسالة ثم رؤيا يوحنا اللاهوتى . فيكون إجمالى العهد الجديد سبعة وعشرون سفراً وعدد الإصحاحات ٢٦٠ . وبذلك يقترب من العهد القديم الذى يشمل تسعة وثلاثين سفراً بإجمالى ٩٢٩ إصحاح .

والجواب على ذلك: أن الأناجيل قد جمعت معاً فى إنجيل رباعى عام ١٥٠م، فكونت بذلك مجموعة من كتب العهد الجديد، وهى المحاولة التى قام بها {ماركيون} عام ١٤٠م لجمع عدد من الكتب المسيحية لكى يستأصل نفوذ العهد القديم أو تتعادل مع كتبه .

وتقول الموسوعة الأمريكية: إن هناك بعض الكتب التى إستخدمت كمصادر إستقت منها الكتب الحالية وقامت على أكتافها ـ وخاصة الأناجيل ـ وبمجرد أن استخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتب فى تصانيف أكبر فقد بَطُل نسخها ثم ما لبثت أن اختفت[1] .

خلاصة القول فيما يتعلق بتحديد الزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة الصفة القانونية، ومن ثم اعتبروها كتباً مقدسة فإن أحداً لا يدرى عن هذا الموضوع شيئاً . وليس هناك توثيق مؤكد بذلك بحيث يعطى الفرصة لأى عالم أن يدعى أن الأناجيل الأربعة متصلة السند بالسيد المسيح أو بالحواريين أو حتى بالروح القدس . وما يوجد ليس سوى اجتهادات هوائية اختلطت بالفلسفات اليونانية والهندية والمصرية .

ويقول {فاستس}: إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجال مجهولو الإسم ثم نسب إلى الحواريين .

أما {دافيد بنجامين}: والذى كان قسيساً للروم من طائفة الكلدان ثم تسمى بعد إسلامه بالأب عبد الأحد داود . فيقول فى كتابه الإنجيل والصليب وتحت عنوان {الكنيسة العامة بقيت ٣٢٥ عاماً بغير كتاب} . فيقول:

إن السبعة والعشرين سفراً أو رسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية العام ٣٢٥م وحكمه، لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور .

وقد جاءت من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من الأرض ما يزيد على ألف مبعوث روحانى يشكلون المجمع العام وبمئات من الأناجيل والرسائل المختلفة، وكل منهم يحمل نسخة من إنجيل أو رسالة لأجل التدقيق، وهناك تم اختيار أربعة أناجيل مما يربو عدده على الأربعين أو الخمسين من الأناجيل المختلفة والمتضادة مع

---

(١) الموسوعة الامريكية ج٣ ـ ١٨٥٩ .

إحدى وعشرين رسالة من رسائل لا تعد ولا تحصى، فصودق عليها، وهكذا ثبت العهد الجديد من قبل هيئة عددها ٣١٨ شخصاً من القائلين بألوهية المسيح وهم ثلث أعضاء المجمع المذكور .

لذلك يقول {أغوسطين} فى دعواه التى تصف كتاب الأناجيل بالرسل لم تعد مقبولة اليوم، أما فيما يتعلق بتاريخ تحرير الأناجيل فيؤكد {أ. تريكو} أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠م وليس هذا أيضاً مقبولاً، أما فيما يتعلق بيوحنا الذى جعله {أ. تريكو} يعيش إلى ما يقرب من ١٠٠ عام فقد اعتاد المسيحيون صورته التى تصوره دائماً على قرب شديد من المسيح فى ظروف رسمية {مثل أيقونة العشاء الأخير} .

وبناء على هذا بقول {أ. بولمان} : إن المبشرين لم يكونوا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى عملت على تثبيت التراث الشفهى، فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين عاماً فى شكله الشفهى فقط أو بالكاد، وقد نسج المبشرون كلُ على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة وإهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلّقوها من التراث السائد .

٭ ——— ٭

إدعاء نسب المسيح

وهى أحد الأطروحات التى يطرحها الدكتور منيس على القارئ فى محاولة غير ذات جدوى فى الرد على شبهة نسب المسيح متحججاً بأن اليهود لم يهاجموا إنجيل متى ولوقا فى سلسلة النسب هذه، على الرغم من علم الدكتور منيس أصلاً أن اليهود لا يعترفون بالأناجيل أو حتى المسيحية أو حتى الإعتراف بالمسيح وكما سبق الطرح فى كتبنا السابقة .

إن الدكتور منيس يؤمن تماماً بأن إنجيل متى ولوقا كُتبا بوحى إلهى، وبالتالى فإن الوحى الإلهى الذى يدّعيه الدكتور منيس لا يخطئ، فمن غير المعقول أو المنطق البديهى أن يوحى هذا الوحى الإلهى إلى متى بشيئ ثم يوحى إلى لوقا بشيئ آخر. ثم لا يوحى إلى مرقس ويوحنا بأى شيئ عن نسب المسيح . ثم نرى الدكتور بعد ذلك يضع

الشين في غير موضعه ويخلط الأوراق في محاولة ساذجة محل هذه المعضلة وهي نسب المسيح . فيقول: إن الشخص الواحد كان يحمل اسم أبوين وينتمي إلى سبطين أحدهما بالميلاد الطبيعي، والثاني بالمصاهرة، فقد كان اليهود ينسبون أحياناً الرجل لوالد زوجته ونجد هذا في أماكن كثيرة في العهد القديم فيقول: ومن بني الكهنة، بنو حبايا، بنو هتّوس .

وهذا خطأ لا يقع فيه عالم مثل الدكتور منيس، لأن كلمة بنو تفيد أبناء قبيلة أو عشيرة، كما نقول بنو قريش، بنو عبس، بنو عبد مناف، وبنو بكر، .. الخ أي أن فلاناً ينتسب إلى قبيلة كذا . وهذا لا ينطبق على نسب المسيح فنجد متى افتتح إنجيله بنسب المسيح وبدء النسب من نبي الله إبراهيم ﷺ وانتهى بالنسب إلى المسيح، ولكن كيف؟ لقد أنهى متى سلسلة النسب إلى يوسف وأوضح متى من هو يوسف {رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذى يدعى المسيح}[1] .

وليُسقط متى نظرية الدكتور منيس بمسألة الميلاد والمصاهرة . لأنه بذلك يحاول ربط المسيح بيوسف عن طريق المصاهرة .

والمفروض أن أحد الأعمدة الأساسية بمعجزة المسيح حتى في الإسلام أنه ولد بدون أب سواء بالميلاد وبالتالى بالمصاهرة . إلا أن إنجيل لوقا كان على عكس إنجيل متى حيث بدأ بالمسيح وانتهى بإبراهيم . فإذا تمعنا في الفرق بين سلسلة نسب متى وسلسلة نسب لوقا لوجدنا عجباً، وحتى لا نرهق القارئ سنضع ترتيب نسب متى ليتماشى مع سلسلة نسب لوقا:

م	نسب إنجيل متى	م	نسب إنجيل لوقا
١	إبراهيم	١	إبراهيم
٢	اسحق	٢	اسحق
٣	يعقوب	٣	يعقوب
٤	يهوذا	٤	يهوذا
٥	فارص	٥	فارص

(١) إنجيل متى الإص١٤حاح

م	نسب إنجيل متى	م	نسب إنجيل لوقا
٦	حصرون	٦	حصرون
٧	آرام	٧	آرام
٨	عمينا داب	٨	عمينا داب
٩	نخشون	٩	نخشون
١٠	سلمون	١٠	سلمون
١١	بوعز	١١	بوعز
١٢	عوبيد	١٢	عوبيد
١٣	يسى	١٣	يسى
١٤	داود {الملك}	١٤	داود {الملك}
١٥	سليمان	١٥	ناثان
١٦	رحبعام	١٦	متاثا
١٧	ابيا	١٧	مينان
١٨	آسا	١٨	مليا
١٩	يهوشافاط	١٩	الياقيم
٢٠	يورام	٢٠	يونان
٢١	عزيا	٢١	يوسف
٢٢	يوثام	٢٢	يهوذا
٢٣	احاز	٢٣	شمعون
٢٤	حزيا	٢٤	لاوى
٢٥	منسى	٢٥	متثات
٢٦	آمون	٢٦	يوريم
٢٧	يوشيا {السبى}	٢٧	اليعازر
٢٨	يكنر	٢٨	يوسى
٢٩	شألتيئيل	٢٩	عير
٣٠	زر بابل	٣٠	المودام
٣١	أبيهود	٣١	قصم

م	نسب إنجيل متى	م	نسب إنجيل لوقا
٣٢	الياقيم	٣٢	آدى
٣٣	عازور	٣٣	ملكى
٣٤	صادوق	٣٤	نيرى
٣٥	أخيم	٣٥	شألتيئيل
٣٦	اليود	٣٦	زربابل
٣٧	اليعازر	٣٧	ريسا
٣٨	متان	٣٨	يوحنا
٣٩	يعقوب	٣٩	يهوذا
٤٠	يوسف	٤٠	يوسف
٤١	المسيح	٤١	شمعى
		٤٢	متاثيا
		٤٣	مآت
		٤٤	نجاى
		٤٥	حسلى
		٤٦	ناحوم
		٤٧	عاموص
		٤٨	متاثيا
		٤٩	يوسف
		٥٠	نيا
		٥١	ملكى
		٥٢	لاوى
		٥٣	متثات
		٥٤	هالى
		٥٥	يوسف

هل تمعن القارئ فى الجدول السابق واكتشف هذا التناقض الصارخ الذى يحاول فيه الدكتور منيس أن يجد له المبررات الغريبة التى لا دليل عليها سوى هذا الإجتهاد

وألا نطلق الإجتهاد على عواهنه فإذا فعلنا فليكتب كل أحد ما يريد وما يرى .

لقد قال مؤلف إنجيل متى إن إجمالى الأجيال من إبراهيم إلى المسيح ثمان وعشرون جيلاً، ونحن نرى أن الأجيال التى ذكرها إنجيل متى وكما فى الجدول واحد وأربعين جيلاً .

كذلك لو نظرنا إلى الجدولين لوجدنا تطابقاً كاملاً من نبى الله إبراهيم ﷺ حتى نبى الله داود، ثم يتفرع كل جدول بأسماء لا ترتبط بصلة بين كل جدول بالآخر، حتى الملك داود الذى كان معروفاً لكل الأديان أنه أنجب سليمان وهو ما ذكره إنجيل متى فى جدوله، وأما فى جدول لوقا فذكر أن ابن داود هو {ناثان} وطبعاً نظراً لما يقوله الدكتور منيس فى أن اليهود ينسبون ناثان إلى سليمان أو أن ناثان هو سليمان، فإن التوراة لم تذكر أن ناثان هو سليمان حتى فى نشيد الإنشاد الخاص بسليمان وهو أحد الملوك البارزين فى أنبياء نبى إسرائيل، وعلى أن أول من أمر ببناء الهيكل كان داود إلا أن سليمان هو من قام بتنفيذ البناء واليه نُسب .

<u>كذلك فإن مؤلف إنجيل متى ذكر {٤١} حَبراً للمسيح فى حين أن لوقا ذكر {٥٥} حَبراً للمسيح</u> .

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١٥٦] .

هذه الآية من سورة النساء موجهة إلى اليهود وليس النصارى إلا انها تضعنا أمام إثبات لوقائع غير قابلة للجدل، فى حالة إذا تمعنا فى سياق الآيات التالية لها، فيقول المولى ﷻ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء:١٥٦-١٥٧] .

لو تمعنا فى هذه الآية لأدركنا أن الله ﷻ يفصل ما فعله اليهود بأمه وافتراءهم عليها بالقول بعد ولادتها للمسيح دون أب له، ثم تأتى فى سورة مريم بقية القصة . إلا أن أناجيل متى ولوقا تؤكد أن كتاب الأناجيل لم يكونوا نصارى بل كانوا هوداً أرادوا بث أفكارهم حتى في ولادة عيسى بدون أب وليؤكدوا بهتانهم وزورهم على مريم التى أكرمها القرآن، وأيضاً أكرمها النصارى الأوائل أو المعاينين لحياة عيسى .

فجاء نسب عيسى فى إنجيل متى مناقضاً لما يدعيه الدكتور منيس فى قوله: {كان اليهود مولعين بسلسلة أنسابهم ولعاً كبيراً . وجاء متى مناقضاً لنفسه أيضاً فى مسألة النسب هذه، ونحن سنأخذ الجزئية بداية من الأصحاح الأول وهو نسب المسيح العدد {١٦} فيقول متى: {ويعقوب وَلَدَ يوسف رجل مريم التى وُلِدَ منها يسوع الذى يدعى المسيح} .

هنا أراد متى أن ينهى نسب عيسى إلى يوسف الذى يعتبر حسب تسلسل نسب متّى آخر سلالة من إبراهيم . إلا أنه أراد أن ينسب عيسى إلى إبراهيم فربط بين يوسف ومريم ورغم أنهما من سلالة مختلفة .

أما إنجيل لوقا فجاء بشيئ غاية الغرابة، ففى الأصحاح الثالث العدد {٢٣} يقول لوقا: {ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، ابن هالى} .

ومعنى هذا أن المسيح حتى سن ثلاثين كان لا يعلم عن معجزة ميلاده شيئاً وأنه ولد بدون أب، وربما كان حسب ما كان يتردد من افتراء اليهود على مريم . ثم نجد أن متى أرجع والد يوسف إلى يعقوب فقال ويعقوب وَلَدَ يوسف . ثم نرى لوقا يقول أن يوسف ابن هالى وليس ابن يعقوب .

وفى كلتا الحالتين فإن المسيح لا يتصل إلا بنسب الأم وكما قال القرآن فى كثير من آيات المسيح:

١} ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥] .

٢} ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٥٧] .

٣} ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة:٨٧] .

٤} ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣]

٥} ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [النساء:١٧١] .

٦} ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧] .

٧} ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧] .

٨} ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٤٦] .

٩} ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﴾ [المائدة:٧٥] .

١٠} ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨] .

١١} ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ [المائدة:١١٠] .

١٢} ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [المائدة:١١٢] .

١٣} ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١١٤] .

١٤} ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [المائدة:١١٦] .

١٥} ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]

١٦} ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم:٣٤] .

١٧} ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [المؤمنون:٥٠] .

١٨} ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب:٧] .

١٩} ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ [الزُّخرف:٥٧] .

٢٠} ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ [الحديد:٢٧] .

٢١} ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [الصَّف:٦] .

٢٢} ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾ [الصَّف:١٤] .

فلا نجد الحق ﷻ يذكر المسيح إلا وينسب اسمه إلى اسم أمه . ومريم هو الاسم الوحيد الذى ذكر فى القرآن الكريم تكريماً لها وكما فى قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢] .

إلا أن نسب الأناجيل جاء ليربط اسم المسيح بيوسف/ حتى أن لوقا بعد مرور ثلاثين عاماً من عمره كان يظن أن يوسف هو أبوه!!. فهذا إكرام الإسلام لعيسى ووالدته . وهذا ما قالوا فى الأناجيل عن نسبه . وعلى الرغم أن النسب كما جرى عليه الأديان الثلاثة فى النسب العادى وليس المعجز، أن يتصل بعصب الأب فما علا من الجدود .

ثم يناقض الدكتور منيس نفسه فى الفقرة الرابعة فى قوله: لم تكن هناك مشكلة بالمرة للمؤرخ اليهودى أن يُسقط بعض الأسماء من سلسلة النسب، فى الوقت الذى يؤكد فيه الدكتور منيس فى بدايات كتابه عن شبهات الأناجيل قوله: كان اليهود مولعين بسلسلة أنسابهم ولعاً كبيراً ليثبتوا أنهم شعب الله المختار} .

وهل يعقل يا دكتور منيس بعد تناقضك هذا وتناقض الأناجيل فى هذا النسب أن تكون موحى إليها من قبل الله كما تدعى . ثم السؤال من أين استقى متى ولوقا هذا النسب من التوراة؟ ولماذا لم يتكلم عنه مرقس ويوحنا؟

فإذا عدنا لشجرة الأنساب فى التوراة لوجدنا فى قصة الطوفان فى سفر التكوين ما أسميته بالرجل اليهودى للأنساب من آدم وحتى إبراهيم، ومن شاء فليعد إلى كتابنا السابق(١) .

ولم يرد ذكر أى تسلسل نسب كما زعم متى ولوقا أنهم ذكروا النسب من إبراهيم إلى عيسى . لأن التفريعات تتداخل بحيث لا يمكن إيجاد التسلسل الصحيح لهذا . فنجد فى تسلسل النسب فى التوراة من آدم إلى إبراهيم يأخذ إبناً واحداً من أبناء نوح وهو سام وترك سلسلة نسب حام ويافث .

وهو ما يراه اليهود من وجود النسب من آدم إلى إبراهيم وعلى نفس المنوال ذهب متى ولوقا من إبراهيم إلى عيسى، وللأسف كلها لا حقيقة واقعية لها . وما بنى على باطل . فهو باطل .

• ـــــ •

(١) المسيح الدجال فى الكتاب المقدس ـ المؤلف .


شبهات
إنجيل متى

شبهات إنجيل متى

يبدو أن الدكتور منيس لم يحاول فى درء شبهاته عن الأناجيل الأربعة وأن يدرء الشبهة الأساسية وهى حقيقة الأناجيل، وصحتها من عدمه، ربما لأن معتقد الدكتور منيس أن الأناجيل حقيقة لا لبس فيها، وأنه لم يبغ أن يخوض فى مسألة لا يجد الرد عليها وتضيع شبهة حقيقة الأناجيل فى ردود ضعيفة تؤكد الحقيقة الواضحة، فلزم عدم الخوض فى هذا درءاً لأى مشاكل قد تعود عليه؛ لذا نجده أيضاً يدخل مباشرة فى درء شبهات ما ورد فى الأناجيل والرد عليها . والغريب وكما سبق القول أن الاعتراضات التى جاءت حول شبهات إنجيل متى جاء عددها فى {١٣٠} اعتراض فى إنجيل يحوى {٢٨} إصحاحاً، أى بمعدل أربعة اعتراضات لكل إصحاح . فأى كتاب مقدس موحى إليه من قبل الله يحوى هذا الكم الهائل من الاعتراضات . وصدق الله العظيم فى قوله فى القرآن: [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا] {النساء: ٨٢} . وهذا حال الأناجيل الاختلاف فيهم بلغ حداً كبيراً وكما سنرى لاحقاً .

من هو متى؟

لابد أن يعرف القارئ من هو متى؟. هو أحد تلامذة المسيح والذين يطلق عليهم المسيحيين رسلاً . ويطلق عليهم المسلمون الحواريين . وكان يعمل قبل إتباعه للمسيح جابياً للضرائب فى كفر ناحوم، ومع ملاحظة أن اليهود كانوا ينظرون لجباة الضرائب نظرة إزدراء وإحتقاراً، لما يكون فى أعمالهم من ظلم وربما عنف أحياناً لاستخدامهم للجنود الرومان، بجانب أن عملهم هو ما تقرره الدولة الرومانية المحتلة لأراضى فلسطين وكانوا يطلقون عليهم لقب {العشارين} لأنهم كانوا يأخذون عُشر المحاصيل وغيرها كضرائب لصالح الدولة الرومانية .

والغريب وفى قراءتى للتفسير الحديث للكتاب المقدس الذى تنشره دار الثقافة نجد الدكتور منيس عبد النور وهو أحد أعضاء مجلس التحرير الست وفى إنجيل متى كترجمة نقلت عن {د. ت. فرانس} فيه بعض الفقرات التى تضع كثيراً من الشبهات حول هذا الإنجيل وشبهات حول الشبهات التى آثارها الدكتور منيس فى كتابه بالرغم

من أنه أحد أعضاء مجلس تحرير الكتاب الذى جاء بهذه الفقرات التى تفند كتابه .

١} يقول تفسير إنجيل متى والذى تصوره دار الثقافة: يشكل هذا الإنجيل يربط بين العهدين القديم والجديد، ويعتبر رسالة تذكير دائمة للمسيحيين ـ وذلك باقتباسه العديد من العهد القديم من جهته وباستعماله التعبيرات المفضلة لدى اليهود .

هذا هو النص الحرفى لكتاب دار الثقافة الذى تعتمد مثل هذا الكتاب وعلى رأسهم مجلس التحرير بما فيه الدكتور منيس الذى يذهب فى كتابه {شبهات وهمية حول الكتاب المقدس} ليقول فيه بكل ثقة: **أن الأناجيل موحى بها من قبل الله . إلا أن قراءات التفسير المترجم لإنجيل متى يقول أن متى اقتبس من العهد القديم حتى يرضى اليهود** . برغم علم الدكتور منيس أن العهد القديم وكما قال علماء وأحبار اليهود هو سرد لأساطير يهودية . إذن متى اقتبس ليضيف على إنجيله من خيالات بعض مأثورات العهد القديم ليرضى اليهود التى كانت تنتظر {المسيا} وحتى يؤكد لهم أن هذا هو المسيا المنتظر فلا مانع لديه أن يقتبس هذه المأثورات حتى أنهم أطلقوا على إنجيل متى {إنجيل يهودى مسيحى} .

٢} وتحت العنوان السابق يقول الكتاب: إن الإهتمامات للبشير متى وهذا ما نتوقعه من يهودى متنصر . لذلك أبرز يسوع باعتباره ذاك الذى تحققت فيه كل نبوات العهد القديم .

وأنا لا أفهم مصطلح يهودى متنصر هذا . لأن المعتقد أن كل من تبع عيسى سواء من الحواريين أو الشعب كانوا من الأصل يهوداً ثم تنصروا، فلماذا تمييز متى عن البقية، وأنا أرى هذا التمييز لما فعله متى إقتباس من العهد القديم وأضافه على ما كتبه لإستمالة اليهود نحو الدين الجديد، تماماً مثل ما فعل بولس حين ألغى كثير من الشرائع اليهودية وعلى رأسها الختان الجسدى ليحوله إلى ختان روحى لإستمالة الوثنيين من الرومان للدخول فى هذا الدين .

لذلك يقول تفسير متى: هذه هى النواحى الجوهرية التى شغلت أذهان أولئك اليهود الذين أدركوا أن يسوع هو المسيا . والذين أصبحوا فى أمس الحاجة لصياغة مفهومهم الخاص وعلاقة ذلك بالجذور اليهودية المتأصلة فيهم، وأصبحوا فى حاجة أن

يتعلموا كيف يقدمون الإنجيل ويدافعون عنه بين اليهود غير المتنصرين؛ ولذا فإنه يبدو على الأرجح أن الإنجيل كتبه يهودى متنصّر . وأن اليهود المتنصرين كانوا يشكلون نسبة كبيرة من القراء الذين وُجه اليهم هذا الإنجيل .

ونرى فى هذه الفقرة التصميم على تصنيف مصطلح اليهود المتنصرين ونحن فى هذه الفترة نعلم أن عيسى كان يبشر بين اليهود فقط أى أنه لم يبشر لأى طائفة أخرى مثل الرومانيين {ما أرسلت إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة}[1] . إذن ليس أمامنا إلا طائفتين فى تلك الفترة الزمنية وهم من تبعوا عيسى فتنصروا وأصبحوا نصارى وإما يهود ثبتوا على دينهم . ثم رومان وثنيون لم يوجه إليهم المسيح مواعظه .

إلا أن مؤلف تفسير متى لكى يثبت أن إنجيل متى كتب خصيصاً لليهود والذى كذب هذه الدعوة فى آخر هذا الإنجيل: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب، والإبن، والروح القدس . وعلى الرغم أن يوحنا أخبر اليهود فى وصفه لعيسى بقوله: هو سيعمدكم بالروح القدس ونار[2] . ولم يذكر الأب أو الإبن . مما يدل على أنها إضافة .

٣} وتحت عنوان: إنجيل متى أحسن ترتيبه يقول التفسير صفحة ١٢ : {أما أن نتناول إنجيل متى على أنه مجموعة عشوائية من القصص والأقوال غير المترابطة فهذا يعنى أنه قد فاتنا الكثير مما أراد القديس متى أن يخبرنا عنه . ونظراً لأن القديس متى يجيد توصيل المعلومات فكثيراً ما يحذف تفصيلات ثانوية يعتبرها غير ضرورية للهدف الذى ترمى إليه .

وأنا أسأل الدكتور منيس أهذا ما تعتبره كتاباً مقدساً أوحى به من قبل الله؟؛ يحذف كاتبه ما يراه أنه غير ضرورى فى صياغته لهذا الإنجيل، وما هو الذى حذفه متى من إنجيله وحكم عليه أنه ليس ضرورياً؟. وهل ثلاثة وثمانون موضوعاً لم يتحدث عنها متى وتحدثت عنها بقية الأناجيل تعتبر فى نظر من كتب تفسير متى تفصيلات ثانوية غير ضرورية؟ إذن فنسب عيسى فى إنجيل مرقس ويوحنا غير ضرورى لأنهما لم يتطرقا إليه .

---

(١) إنجيل متى: ١٩/٢٨ .

(٢) إنجيل متى: ١١/٣ .

وولادة يوحنا المعمدان فى نظر متى غير ضرورية، وكذلك ختان يسوع، والمعجزة الأولى للمسيح فى قانا، وشهادة يوحنا المعمدان للمسيح، وإرسال السبعين ورجوعهم . وكثير . كان فى نظر متى تفاصيل لا لزوم لها وغير ضرورية، بل إن العشاء الأخير {عشاء الرب} ، وصلاة يسوع، ويسوع ومعجزة السمك، صعود يسوع إلى السماء، لم يتكلم عنها متى، بالرغم من أن بعضاً منها وضع فى الطقوس العبادية . ومع علمنا أن الطقوس العبادية أخذت من هنا وهناك وعُملت منها توليفة على يد الآباء . لصنع ديانة مستقلة عن اليهودية . ولم يأمر المسيح بهذا . إلا أن هذا ما تم .

لقد دخل إنجيل متى فى نقد وصراعات طويلة خاصة فى استخدام متى لنصوص العهد القديم وحشوها داخل هذا الإنجيل بغرض واحد فيما أزعم وهو إرضاء اليهود الذين كانوا ينتظرون المسيا المنتظر .

فتقول ترجمة تفسير إنجيل متى: {ودخل فى النقاش عنصر هام جديد بنشر كتاب {جولدير} ١٩٧٤ . وجزء من حوار جولدير يعتبر تطويراً لإقتراح {كيلباتريك} ومفاده:

أن إنجيل متى كُتب بغية استعماله فى القراءات الليتورجية المنتظمة وأن ترتيبه روعى فيه مناسبته لمتطلبات فصول القراءات الكنسية، ويعتقد {جولدير} أن إنجيل متى ما هو إلا توسع لإنجيل مرقس لاستعماله بصفة خاصة فى القراءات الكنسية مع كتاب العهد القديم المستخدم فى القراءات التى تتلى فى مجمع اليهود . ولم يلق جولدير من هذه الناحية قبولاً واسعاً . ومع ذلك فقد تضمن رأيه وجهة نظر أخرى فى إنجيل متى أثارت جدلاً متزايداً: أن المصدر الكتابى الوحيد الذى اعتمد عليه متى، هو إنجيل مرقس، وكل مادته الإضافية كانت من نسج خياله الخصب الذى استلهمه بصفة خاصة من معرفته بالعهد القديم . وإذ يبدأ من قراءات العهد القديم المخصصة للقراءة فى المجمع، استطاع أن يجمع نماذج متقنة من مادة مترابطة فى إطار عملية أطلق عليها جولدير اسم مدرس، وهذه العملية تولدت عنها قصص عن السيد المسيح، وتعاليم نسبت إليه، لم تستخلص من أى تقليد تاريخى، بل من خيال مستلهم من الموضوعات الكتابية

ونظام المدرس كان معروفاً ومقبولاً عند اليهود، ومنهم متى، أما مدى صدقها التاريخى فلم يكن يقلق القراء أو حتى يخطر على بالهم . ·

وتعليقى على ما سبق أن نظام المدرس أو بمعنى أدق {المدراش} {Midrash} وليس كما كتبه المترجم: هو نظام كان يتناقل شفهياً . ولم يكتب إلا فى القرن السادس الميلادى أى بعد ٦٠٠ عام من مولد المسيح فيقول سهيل أديب فى كتابه(١): المدراش هو التعليم الشفهى للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبرى معناه تعمق فى الدراسة وهو على نوعين {مدراش حلقة} وهو المتعلق بالنصوص التشريعية {ومدراش ها جاداه} وقد تناقلها العلماء اليهود شفهياً من جيل إلى جيل إلى أن جرى تدوينها فى حوالى القرن السادس الميلادى، والمدراش هو توسع شفهى ومعظم الأحيان بكثير من التصرف التوراتى لكنه أصبح بعد تدوينه . جزءاً من التراث اليهودى .

فإذا انتقلنا إلى ترجمة محمد خليفة التونسى(٢) وتحت عنوان كيف تكونت {المشنا} وهى الجزء الأساسى من التلمود: وقد ظهر أن اليهود أتموا تدوين أسفارهم الخمسة لتوراتهم هذه فى أخريات القرن الخامس {ق.م} وعلى أساسها قامت المشناة، وكان معظم اليهود حوالى هذه الفترة ـ أى منذ سبيهم من فلسطين إلى بابل سنة ٥٨٧ ثم عودة بعضهم إلى فلسطين سنة ٥٣٨ حتى القرن الثانى للمسيح موزعين بين بابل وفلسطين . فأسس أحبارهم مدارس للشريعة فى هذين القطرين، وكان ذلك قبل أن يتم تدوين اسفار التوراة، وبعد تدوينها، ومن هذه المدارس ظهرت تفاسير كثيرة لأجزاء من التوراة، كان كل منها يسمى المدارس أو المدراش أى الدرس أو الدراشة، وقد بقى بعض هذه المدراشات وضاع بعضها، وقد نشطت هذه الدراسات منذ عزرا الكاتب {القرن الخامس قبل الميلاد} وتبعه فيها كثير من كتبة الشريعة الذين يسمى عصرهم فى التاريخ اليهودى بعصر {السوفريم} أى الكتبة ـ {نلاحظ توجهات إنجيل متى فى القول على لسان المسيح مخاطباً الكتبة والفريسيون} ـ وقد جاءوا بعد عصر الأنبياء ليخلفوهم فى حفظ الشريعة، وقد روج لهذه الدراسات أعضاء المجمع الكبير، ولكنها ازدادت نشاطاً ورواجاً منذ اشتهر بين اليهود نفوذ الفريسيون، لا سيما خلال القرن الثانى قبل الميلاد، وقد استمرت سطوتهم قروناً، تحت خلالها تعاليم المشناة إلى أن تمت كتابتها فى مطالع القرن الثالث للمسيح كما تمت خلالها بعدئذ تعاليم الجمارة إلى أن تم تدوينها فى القرن السادس الميلادى .

---

(١) التوراة تاريخها وغايتها ـ ترجمة سهيل أديب .

(٢) كنوز التلمود ـ ترجمة محمد خليفة التونسى .

وقد تمكن العلماء من التمييز بين نوعين من محتويات هذه المدراشات، وإن تكن قديمة: النوع الأول ما يسمى الهلاخة {أو الحلقة} ومصادر هذا النوع الفتاوى والأحكام المعتمدة التى أصدرتها مدارس الشريعة فى بابل وفلسطين لتكون قواعد شرعية واجبة الالتزام، لم تكن كتابتها مباحة حتى لا تختلط بالتوراة، والنوع الثانى ما يسمى {الهجادة} وفيه شروح لقواعد الهلاخة {والتوراة أحياناً} ولكنها فردية حرة، كانت تعد مجرد آراء قيلت لتوضيح قاعدة شرعية، ولذلك أبيحت كتابتها دون الهلاخة، إذ لا يخشى اختلاطها بالتوراة، وأقدم مجموعة من الهلاخات هى التى أصدرتها مدرسة الحبر {هليل} حوالى عصر المسيح، وهى تؤلف أقدم شناة .

لقد نشأت طبقة أقل من {التنائيم}(١) إجتهاداً، هى طبقة {الأمورائيم} أى المفسرين {٢٢٠ـ٥٠٠م} وهم الذين اهتموا بشرح المشناة، وكانت نتيجة شروحهم لها ما يسمى {الحجارة} تتمة المشناة ومجموعها معاً هو التلمود ـ فالتلمود إذن حصيلة ألف عام من النشاط اليهودى الثقافى دينياً ومدنياً، بعضه مستعار وبعضه مبتكر .

إذن فيما قاله تفسير متى أنه أخذ مقولات من العهد القديم لإخفائها على سيرة المسيح كانت مأخوذة من التلمود .

لذلك يشرح {د. ت. فرانس} مؤلف تفسير متى عن كلمه مدراش قوله: أيما كان وصف هذه الكلمة، فإن التساؤل يدور حول ما إذا كان التوسع فى الأحداث التاريخية بإضافة تفصيلات خيالية مستلهمة من نصوص العهد القديم ـ {التلمود كما بينا من قبل} ـ كان أمراً مألوفاً بين اليهود فى القرن الأول ـ ومنهم متى ـ ناهيك عن كونه الأسلوب السائد لدراسة الكتاب المقدس والتاريخ . وفى حين أن قصص العهد القديم أدخل عليها بالفعل الكثير جداً من المحسنات التقليدية، فما من بيئة واضحة تدل على أن هذا قد حدث أيضاً بالنسبة للتاريخ الحديث . وليس ثمة نموذج من الكتابات اليهودية فى القرن الأول يمكن تقديمه على أن مثل هذا التوسع فى الأحداث قد حدث بالفعل من تعاليم وأحاديث زعيم دينى إبان قرن أو اثنين من موته .

إلا أن المترجم يعود مرة أخرى لينقض نفسه فى نهاية هذا الفصل فيقول: ومع

(١) التنائيم: طبقة نشأت فى أوائل القرن الثالث وهم معلمو الشريعة .

ذلك، فموضوع تاريخية أحداث إنجيل متى، لا يجب أن تدعه يصرف الإنتباه عن الطريقة الرائعة المبهرة التى استخدم بها متى العهد القديم . وفى خلطه للإهتمامات اليهودية التى كانت تتمشى مع التقليد وتعاليم الشيوخ، بالتأكيدات المسيحية الحديثة، بأنه قد تمت أقوال ونبوات العهد القديم فى الحياة التاريخية ليسوع الناصرى وفى تعاليمه .

وأننى أضع بين يدى القارئ ما يؤكده علماء النصارى بأن متى قد أخذ من التلمود ما يناسب من نبوات لإثبات نبوة المسيح وأنه هو المسيا المنتظر لليهود، رغم عدم إعتراف اليهود بذلك . ومع كل الأسباب والمسببات وكل ما قيل وكتب بصدد هذا، نعود للسؤال المهم الذى يرد على مقولة الدكتور منيس فى كتابه شبهات وهمية: ليس هناك ما يعيب إنجيل متى لو أنه كُتب أولاً بالعبرية ثم ترجم لليونانية، فالكتب المقدسة الموحى بها من الله لا تضيع معانيها ولا طلاوتها إذا ترجمت إلى اللغات الأخرى .

وبهذا اعتقاد من الدكتور منيس أنه يخاطب أناس مغيّبين لا عقل لهم . فهل كل ما سبق يدل على أن إنجيل متى موحى إليه من قبل الله؟!. وأى إله هذا الذى يقصده الدكتور منيس؟

مكان كتابة إنجيل متى

هل عُرف يقيناً مكان كتابة إنجيل متى؟ ولم يتطرق الدكتور منيس فى كتابه إلى وضع إنجيل متى فى كتابة الإنجيل سواء فى مكانه أو زمن كتابته . والغريب أنه فى رده على الاعتراض الخاص بعدم وجود سند متصل لإنجيل متى جاء رده فى الاستشهاد بإنجيل برنابا وهو أمر غريب بالنسبة لنا . لأن إنجيل برنابا لم يعترف به كنسياً واعتبروه إنجيلاً مزيفاً وغير قانونى . إلا إننا سنتطرق إلى إنجيل متى فى وضعيته العامه والنقاط التى لم يتطرق إليها الدكتور منيس، وأولها مكان كتابة إنجيل متى .

لم يحدد أحد مكان كتابة إنجيل متى وتلك أحد النواقض التى تقلل من مصداقيته وتلتصق بصحته من عدمه لذلك فإن أغلب المفسرين أو المترجمين أو حتى الناقدين لإنجيل متى . مروّا على هذه النقطة مرور الكرام أو جعلوا كلمة {ربما} أو {يمكن} هى السبيل للخروج من هذا المأزق . فإن عدم معرفة مكان كتابة إنجيل يفقد

السيرة الشخصية لكاتبه وأماكن تواجده وإرتحاله . فكل ما قيل عن مكان كتابته أنه ربما كتب فى أنطاكية والبعض قال ربما فى فلسطين .

لذلك يقول التفسير الحديث لإنجيل متى[١]: يؤكد تقليد الكنيسة الأولى، الذى يعود إلى منتصف القرن الثانى، أن القديس متى كتب إنجيله بين العبرانيين، ومع ذلك، فقد يكون هذا مجرد تخمين قائم على أساس الصبغة اليهودية الواضحة فى الإنجيل، لاسيما أن التقليد لم يعين مكاناً محدداً، لأن العبرانيين فى ذلك الوقت كانوا متواجدين فى أماكن كثيرة . وإن كانت فلسطين تبدو المكان المناسب الذى يمكن أن ينجز فيه هذا العمل .

وفهم الإنجيل على أية حال، لا يتأثر بمكان كتابته سواء أكان ذلك فى فلسطين أو انطاكية أو فى أية جهة أخرى شرق البحر الأبيض وليس هاماً على أية حال أن يعرف الموقع بشكل حاسم .

لغة كتابة إنجيل متى

يلقى لنا الدكتور منيس بلغز لا نعرف له معنى فيقول: أن هذا الإنجيل كتب باللغة العبرية وأيضاً كتبه متى باللغة اليونانيه، فكان موجوداً باللغتين اليونانية والعبرية معاً ! !.

أما عن كتابته باللغة العبرية جاءت نتيجة ما اقتبسه المؤرخ {يوسابيوس} عن بابياس أسقف هيرابوليس سنة ١١٦م قال: كتب متى إنجيله باللغة العبرية وكان إنجيل متى متداولاً بين الناس باللغة اليونانية . ولكننا نعتقد أنه كُتب باللغة اليونانية لأنها اللغة المتداولة والمعروفة فى عصر المسيح ورسله ! !

ما هذا؟ أى تأويل هذا الذى لا يستطيع العقل البسيط أن يقبله . إن اللغة المتداولة فى عصر المسيح كما أجمعت الوثائق كانت اللغة السريانية أو الآرامية، وكانت لغة الكتابة هى اللغة العبرية . وأنا عندما أريد أن أكتب كتاباً وأنا فى بلد عربى مثلاً فإن هذا الكتاب يكون قارئه عربياً ولذلك فأنا أكتب باللغة العربية وليس معقولاً أننى كاتب

(١) التفسير الحديث لإنجيل متى ـ ر. ت. فرانس ـ ترجمة أديبة شكرى .

أعيش فى مصر وأكتب كتاباً موجه إلى المصريين أو القارئ العربى فأكتبه بالأسبانية مثلا أو الفرنسية إلا أن الكتاب قد يتم ترجمته إلى لغات أخرى ويتم ترجمته من اللغة الأصلية وهى العربية . وبديهياً لا تكون لغة المسيح غير لغة كتابة الأناجيل غير لغة المحتل الرومانى . وليس من المعقول أن تكون لغة المحتل الرومانى هى لغة التداول وأن تلغى اللغة العبرية التى هى أصل اللغة اليهودية . فإذا اعتبرنا مجازاً أن متى كتب إنجيله المصبوغ بصبغة يهودية واقتبس فيه أجزاء كثيرة من التلمود بهدف تنصير اليهودى أن يكتب هذا الإنجيل بلغة يونانية حتى ولو قال ذلك بابياس نفسه . خاصة وأن التاريخ الذى حدده بابياس وهو عام ١١٦م كان قيام ثورة اليهود الثانية التى شملت عدة مناطق داخل الإمبراطورية الرومانية .

وتعقيباً على مقولة بابياس أن اللغة المتداولة فى فلسطين كانت اللغة اليونانية فإننى أتساءل وأين كانت العبرية والسريانية والآرامية؟

فيقول الشيخ محمد أبو زهرة[١]: إنجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف إلا باليونانية ولم يعرف من المترجم، وقد اتفق جمهورهم على أنه كتب بالعبرية أو السريانية، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عُرفت شائعة رائجة كانت باليونانية، إلا أن المتفق عليه أن متى كتب إنجيله بالعبرانية، وذلك لأنه كتبه لليهود يبشر بالمسيحية بينهم وليقرأه مؤمنوهم بها .

قال جيروم: إن متى كتب الإنجيل باللسان العبرى فى أرض يهودية للمؤمنين من اليهود .

ويقول فيليبس[٢]: تنسب الأعراف القديمة هذه البشارة إلى الحوارى متى، ولكن الأغلبية العظمى من العلماء يرفضون هذا الرأى اليوم، والكاتب الذى مازلنا نسّميه متى - تسهيلاً للأمور - قد اعتمد على مصادر غامضة . وهذه المصادر الغامضة التى ربما كانت مجموعة من الأعراف والتراث الشعبى الشفهى . لقد اعتمد كلية على النقل عن إنجيل مرقس .

---

(١) محاضرات فى النصرانية - محمد أبو زهرة .

(٢) B. Phillips: The Gospels

ثم يضيف صاحب كتاب الغفران: دُوِّن إنجيل متى باللغة اليونانية فى إنطاكية حوالى ٩٠م . واعتمد المؤلف فى تصنيفه على الأقل وثيقتين فقدنا، ولا يوجد عالم متحرر يعتبر هذا الإنجيل من أعمال متى حوارى يسوع المسيح . فإذا كان متى قد صنف شيئاً فإنه يكون من الوثيقة {German Quelle Source}، وهى وثيقة باللغة الآرامية مفقودة كانت بين يدى مدونى الأناجيل مترجمة إلى اليونانية . وهذه الوثيقة فقط مع اعتبارات التحرر الذى مارسه المؤلف المجهول لهذا الإنجيل مع المصادر الأصلية .

ويميل العلماء النقاد إلى القول بأن هذا الإنجيل من تأليف أتباع متى وليس من أقوال العشار متى نفسه .

فإذا ذهبنا إلى الدكتور موريس بوكاى(١) فيقول: يقول {أ. تريكو} فى تعليقه على ترجمة العهد الجديد المنشورة عام ١٩٦٠: اسمه متى، واسمه قبل ذلك {ليفى} وكان عشاراً أو جابياً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته . وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين، جيروم، إمبيغان . ولكن لا أحد يعتقد هذا فى عصرنا . وهناك نقطة لا جدال فيها وهى أن هذا الكاتب يهودى، فمفردات كتابه فلسطينية، أما التحرير فيونانى .

ويقول أ. بولمان إن الكاتب يخاطب أناساً وإن كانوا يتحدثون اليونانية، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية .

أما بالنسبة للمعلقين على الترجمة المسكونية فإن أصل هذا الإنجيل يبدو كما يلى: يقدر غالباً أن إنجيل متى قد كتب بسوريا وربما بأنطاكيا أو بفينقيا، ففى هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود، وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية الأورثوذكسية الفريسية، التى ظهرت بالمجمع الكنسى اليهودى بجامينا نحو عام ٨٠م .

فى ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب الذين يؤرخون للإنجيل الأول بين عام ٨٠، ٩٠م أو ربما قبل ذلك بقليل ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل فى هذا الموضوع . ولما

(١) القرآن والإنجيل والتوراة والعلم الحديث ـ د. موريس بوكاى .

كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل متى نفسه ومنها: أن الكاتب معروف بمهنته وأنه متبحر فى الكتب المقدسة والتراث اليهودى وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهودى، وإن أغلظ فى خطابه لهم . كما أنه أستاذ فى فن التدريس وفى إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه . وأنه يتفق جيداً مع ملامح يهودى متأدب اعتنق المسيحية، وهو معلم حاذق يخرج من كنزه جديداً وقديماً، كما يشير إلى هذا إنجيله نفسه الإصحاح {١٣} العدد {٥٢} . تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطى بكفر ناحوم الذى يطلق عليه مرقس ولوقا اسم ليفى والذى أصبح من حوارى المسيح الأثنى عشر .

إلا أن الذى استوقفنى كباحث هو ما كتب فى كتاب عقائد النصارى الموحدين[1] حيث يقول الكاتب: أقر علماء النصارى بأن هناك أصلاً لإنجيل متى كتبه بالعبرانية، بناء على شهادة بابياس أسقف هيرابوليس والمتوفى حوالى ١٥٥م والذى كتب يقول: وقد كتب متى الأقوال بالعبرانية، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب إستطاعته .

وكذلك شهادة إيريناوس أسقف ليون والمتوفى حوالى ٢٠٠م حيث قال: وقد وضع متى إنجيلاً للعبرانيين كتبه بلغتهم .

وتضاف إليهما أيضاً شهادة جيروم المتوفى ٤٢٠م وقد قال: إن الذى ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف .

ومعنى هذا أن أصل لغة كتابة إنجيل متى غير موثقة فبداية من بابياس وانتهاء بجيروم يعتمد على نظرية الإحتمالات، لكون متى كان يهودياً وإنجيله يحتوى على العديد من كتاب العهد القديم فجاء الإحتمال أنه كتب بالعبرية وهذا دليل غير كاف لأن الأصل العبرى غير موجود، أما الترجمة اليونانية فغير معروفة المصدر، حسب ما يقوله جيروم، وأن الترجمة اليونانية كانت عدة ترجمات وليست ترجمة واحدة كما يدعى الدكتور منيس .

---

(١) عقائد النصارى الموحدين ـ حسنى يوسف الأطير .

لقد أجمع جمهور علماء النصارى أن متى كتب إنجيله بالعبرية أو الآرامية واتفق على ذلك {يابياس}[١]، وابن البطريق، وجرجس زوين اللبنانى، والمؤرخ {أوسبيدس}[٢] وكثيراً مما تناولوا هذا الإنجيل إلا أن أقدم ترجمة كما قلنا من قبل لهذا الإنجيل هى الترجمة اليونانية، وعلى هذا فقد ذهب بعض العلماء إلى أن متى كتب إنجيله باليونانية ومنهم الدكتور {بوست} فى قاموس الكتاب المقدس . لذلك يقول الدكتور على عبد الواحد[٣]: إن كثيراً من مؤرخى العرب قرروا أن متى قد كتب إنجيله بالعبرية إلا أن هذا الأصل العبرى لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمة يونانية والتى تمت عقب تأليفه مباشرة .

ولا يعرف وثائقياً مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية[٣]. فى الوقت الذى يقول ابن البطريق: إن متى نفسه هو الذى قام بترجمة إنجيله وهذا ما ذهب إليه الدكتور منيس ـ والسؤال هنا ما الغرض أو الهدف سواء كُتب الإنجيل بالعبرية أو اليونانية . إن الهدف الذى يقول إن متى كتب إنجيله باليونانية، أو كتب إنجيله بالعبرية واليونانية سوياً، الهدف منه عدم إسقاط السند فمعنى أن متى كتب إنجيله باليونانية أن أصل إنجيل متى هى الموجودة الآن ومعنى هذا أن أصل الإنجيل منذ البدايات المسيحية هو ما بين أيدينا أى أن هذا الإنجيل قد تواتر منذ متى وحتى الآن؟!

ونضع أخيراً إثباتات عدم صحة إنجيل متى فيما قاله الشيخ رحمه الله هندى فى كتابه إظهار الحق: إن إنجيل متى كتب باللسان العبرانى وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية . والموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة، حتى لم يعلم باليقين اسم المترجم أيضاً إلى هذا الحين كما اعترف بذلك {جيروم} من أفاضل قدمائهم، فضلاً عن علم أحوال المترجم، ويقولون رجماً بالغيب، لعل فلاناً وفلاناً ترجمه، ولا يتم هذا على المخالف، وكذا لا يثبت مثل هذا الظن استناد الكتاب إلى المصنف . وقد عرفت فى الأمر السابع من مقدمة مؤلف ميزان الحق مع تعصبه لم يقدر على بيان السند فى حق إنجيل متى بل قال ظناً .

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ـ فهيم عزيز .

(٢) محاضرات فى النصرانية ـ محمد أبو زهرة .

(٣) الأسفار المقدسة ـ د. على عبد الواحد .

إن الغالب أن متى كتب باللسان اليونانى {كما يقول الدكتور منيس} وظنّه بلا دليل مردود . فهذه الترجمة ليست بواجبة التسليم بها . بل هى قابلة للرد . وفى إنسائى كلوبيديا {موسوعة} فى بيان إنجيل متى هكذا: كُتب هذا الإنجيل فى السنة الحادية والأربعين باللسان العبرانى وباللسان الذى ما بين الكلدانى والسريانى، لكن الموجود منه هو الترجمة اليونانية .

وتعقيبى على إصرار مقولة الدكتور منيس أن متى كتب إنجيله باللغة العبرية واليونانية فيما اعتمد على مقولة أو شهادة بابياس، فعلى أى شئ اعتمد بابياس على هذا وما دليله وسنده فى هذا؟ بعيداً عن نظرية {على ما أظن - واعتقد - ويبدو} من خلال نظرية الاحتمالات التى يحاولون وضعها كمواقع أو دليل لا يملكون دليلاً عليه .

وفى اعتماد إنجيل متى كإنجيل قانونى من هذا الكم من الأناجيل أو مذكرات الرسل أو {كاروزيتا} فكيف لبشر حتى ولو كان الآباء الأولون فى مجمع نيقية ٣٢٥م أن يخلعوا القدسية على إنجيل دون آخر ثم يقولوا هذا إنجيل مقدس أوحى إليه من قبل الله لمتى؟

إن الدكتور منيس يقول: من يتبع العبارات التى استشهد بها متى من التوراة يجدها مأخوذة من الترجمة السبعينية {وهى الترجمة من العبرية إلى اليونانية} وفيها إختلاف فى اللفظ لا فى المعنى عن الأصل العبرى . فلو كان متى أصلاً كتب إنجيله باللغة العبرية لجاءت الآيات الواردة فيه كما جاءت حرفياً فى التوراة العربية .

وتلك سقطة أخرى للدكتور منيس لأن هذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن متى لم يكتب هذا الإنجيل من قريب أو بعيد وأن النسخة العبرية التى يقولون أن متى كتبها بالعبرية فُقدت . فما الدليل أصلاً أن هناك نسخة عبرية قد فُقدت ولم لا تكون هى مزاعم، لأن وجود نسخة يونانية قد أضيف لها اسم متى الحوارى لتأخذ الإقناع اللازم بقدسيتها بين الشعب اليهودى بعد الزعم بأن ترجمة النسخة عبرية موجودة من قبل إلا أنها فقدت . ولمحاولة وجود سند متصل لهذا الإنجيل فلا مانع من الاستشهاد بما زعموا بأنه باطل لتأكيد هذا . فنرى الدكتور منيس يستشهد بإنجيل برنابا الذى اعتبرته الكنيسة إنجيلاً مزيفاً وغير قانونى . ولكن ما المانع فى ان يؤخذ من كتابات مزيفة فى

إثبات حقيقة سند إنجيل ولأن برنابا أشار فى إنجيله إلى إنجيل متى سبع مرات، وهل ما أشار إليه برنابا لإنجيل متى هو ما كتبه متى فى حقيقة الأمر؟ أم الترجمة اليونانية؟

وهكذا نجد التناقضات والاختلافات الشديدة التعقيد والتى لا نخرج منها بشئ سوى مزاعم قالها الآباء الأولون ثم أقرها مجمع نيقية وسار على النهج بعد ذلك القساوسة والرهبان .

زمن كتابة إنجيل متى

وإذا كانت التعقيدات والإختلافات فى مسألة اللغة التى كتب بها إنجيل متى، فإن زمن كتابته وسّعت الفجوة فى حقيقة إنجيل متى ولسوف نستعرض مع القارئ كم الإختلاف فى زمن تدوين هذا الإنجيل فإذا وضعنا فى الإعتبار المكان الذى تم فيه تدوين هذا الإنجيل وعدم معرفتنا بهذا المكان، ثم عدم معرفتنا باللغة التى كتب بها الإنجيل وعدم المعرفة بالزمن الذى تم تدوين هذا الإنجيل فيه فإن هذا يسقط بكل وضوح قدسية هذا الإنجيل الذى فقد المكان والزمان واللغة . وفقد السند فى النهاية فماذا قال الدكتور منيس فى كتابه عن جزئية الزمن الذى تم تدوين إنجيل متى فيه؟ لم يتطرق الدكتور منيس إلى زمن التدوين نهائياً على الرغم من أن المعترض على هذا الإنجيل أورد كما سبق القول مائة وثلاثين إعتراضاً، فهل يعقل ألا يذكر المعترض زمن كتابة هذا الإنجيل وهو من النقد الخطير الذى ينسف إنجيل متى من أساسه . وهو زمن كتابته والتى غضّ أغلب علماء النصارى عيونهم عن تلك الجزئية، أو تجاهلوها .

ونحن نورد الآراء التى قيلت فى زمن كتابة إنجيل متى:

١} يقول جرجس زويق: إن متى كتب إنجيله عام ٣٩م {وهو الإنجيل العبرى} وأن الترجمة اليونانية ظهرت بعد فقد الأصل العبرى . وكيف تتم ترجمة ما على أصل مفقود؟

٢} يقول صاحب ذخيرة الألباب: إن متى كتب إنجيله عام ٤١م .

٣} يقول ابن البطريق: إن متى كتب إنجيله فى عهد {قلوديوس} قيصر الرومان والذى ملك ١٤ عاماً، أى أن الإنجيل كتب بين عام ٤٠م - ٦٠م .

٤} يقول الدكتور بوست(١): إن هذا الإنجيل كتب قبل خراب أورشليم .

٥} يقول جون فنتون: إنه يمكن القول أن هذا الإنجيل قد كتب فى الفترة من عام ٨٥م - ١٠٥م .

٦} يقول هورن: إن إنجيل متى كتب سنة ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٥ أو ٩٠ كما يقول القسيس إبراهيم فى الغفران .

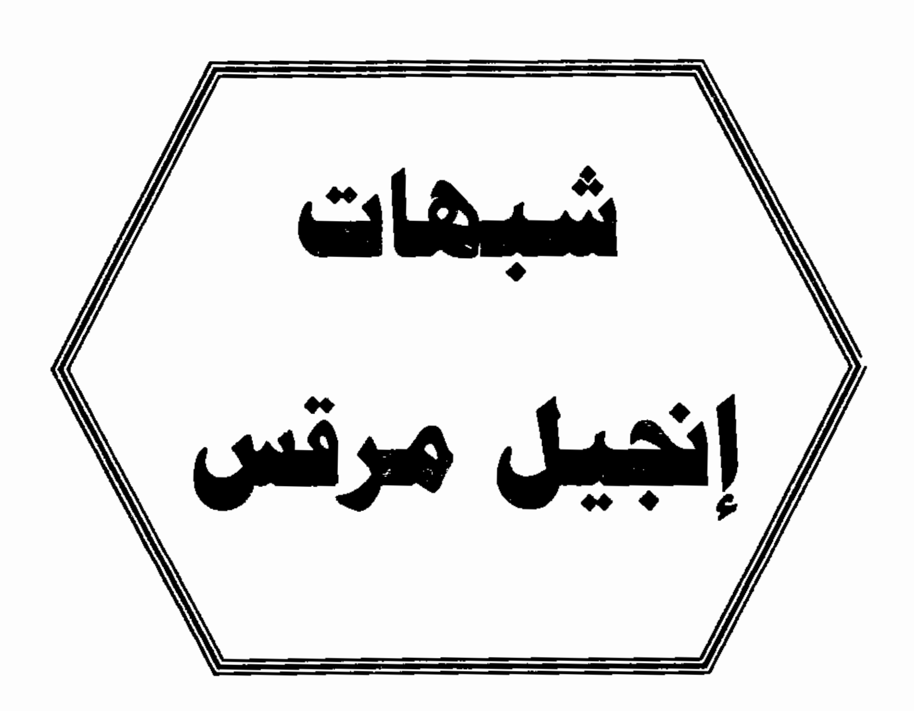
وبعد كل هذه الفوضى الجدلية حول إنجيل متى والاختلافات الشديدة دون معرفة مكان وزمان ولغة إنجيل متى . يخرج لنا من يتبجح ليقول إن إنجيل متى هو إنجيل مقدس أوحاه الله من الروح القدس لمتى الحوارى ويجب أن يقدس نتيجة لذلك .

متى بعد المسيح

وحتى هذه النقطة والتى لم يتطرق لها الدكتور منيس ولم يتطرق إليها تفسير متى الحديث أو كان لابد من وضع ترجمة بسيطة عن متى قبل شرح متن إنجيله سواء عن حياته أو مماته إلا أن المعلومات عن متى قليلة جداً، وأيضاً قد أختلف فيها، فالبعض يقول أنه بعد ترحاله استقر فى الحبشة لمدة ٢٣ عاماً حيث مات بها مقتولاً سنة ٧٠م على أثر ضرب مبرح من أحد أعوان ملك الحبشة ويقال أنه مات إثر طعنة من رمح أصيب بها عام ٦٢م، وهناك من يقول أن متى مات بالهند وقبره هناك ولا نعرف توثيق هذه الأخبار .

(١) قاموس الكتاب المقدس - د. بوست .




شبهات
إنجيل مرقس

شبهات إنجيل مرقس

وكما حدث من اختلافات وخلافات فى الأراء فى إنجيل متى، حدثت نفس الاختلافات في الإنجيل الثانى وهو إنجيل مرقس، والذى يعتبر أقل الأناجيل من حيث المحتوى فإن هذا الإنجيل يحتوى على {١٦} إصحاحاً .

فإذا تناولنا ما كتبه الدكتور منيس حول إنجيل مرقس لوجدنا عدد الاعتراضات حول هذا الإنجيل خمسين اعتراضاً . إلا أننا نود أن نذكر القارئ مرة أخرى أننا لا نتناول فى كتابنا هذا الرد على ما يفنده الدكتور منيس في ردوده على المعترض حول تفاصيل متن أى إنجيل إلا فى القليل جداً ولأسباب تتعلق بمنهجية كتابنا هذا وهى حقيقة وضع الأناجيل من الناحية التوثيقية التى تدور حوله .

وعلى الرغم من أن مرقس لا يعتبر من تلاميذ المسيح ولا كان من المعاينين له، إلا أن الدكتور منيس يصّر إصراراً غريباً على أن مرقس كتب إنجيله هذا بإلهام الروح القدس أيضاً وعن نفسى فأنا لا أفهم معنى هذه الجملة {إلهام الروح القدس} وما الفرق بينها وبين الجملة التى كتبها أيضاً الدكتور منيس فى بداية إنجيل متى فالكتب المقدسة ـ الأناجيل ـ الموحى بها من قبل الله ـ ولما كانت غاية الله إعلان مشيئته، أوحى بها باللغة المتداولة .

وإننى أتساءل هل الوحى أو الكتب للوحى بها من قبل الله وكما يزعم الدكتور منيس أن الأناجيل الأربعة موحى بها من قبل الله، ثم يقول عن إنجيل مرقس أنه كتب بإلهام الروح القدس، إننى أعتقد أن المقصود لو أخذنا القياس على القرآن الكريم بإن الله بعث بآياته إلى جبريل ﷺ ليوحيه إلى محمد ﷺ، ومع اختلاف القياس بأن القرآن الكريم كتاب واحد أوحى به إلى رسول واحد . وأن الأناجيل أربعة اختارهم بشر ثم زعموا أنه من قبل الله . ولو كان من قبل الله حقاً لكان إنجيلاً واحداً بلا اختلاف ولا خلاف، ولو فطن الآباء الأولون لذلك . لجمعوا الأربعة أناجيل من إنجيل واحد قد يكون النقد عليه أقل من أربعة . كل له رؤياه وإعتقاده، إلا أن الله ﷻ أراد أن يبين واقعية الآية الكريمة فى قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] .

نعود إلى مقدمة الدكتور منيس حول بداية إنجيل مرقس وحيث يؤكد أن مرقس كان تلميذاً لبطرس ورافقه فى بعض رحلاته وأخذ عنه ومنه وكتب إنجيله هذا بإيعاز من بطرس، وبالطبع لأن بطرس كان صياداً أمياً لا يكتب ولا يقرأ، وكان لابد وأن يكون معه من يستطيع أن يكتب أو يقرأ أو يراسل أحداً . ثم استشهد الدكتور منيس بذلك حيث يقول: قال بابياس: كتب مرقس البشير سيرة بطرس الرسول، وسجّل ما سمعه منه عند القاء عظاته، بدون مراعاة زمن حصول الحوادث فى تاريخ المسيح، ولكنه أخذ عن بطرس الأقوال التى يلقيها حسب مقتضيات الأحوال .

وذكر يوسابيوس فى تاريخه الكنسى شهادة {إيريناوس} بهذا الصدد، وكذلك شهادة {أكليمندس} أسقف الإسكندرية . وشهادة أوريجانوس . ويوجد غير ذلك شهادات {ترتليان} وإيرونيموس {جيروم} . ومع أنه يوجد بعض الاختلافات فى أمور جزئية، إلا أن أولئك الأفاضل أجمعوا على أمرين:

١} إن مرقس كان رفيق بطرس وبينهما علاقة خصوصية .

٢} إن مرقس هو الذى كتب هذا الإنجيل بإلهام الروح القدس .

وقد لفت نظرى مجموعة الأفاضل الذين ذكرهم الدكتور منيس عبد النور فى شهاداهم لإنجيل مرقس وهم:

١} إيرنياوس ٢} أكليمندس ٣} أوريجانوس

٤} ترتليان ٥} يوسابيوس ٦} جيروم

٧} بابياس

وفى محاولة متواضعة للبحث عن ترجمان لهؤلاء الأفاضل فى التاريخ الكنسى أو تاريخ المسيحية وجدنا الآتى:

١} إيرنياوس

هو من وضع الأساس الكامل للكاثوليكية التاريخية .

ـ ولد فى أوائل القرن الثانى الميلادى وتوفى سنة ٢٠٠م .

- لديه عملان فقط:

الأول: كتاب{ضد الهرطقات} ويقع فى خمسة أجزاء وقد كتب باليونانية فى الأصل ولا يوجد سوى ترجمة لاتينية .

والثاني: كتاب {إعلان التعليم الرسولى} ولم يبق منه سوى ترجمة أرمينية .

ويقول جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة: لم يكن ايرينايوس لاهوتياً بقدر ما كان مفسراً للكتب المقدسة . ولم يكن لديه طموح بأن يصير فيلسوفاً عظيماً، ولكن كما قال هو: إنه يفضل أن يكون بسيطاً غير متعلم ولكن قريباً إلى الله فى المحبة، من أن يكون منتفخاً بالمعرفة .

ثم يستطرد جون لويمر قوله: كان {مارسيون} الهرطوقي ينشر أفكاره بخصوص الكتب المقدسة، ما يجب أن يكون قانونياً وما يجب أن ينبذ، فتصدى له ايرينايوس بكل قوة وبرهن على الحاجة الملّحة لكل الأناجيل الأربعة مؤكداً وحدة اليهودية والمسيحية .

أما عن فكر إيرينايوس عن اللوجوس {الكلمة} : فعنّده أن الكلمة والله مترادفان تماماً، فالكلمة هو الله نفسه، وإذا كان هناك تمييز بينهما، فيكمن فى العلاقة بينهما وليس فى الجوهر، فالأب هو الإبن غير المنظور . والإبن هو الأب المنظور .

ثم يعلق جون لويمر عن ذلك بقوله: أنه قد تظهر بعض الشواهد التى تكشف عن أن إيرينايوس قد وقع تحت تأثير العقيدة {الموناركية} وهى العقيدة التى كانت مسيطرة على اللاهوت على مدى القرنين الثانى والثالث الميلادى قبل أن يكتمل الفكر اللاهوتى عن التثليث . وهذه الفكرة تتلخص فى تبعية الإبن والروح القدس للأب - والتى كانت المشكلة العويصة فى التفكير اللاهوتى فى ذلك العصر . لأن بعض المفكرين تطرفوا فى التطابق بين الأب والإبن لدرجة أن التمييز بينهما قد إختفى[1] .

ومعنى ذلك أن إيرنيايوس كان من المتطرفين الذين نادوا بعدم التمييز بين الأب والإبن، ولا أدل على ذلك من قوله صراحة فى كتابه {ضد الهرطقات} : {نحن نتبع

(١) تاريخ الكنيسة - ج١ جون لويمر .

المعلم الصالح الكامل الوحيد، كلمة الله ربنا يسوع المسيح الذى لفرط محبته لنا أخذ مكاننا لكى يرفعنا إلى مستواه هو ـ ففى تجسده ربط طبيعة الله بطبيعة الإنسان وبذلك مجّد هذه الطبيعة الأخيرة . فأصبح الناس آلهة بالمعنى الحرفى، إذ أن الخلاص فى مفهوم إيرينايوس يحول الطبيعة البشرية إلى طبيعة الهية . فنحن لم نخلق آلهة منذ البدء ولكننا خلقنا بشراً . ثم صرنا بالمسيح يسوع آلهة[1] .

وليأذن لى الدكتور منيس . هذا هو أحد شهوده الذى ذكر اسمه شاهداً على إنجيل مرقس والذى نستطيع أن نستنتج أن أراء إيرينايوس لها بصمة فى وضع قانون الإيمان الخاص بكنيسة قيسارية، والذى عدّل بعد ذلك فى مشكلة جوهر الأب والابن[2].

المسألة ليست مسألة أسماء وضعها الدكتور منيس كشهود لإقرار إنجيل مرقس أو حتى الأناجيل الأربعة . المسألة أن إقرار الأباء الأولين باختيار الأناجيل الأربعة كأناجيل قانونية، كان قد تم بالفعل ولكن ليس فى عهد إيرينايوس لأنه مات عام ٢٠٠م وحتى ذلك الوقت الذى مات فيه إيرينايوس عام ٢٠٠م فإن فكرة فلسفة {الكلمة} التى أوردها يوحنا فى إنجيله هو من أول من أظهر هذه الكلمة بوضوح . وأن إنجيل يوحنا كان متداولاً من بين المذكرات والأناجيل التى كانت متداولة فى ذلك الزمان بل وأكثر من هذا، وجود الإتجاهات التى كانت تنادى ببشرية المسيح وهى كثيرة فى هذا الوقت حتى حركة {آريوس} التى ظهرت بالأسكندرية وتنادى أن المسيح مخلوق مثل بقية البشر لم تكن قد ظهرت وقتئذ وحتى قضية الأقنوم الثانى الخاص بالأبن لم تكن قد ظهرت على السطح ولم يكن حتى قانون الإيمان النيقى ٣٢٥م قد توثق أو حتى قانونية الأناجيل الأربعة قد عرفت وقتها .

إلا أن الدكتور منيس يعلم تماماً أن القاعدة التى وضعها بولس حتى إتخذها غالبية الآباء الأولون وسار عليها من سار بعد ذلك وتركها من تركها وهو قول بولس الصريح: {إذا كان مجد الرب يزداد بكز فكيف أدان} .

وهكذا وضعت لَبنات المسيحية المحرفّة ورغم وجود حركات مضادة كان آريوس

---

(١) المصدر السابق .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر كتابنا محمد والمسيح .

أول من أعلنها صراحة، إلا أنه تم التصدى له فى مجمع نيقية ٣٢٥م وإنتهى باتهامه بالهرطقة .

٢} أكلميندس

وهو أحد شهود الدكتور منيس على إنجيل مرقس، وقد عاش حسب رواية جون لويمر مائة عام ١١٥ ـ ٢١٥م وهو من أصل رومانى، وكان وثنياً حيث درس فلسفة أفلاطون إلا أنه تنصر بعد ذلك بالإسكندرية حيث ألتحق بالمدرسة اللاهوتية والتى أصبح رئيساً لها . ثم ترك الإسكندرية ورحل إلى أورشليم وانطاكية حيث قيل أنه مات هناك .

ويقول جون لويمر فى ترجمته لحياة أكليمندس: كان أعظم ما أسراه أكليمندس فى مجال الأبحاث اللا هوتية ـ مع أنه لم يكن صاحب مدرسة لا هوتية ـ أن الفلسفة والدين يتفقان ولا يتضادان .

ورأى فى الفلسفة وسيلة لفهم الإيمان المسيحى وبخاصة معرفة الله، لقد قرأ وبحث فى كل مجالات الفكر والآداب والبحوث العلمية اليونانية، وكان يقول: إذا أرادت المسيحية أن تنتشر فى العالم اليونانى، فيجب عليها أن تخلع لباسها السامى، وتلبس لباساً يونانياً وتتكلم لغة أفلاطون هوميروس . وقد فعل ذلك فوضع علم اللا هوت القديم فى شكل وثوب جديد[1] .

أهم مؤلفات أكليمندس: دعوة إلى الوثنيين ـ المعلم ـ أفكار متنوعة والذى يسمى {ستروماناايس} .

حاول أكليمندس أن يشرح عدم تناقض الفلسفة مع الدين بواسطة المتوازّيات، فكان يستخرج من الأساطير اليونانية القصص التى تشابه قصص العهد القديم[2] . مثل الخلق والسقوط والطرفان وبرج بابل .

وكما كان {مينوس} وسط الشريعة للكريتين، وهكذا كان موسى لليهود . وكان أورفيوس يعزف على القيثار قبل داود .

---

(١) إن بولس هو أول من أسس هذه المدرسة فى محاولة لإلغاء الناموس ـ المؤلف .

(٢) لم تتناول الأساطير العهد القديم فقط بل تناولت أيضاً بالعهد الجديد ـ انظر جدول المقارنات فى هذا البحث ـ المؤلف .

أما عن رأى أكليمندس فى مصطلح {الكلمة} والتى أوردها إنجيل لوقا فى إصحاحه الأول، فقد حاول أكليمندس تطويع ما فكره من ثقافة فلسفية يونانية فى إيجاد العلاقة بين الكلمة وتجسدها .

فيقول أكليمندس: الكلمة {المسيح} هو فوق عالم البشر وفى عالم البشر، فهو سماوى بل هو الله نفسه وليس أقل من الله أو تابعاً لله[1] .

كذلك لم يستطِع أكليمندس فى رأى جون لويمر: أن يوضح أى عقيدة عن مضمون الخلاص حتى وإن قَبِلَ قصة الأناجيل ـ لهذا لم يكن للعمل الأسطورى الذى قام به المسيح على الصليب ولا للعبادة التى بنيت عليه مثل العشاء الربانى وتقديم المسيح نفسه كفارة يعتبر ذا أهمية فى فكر أكليمندس .

موقف أكليمندس من الكتاب المقدس

ويُعتبر ما كتبه أكليمندس عن الكتاب المقدس هو أغرب ما سمعت خلال بحوثى الطويلة ومن خلال أى مراجع، فيقول أكليمندس: إن الكتاب المقدس نافع لكل مسيحى ولكن لا يعرف عمقه أو حقائقه بالكامل إلا المسيحى العارف . ولكى يفهم المعنى الأعمق للكتب المقدسة عليه أن يستخدم كل علوم الفلسفة والأخلاق وعلم النفس والطبيعة وما وراء الطبيعة، فبهذه الوسائل يستطيع المسيحى العارف أن يستخرج من الكتاب المقدس كل المعرفة، والمسيحى العارف لا يصغى فقط إلى كلمات الكتاب المقدس ولكنه يفتح نفسه لما هو مستتر تحت الكلمات من حقائق وأعمال يقوم بها[2] .

ومعنى ما يقوله أكليمندس أن الكتاب المقدس هو لغز بالنسبة لأى فرد مسيحى لا يعلم عن هذه العلوم شيئاً، أو بمعنى أدق أنه يترك باب التفسير والتأويل الهوائى للأساقفة والقساوسة كل حسب حجم تحصيله من هذه العلوم . لذلك فإن جون لويمر يقول أن هناك بعض الضعف فى تفكر أكليمندس ومن السهل أن ندرك لماذا لم يعتبر {ارثوذوكسياً} حيث لم يكن له فكر لا هوتى متكامل . إلا أنه كان رجل زمانه لأنه إستطاع أن يسخّر الإمكانات المعاصرة والفلسفة ليربط بين الفكر الهلينى والفكر السامى ووضع أسلوباً فى الفكر اللا هوتى .

---

(١) هناك الكثير من قوانين الإيمان رزخت هذا المبدأ ـ أنظر كتابنا محمد والمتسح .

(٢) كتاب استروماتس ـ أكليمندس .

هذا هو أكليمندس الذى أتخذه الدكتور منيس شاهداً فى محاولة لإثبات ما يقول . رجل دخل المطبخ اللا هوتى وهو يملك بين يديه كل الفلسفات الوثنية اليونانية ليصنع تزاوجاً عجيباً بينها وبين المسيحية وليخرج معلناً هذا التزواج الذى يتحتم لمن أراد أن يفهمه من المسيحيين أن يكون عالماً بكل العلوم ولا يهم ألا يفهم عوام المسيحيين . ولقد طبق نظرية بولس قوله وعظته: كن يهودياً مع اليهود، وكن رومانياً مع الرومان وكن وثنياً مع الوثنيين .

٣} أوريجانوس

وهو أحد الأباء السبعة الذين استشهد بهم الدكتور منيس لإقرار إنجيل مرقس .

ولد أوريجانوس كما يقول تاريخ الكنيسة عام ١٨٥م وتوفى بين عام ٢٥٣ ـ ٢٥٤م أثر تعذيب على يد الرومانيين ـ ويرجع الفضل إلى المؤرخ يوسابيوس فى إظهار أوريجانوس كأحد أشهر الأباء الأولين فى تاريخ المسيحية، ويذكر يوسابيوس أن أوريجانوس كان تلميذاً لأكليمندس على الرغم من أن أكليمندس لم يذكر أوريجانوس فى أى من كتاباته . إلا أن {جريجورى توما تورجس} أحد تلامذة أوريجانوس حفظ تاريخه تقديراً منه لأستاذه، وامتدحه حتى وصل به الأمر فى قوله: لقد إشتعلت فى نفسى شرارة المحبة من نحو الله أعظم ما تصبوا إليه نفسى لجماله الذى لا يوصف . الكلمة القدوس الذى كله مشتهيات وكذلك من نحو ذلك الإنسان أوريجانوس خليله ونبيّه . وقد جعلتنى محبته التى ملكت على كل شئ أن أنسى كل ما يختص بى . شئونى الخاصة . دراساتى . حتى القانون الذى أحبه . البيت وأقربائى فيه . وكل من أعيش بينهم . هناك شئ واحد عزيز علىّ . الفلسفة ومعلمها، ذلك الإنسان السماوى أوريجانوس .

وهكذا تحول أوريجانوس من مدرس فى مدرسة الفلسفة اليونانية الأفلاطونية إلى إنسان سماوى مقدس . إلا أن هذا أثار حفيظة أسقف الاسكندرية ديمتريوس بعد أن تم رسم أوريجانوس عن طريق أصدقاؤه كشيخ . لأن العرف جرى ألا يرتسم شخصاً بعيداً عن الأبراشية التى يتبعها . بجانب أن أوريجانوس كان {خصباً} وهو ما يمنع توليته لأى مركز كنسى . فما كان من ديمتريوس إلا أن رفض هذه الرسامة وحرمه وطرده من رئاسة المدرسة اللا هوتية .

وفكر أوريجانوس مليئ ومتشعب سواء عن ما كتبه عن نقد ما يسمى {الهكسابلا} ومعناه ترتيب عدة ترجمات للعهد القديم فى ستة أعمدة . وهى دراسة نقدية كتبها فى ١٤ عاماً . وكذلك إتجاهاته فى التعبير المجازى والتى استخدمها فى تنوير الكنيسة كما يقول جون لويمر فتأول ما يقوله المسيح مثل: السامرى الصالح، وفسره بالرجل الذى كان نازلاً إلى أريحا هو آدم . أورشليم هى الفردوس وأريحا هى العالم، الكاهن هو الناموس، اللاوى يمثل الأنبياء، الدابة تمثل جسد المسيح والفندق هو الكنيسة، وصاحب الفندق هو رئيس الكنيسة .. والدرهمان هما الآب والإبن . وهكذا .

وعن نفسى ما هو الداعى فى الأساس لو كان المسيح يريد توضيح هذا لأوضحه دون الدخول فى مهاترات الألغاز التى يستطيع كل أن يفسرها حسب ما يراه أو يتخيله، وهكذا يتم تأويل أو تفسير شخص عن شخص آخر . وهذا ما يتضح فى فكر أويجانوس فى عقيدته فى المسيح فيقول: المسيح ابن الله المولود من الآب منذ الأزل كما يتولد البهاء من النور، وهو بهاء مجد الله ورسم جوهره .

فالإبن إذاً من ذات طبيعة الآب لأنه مولود من الله غير مخلوق، لقد انبثق من الأب دون أن ينقص من جوهر الأب بنفس الكيفية التى تتولد بها الإرادة من الروح، ولكن الإبن هو اقنوم متميز وبذلك يمكن القول بأنه {إله ثان} خاضع للأب، {أى أن تخضع إله لإله آخر} .

ثم يطرح علينا جون لويمر ما أسماه بالمسيح الوسيط وفيها عرّف أوريجانوس أن المسيح جاء ليكون {فدية لأجل كثيرين} مع أنه لم يستطع أن يصل إلى المفهوم الكلاسيكى الكفارة، فالمسيح دفع الثمن للشيطان لكى يضمن تحرير الجنس البشرى ـ {لم يقل المسيح بهذا} .

وفى مكان آخر يعتقد أوريجانوس أن الله أعطى نفس المسيح للشيطان فى مقابل نفوس البشر وقبل الشيطان المقايضة بدون أن يعلم! ! ـ كما كان الله يعلم ـ أنه عاجز عن أن يمسك المسيح بعد أن يصبح فى قبضته . الإبن هو الوسيط بين الله والعالم وبمقدار ما نعرف الإبن نستطيع أن نعرف الأب .

وسؤالى للدكتور منيس عن هذه الجزئية: إذا كان المسيح قد قُتل ليفدى البشر .

وهى نظرية توريث الخطيئة التى وضعها بولس حيث أخذها من الفلسفات الدينية السابقة، فلماذا لم يكن يوحنا المعمدان والذى قُتل أيضاً؟ ولماذا لم يكن زكريا أيضاً قَتل؟ أو كثير من أنبياء إسرائيل؟

إلا أن أوريجانوس أحد شهود الدكتور منيس كانت له طفرة تميز بها عن غيره أنه عمل على إدماج الأفلاطونية والرواقية فى الفكر المسيحى ممهداً الطريق للتوافق النهائى بين الكنيسة والامبراطورية . {فهل معنى هذا إلغاء مقولة المسيح ما لقيصر لقيصر وما لله لله؟!} .

ونكرر تعليقنا فى الشهود السابقة أن أوريجانوس لم يكن معايناً لكتابات مرقس، بل لابد من التوضيح أن الأناجيل الأربعة لم تكن قد تحددت بصفة نهائية، بل تحددت بعد ذلك بكثير، لكنها كانت متداولة مع غيرها من الأناجيل {مذكرات الرسل}، مع الأخذ فى الإعتبار والأهمية ما قاله جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة أن تلامذة المسيح كانوا يتداولون أقواله شفهياً! .

٤} ترتليان

أحد مؤرخى الكنيسة الأوائل، وأحد علمائها ولد فى قرطاجنة ١٦٠م من أبوين وثنيين ثم إعتنق المسيحية ١٩٠م . درس الكتابات المسيحية فى روما . حيث رجع إلى قرطاجنة ورسم هناك شيخ حيث توفى بها عام ٢٤٠م(١) .

كانت كل أبحاث ترتليان باللغة اللاتينية لذلك سُمَى أبو الفكر اللا هوتى اللاتينى، لأنه كان المفكر الرئيسى الذى صاغ المصطلحات والتعبيرات التى سادت فى الكنيسة الغربية، بل إن كل المصطلحات التى إستخدمتها الكنيسة الغربية كان مصدرها ترتليان، وخير مثال على ذلك مصطلحات {سر}، الثالوث، الجوهر ـ كذلك إستطاع ترتليان أن يعمق مفهوم وعقيدة {المسيح الكلمة} والتى كان تأثيرها البالغ فى القرن الثانى الميلادى ـ نلاحظ أن ترتليان قد اعتنق المسيحية عام ١٩٠م .

يقول جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة: وصف ترتليان اللا هوت والناسوت

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ جون لويمر ج٢

فى المسيح بأنه شخص واحد له طبيعتان تحتفظ كل منها بخصائصها . طبيعة واحدة، جوهر واحد، قوة واحدة . ولكنه يعتقد أن أقنومى الإبن، الروح القدس خاضعان للآب، ثم يدافع عن عقيدة الخضوع بقوله: كيف يمكن تصور أن الله كلى القدرة الغير منظور الذى لم يره إنسان ولا يقدر أن يراه الذى يسكن فى نور لا يدنى منه والذى لا يسكن فى هياكل صنعة أيدى الإنسان . الذى ترتعد الأرض أمام هيبته والجبال تذوب كالشمع، الذى يمسك بكل العالم فى قبضة يده، الذى السماء كرسيه والأرض موطئ قدميه، الذى يحيط بكل حيزٍ وهو لا يتحيّز، الذى يحيط بالحدود النهائية لكل الكون .

أقول كيف أن العظيم المتعالى يسير عند هبوب ريح النهار فى الجنة يفتش عن آدم .. ويجلس تحت بلوطة إبراهيم من حرارة القيظ . وينادى على موسى من عليقة تحترق، ويظهر كرابع فى أتون النار الذى أوقده ملك بابل .. ما لم تكن هذه الأمور صورة أو مثالاً أو مجازاً؟.

وما كنا لنصدق أن هذه الأمور تحدث حتى مع ابن الله ما لم تكن فى الكتب المقدسة . لأن هؤلاء الهراطقة ينزلون الآب إلى بطن مريم العذراء . ويوقفونه أمام كرسى بيلاطس ويدفنونه فى قبر يوسف، أنهم يعتقدون أن الآب نفسه هو الذى رآه الناس وتكلموا معه وتعب وعانى من الجوع والعطش، بالرغم من قول النبى {لأن الإله الأبدى لا يجوع ولا يعطش، وبالأحرى وأنه لا يموت ولا يدفن، وهكذا يعتقدون أنه لم يوجد إلا إله واحد هو الآب، وهو الذى عمل الأشياء التى لم يقم بها ـ فى الحق ـ إلا الإبن[1]! .

تعقيب المؤلف

وصف ترتليان الله ﷻ بوصف يبرز حقيقة لا ينكرها أى موّحد فى العالم وهو الكلام الذى وصفه القرآن الكريم فى قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام:١٠٢/ ١٠٣] .

وقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

---

(١) المصدر السابق .

هذا هو الله بديع السماوات والأرض، وإن كانت التوراة على حد قول ترتليان قد جعلت الله حاشاه فى عليقة تحترق فإن القرآن الكريم نفى ما يزعمونه وكما فى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. [طه:٩/ ١٢].

وقوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. {النمل:٧/ ٨].

والمعنى واضح جلّى أن النار كانت إشارة إلى موسى فى أن يذهب إليها، فبالنسبة لموسى أخذ منها ما يدّفئ قومه خلال البرد فى الصحراء، والهدف من الله ﷻ أن يحضر موسى إلى هذه النار بعيداً عن قومه للوادى المقدس ولتبدأ الرسالة الموسوية من تلك اللحظة، وليس معنى هذا أن الله كان فى العليقة كما وصفت اليهود رب العزة تارة فى عمود دخان وكثير من الأساطير التى زعموها بالتوراة . ودليلنا أن موسى لم يرَ الله ﷻ ولا أحد من الأنبياء إدعى هذا، لكن الله كلّم موسى تكليماً كما أخبرنا القرآن بذلك . إلا أن موسى عندما طلب أن يرى الله ماذا كان؟: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

إذ المسألة أن الله ﷻ وكما قال القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُورى:١١] .

وهذا ما يؤكده ترتليان فى قوله: أن الله كلى القدرة الذى لم يره إنسان ولا يقدر أن يراه أحد .

وسؤالى إلى الدكتور منيس: كيف يمكن القياس على شئ لا نستطيع القياس عليه . لابد أن يكون القياس على شئ يمكن القياس عليه، وإلا كان القياس وهْم وتخيل وإرهاصات لا جدوى من ورائها . ومع ذلك فغالبية قوانين الإيمان تؤكد ألوهية عيسى بداية من قانون الإيمان النيقى والقول {إله من إله} .

وفى قوانين أخرى من نفس الجوهر مثل قانون الإيمان الخاص بكنيسة قيسارية وفى مجمع القدسيين وكنيسة أنطاكية، مجمع أفسوس، مجمع الخلقيدونى .. وكثير، ولم يختلف عن هذا سوى آريوس والذى بسببه عقد مجمع نيقية ٣٢٥م .

وينقلنا {كوبلستون} فى كتابه تاريخ الفلسفة إلى نقاط أخرى عن ترتليان فقد حدد وفاته عام ٢٣٠م وليس ٢٤٠م كما يقول جون لويمر، وكذلك فنحن نعتقد أن توصيف ترتليان للخضوع ووصفه للذات العلية . كان ناتجاً بأنه كان أشرس المهاجمين للفلسفة الوثنية، بل وينظر للفلسفة نظرة الكراهية الكاملة ويعتبر تلميذ الإغريق حليف الخطيئة، أما تلميذ السماء فعدو الضلالة صديق للحق، وحتى حكمة سقراط عنده لا يمكن أن تبلغ القمة؛ ذلك أن أحداً لا يمكن أن يعرف الله، وما حكمة سقراط ومن تبعه من الفلاسفة إلا وحى شيطان، وما الفلاسفة إلا بطاركة الهراطقة . بالرغم من تصادم آراء ترتليان مع آراء كلمنت السكندرى وأراء جيروم السكندرى وكثير غيره .

٥} يوسابيوس

الشاهد الخامس للدكتور منيس، عاش يوسابيوس فى عصر الإمبراطور قسطنطين، وامتاز بمداهنته له بشكل لم نعهده فى الأباء الأوائل . وعلى الرغم من أننا لم نعثر على ترجمة محددة ليوسابيوس، إلا إننا أخذنا بعضاً من مواقفه مع الإمبراطور قسطنطين ومنه نستطيع أن نحكم على يوسابيوس .

وبنبذة سريعة عن الإمبراطور قسطنطين الذى عاصره يوسابيوس . يعتبر قسطنطين علامة إستفهام كبيرة ولغزاً محيراً للباحثين خلال هذه الفترة .

يعتبر الإمبراطور قسطنطين الأول {٣٠٦ ـ ٣٣٧م} ، هو أول إمبراطور يضع مبدأ التسامح مع المسيحيين، وعلى الرغم أن هناك كثيرين قبله قد فعلوا هذا، إلا أنه أول من تابع وبشكل جدى تنفيذ سياسة التسامح، بل ومد يد العون للكنيسة ودافع عنها، وبالتالى أقبلت عليه الكنيسة، وسبّحت بحمده .

وجد قسطنطين نفسه غارقاً فى المعارك الجدلية وخاصة فى جدلية الأقنوم الثانى، وبداية حركة آريوس بالأسكندرية فدعا إلى عقد المجامع الدينية، وترأس جلساتها، وصدّق على قرارتها بل وتدخّل فى صياغة قوانين الإيمان أو ساعد فيها .

من هذا المنطلق رأى يوسيبيوس التورد بطريقة أو بأخرى لقسطنطين ـ حتى ولو كان على حساب التأريخ ـ وهو ما يؤخذ عليه فى أحيان كثيرة، مثال ذلك: ما رآه يوسيبيوس فى قصته الشهيرة عن ميل الإمبراطور قسطنطين للمسيحية، ويغض الطرف عن الدوافع الحقيقية للصراع بين الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ماكسنتيوس، والذى أدى فى نهايته إلى حرب بينهما .

ويقول يوسبيوس: فى أثناء رحلة قسطنطين لفتح روما تراءى لقسطنطين هالة مضيئة تحيط صليباً كتبت تحته عبارة {بهذا ستنتصر} . ثم زاره المسيح أثناء نومه مؤكداً ما رآه فى السماء .

وهذا ما أورده يوسبيوس ومؤرخى الكنيسة أن قسطنطين ما كان ليهتدى إلى المسيحية على يد بشر، ولكنهم جعلوا السماء داعية له فى يقظته، ويسوع نفسه مبشراً له فى نومه، والصليب شارته، وأن الرب يبارك له هذه الخُطى، وحيث رأى قسطنطين هذا الصليب فى السماء فعقدت لسانه وجيشه الدهشة، وساورته الشكوك لما يرى، وذهبت به الظنون، ثم لتأخذه سنة من النوم فينبرى له مسيح الرب والعلامة التى رآها فى يده اليمنى، ويأمر المسيح قسطنطين أن يتخذ الصليب شعاراً له، فأسرع قسطنطين فى اليوم التالى ليجعل الصليب على أعلام الجند ودروعهم، ثم إستدعى حاملى أسرار الديانة المقدسة ليخبروه عن هذا الذى زاره فى نومه، فقالوا له أنه الرب، الإبن الوحيد المولود من الأب الواحد وأن ما رآه هو علامة الخلود، فوطّن قسطنطين نفسه منذ ذلك على قراءة الكتاب المقدس .

وبهذه الصورة يسوق يوسيبيوس قصة إهتداء قسطنطين والتى تشبهنا إلى حد كبير قصة شاؤول والتى تحول بها من عدو للمسيحية إلى راع لها فى يوم وليلة! ، وعلى منوال ذلك نهج مؤرخو الكنيسة قصة قسطنطين وعلى رأسهم سقراط وسوز ومنوس .

وكما تضاربت قصة هداية بولس وقد قُصت فى العهد الجديد فى ثلاث قصص كل واحدة تختلف عن الأخرى، نجد أن يوسيبيوس نفسه قد نقض روايته فى سذاجة لم نعهدها من مؤرخ .

فبعد أن يقص يوسيبيوس هذه القصة يعود ويذكر أن قسطنطين وحده لم يكن هو

الذى رأى تلك المعجزة فى السماء، بل شاركه الرؤية أفراد جيشه أجمعون، واعترتهم كلهم الدهشة ومعنى ذلك أن تكون هذه الرؤية شيئاً شائعاً بين الجميع، ولكن يوسبيوس يخبرنا أن قسطنطين نفسه هو الذى فصل عليه ذلك صراحة بعد فترة طويلة فى لحظة من لحظات راحته، وشفع ذلك بأيمان مغلظة، ثم يعلق على ذلك قائلاً: {فمن ذا الذى يتردد للحظة فى تصديق هذه الرواية ونسبتها إليه خاصة} إلا أن كثيرين بالفعل ترددوا فى قبولها، ويكفينا أن نذكر منهم كاتباً مسيحياً وهو {يوحنا موسهيم} وكتابه {تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة} الذى قال عنه القس {هنرى هَس} إنه من أعظم الكتب التى وضعت فى تاريخ الكنيسة يمتاز بالحياد وعدم التعصب[1] .

يتساءل المؤرخ: لماذا لما يستند يوسبيوس إلا إلى شهادة الإمبراطور دون ذكر شهادة أحد من الألوف الذين كان ينبغى أن يكونوا قد شاهدوا ذلك؟ ولماذا لم يقل إن الخبر شاع فى العالم واعتمد على شهادة كثيرين عوضاً عن ذكر مجرد شهادة قسطنطين بالإنفراد معه؟ وإن كان الله قد قصد إنارة عقل قسطنطين، هل يصدق بأن الله أراه مجرد صورة صليب بدلاً من أن يوحى إليه؟ وهل يصدق أن يسوع ملك الملوك أمر ذلك الإمبراطور بصنع صليب مادى جعل عليه كل اتكاله من أجل النصر؟ وكيف يمكن أن تكون هذه القصة غير معروفة للمسيحى حتى بعد حدوثها بخمسة وعشرين سنة؟

يعقب الدكتور رأفت عبد الحميد على هذا فى قوله: تعالوا نناقش بهدوء رواية شيخ مؤرخى الكنيسة يوسيبيوس القيسارى حول هداية قسطنطين إلى المسيحية، لندرك إلى أى حد مدى الصدق فيها من عدمه، وما الهدف الأساسى من وضعها . وما هى، أبعادها الحقيقية، وما النتائج البعيدة التى ترتبت على روايتها .

والشئ الذى يدعو للتساؤل أن يوسيبيوس قد أورد هذه القصة فى كتابه {حياة قسطنطين} وعلى لسان قسطنطين نفسه .

ولما كان هذا الكتاب قد وضع بعد وفاة قسطنطين عام ٣٣٧م، فإن خمسة وعشرين سنة تفصل بين هذه الحادثة وذكرها .

(١) مقدمة كتاب {تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة} بقلم القس هنرى هس .

أما في تاريخه الكنسي والذي أنهاه في عام ٣٢٤م، أي بعد الحادثة بإثنتي عشرة سنة فقط فلم يذكر شيئاً عن هذه القصة سوى ما نصه:

أما قسطنطين الذي كان متقدماً في المقام والمركز الإمبراطوري فإنه في البداية إذا أشفق على من ظلموا روما، وإذ لجأ بالصلاة إلى إله السماء وكلمته يسوع المسيح مخلّص الجميع كعون له .

أما المؤرخ {لاكتانتيوس} والذي عاصر نفس الفترة، بل إنه استدعى ليكون معلماً لابن قسطنطين فلم يذكر شيئاً البتة عن هذه القصة ألتي أوردها يوسبيوس، بل كل ما يذكره أن قسطنطين أُرشد في حلم رآه إلى اتخاذ علامة المسيح شعاراً يضعه على دروع الجند . وكان ملاك الرب الذي تبدى لقسطنطين في حلمه هو نفسه الذي زار {ليكينيوس} خصم قسطنطين، ولقنه صيغة الصلوات والدعوات التي تضمن له النصر على قسطنطين .

فالمسألة عند لاكتانتيوس لا تعدو حلماً رآه كل من قسطنطين وليكينيوس قبل أن يدخل كل منهما الحرب ضد منافسه جاء إليهما في نومهما أعطى الأول شارة النصر ولقّن الثاني أدعية الأنتصار[1] .

تعقيب للمؤلف

مما سبق سنجد أن يوسبيوس قد أعطى روايتين مختلفتين ثم جاء لاكتانييوس ليعطي رواية تختلف عن يوسبيوس . وأعتقد أن يوسبيوس قد اخترع هذه القصص عن قسطنطين إما بإضافة هاله قدسية على قسطنطين كأول إمبراطور وضع المسيحية كدين رسمي على الرغم أن إجمالي المسيحيين كان لا يتعدى عُشر تعداد الإمبراطورية في ذاك الوقت أو أن يوسبيوس أراد دفع قسطنطين بطريقة غير مباشرة لاحتضان المسيحية والدفاع عنها وسط هذا المجتمع الوثني الذي عاني منه المسيحيون من قبل، وهذا ما حدث .

إلا إننا لو رجعنا إلى ما قبل يوسابيوس بكثير لوجدنا أن اختراع القصص والرؤى

---

(١) الدولة والكنيسة ج٢ ـ د. رأفت عبد الحميد .

المنامية، كانت هي الحل الأمثل الذى يلتجئ إليه الكثيرون للخروج من مأزق أو إثبات ما لا يمكن إثباته عن طريق الطرح العلنى . ومثال ذلك قصة تحول بولس الشهيرة من عدو للنصرانية، شديد العنف على معتنقيها، يزج بهم فى السجون ويقتل، إلى داعٍ لهذا الدين فى يوم وليلة وهو من روى هذه القصة عن نفسه، وجاءت فى العهد الجديد فى ثلاثة روايات متناقضة غير مترابطة، فلا مانع لأى مؤرخ كنسى أو الآباء الأولين أن يدعموا موقف ما أو موضوعاً يرغبون فى إثباته من أن يسلكوا نفس المنهج عن طريق رؤية فى المنام أو علاقة أو صوت من السماء .. ألخ .

فإذا عدنا إلى المتناقضات حول إنجيل مرقس، وكما ذكر الدكتور منيس فى كتابه عن إنجيل بطرس وإنه يستشهد بالمؤرخ بابياس فى قوله: كتب مرقس البشير سيرة بطرس الرسول، وسجّل ما سمعه منه عند إلقاء عظاته، بدون مراعاة زمن حصول الحوادث فى تاريخ المسيح، ولكنه أخذ عن بطرس الأقوال التى يلقيها حسب مقتضيات الأحوال .

وذكر يوسابيوس فى تاريخه الكنسى شهادة إيريناوس بهذا الصدد . إلا أن هناك مقوله تفند تماماً ما قاله الدكتور منيس حول هذا، وحيث يقال: إن الجدير بالذكر أن القديس مرقس جاء إلى الاسكندرية قادماً من ليبيا يحمل معه إنجيله الذى كتبه بناء على رغبة الإخوة الرومان، على حد قول يوسيبيوس القيسارى وجيروم، وبهذا الإنجيل بَشّر . ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ دخول مرقس الإسكندرية[١] .

ولما كان كل من يوسيبيوس القيسارى وجيروم يتفقان على أن القديس مرقس قد نال الشهادة فى السنة الثامنة من حكم الامبراطور فيرون، أى عام ٦٢ للميلاد، فإن فترة مكوث مرقس فى الاسكندرية تتأرجح بين عامين وخمسة أعوام على أقصى تقدير، وهذه فترة بالطبع غير كافية على الإطلاق لا لتأسيس مدرسة بل حتى لإقامة مجتمع مسيحى له كيانه وسط مدينة تعج باليهود الذين يحملون العداء كله لهذه الدعوة الجديدة، ومن ثم يصبح القول بذلك بعيداً عن الواقع تماماً ـ ومن المعروف أن تاريخ الكنيسة المسيحية عامة فى الإمبراطورية الرومانية بما فيها كنيسة الإسكندرية، دخلت فى طور من

(١) الفكر المصرى فى العصر المسيحى ـ د. رأفت عبد الحميد ١١،١٦،١١١ Evseb. Hist. Eccl.

الغموض امتد لمائة عام تالية وأكثر بعد وفاة الإمبراطور نيرون عام ٦٨م ولم يقدم لنا مؤرخو الكنيسة وفى مقدمتهم شيخهم يوسيبيوس القيسارى أى معلومات تفيد الباحث فى التاريخ الكنسى أو الفكر المسيحى طوال تلك الفترة التى امتدت حتى قرب نهاية القرن الثانى، ولا نكاد نعثر فى {التاريخ الكنسى} ليوسيبيوس القيسارى إلا على أسماء عدد من الأساقفه الذين تولوا كرسى أسقفيتى روما والإسكندرية بصفة خاصة، ولا شئ سوى ذلك[1] . ويرجع ذلك إلى أن المسيحية كعقيدة لم تجذب انتباه السلطات الرومانية، بل كان ينظر اليها من جانب الإدارة الرومانية على أنها فرقة يهودية جديدة تضاف إلى جوار الفرق الأخرى .

دور يوسابيوس فى مجمع نيقية ٣٢٥م

لعب يوسابيوس دوراً بارزاً فى هذا المجمع المسكونى والذى كان السبب الرئيسى لعقد هذا المجمع هوّ مناقشة آراء {آريوس} فى مشكلة الاقنوم الثانى فى قانون الإيمان ومواجهة الفكر الآريوسى تجاه ذلك وقد حضر هذا الإجتماع {٣١٨} أسقفاً يمثلون مختلف الكنائس الشرقية والغربية .

وكانت المجادلات بين آريوس ومؤيديه وبين يوسبيبوس القيسارى ومؤيديه ويوسيبيوس النيقوميدى ومؤيديه تأخذ اتجاهات جدلية لا طائل من ورائها، وكان الأقنوم الثانى فى الثالوث {الإبن} هوّ محور هذا الجدل، فحين أن آريوس يقول الإبن خلق من العدم نرى الفرق الأخرى تقول أنه من جوهر الله، الصورة النهائية للآب، إله حق لا يتغير . وكثر الجدل حتى تدخّل قسطنطين بنفسه ودعا الأساقفة للدخول المباشر فى صلب الخلاف العقيدى والذى اجتمعوا من أجله، وقدم يوسبيوس قانون الإيمان القيسارى والذى يقول فيه: {وفق ما تعلمنا بادئ ذى بدء، وما لُقنّا وقت العماد، وما تلقينا عن أساقفتنا الذين سبقونا، وما علمنا من الكتاب المقدس، وفق ما يؤمن به القسيسون والأساقفة وبه يبشرون، نؤمن نحن، ونفصح، هذا الأساس عن إيماننا {نلاحظ المقدمة وعدم إرجاع سند هذا القانون إلى المسيح أو التلاميذ الاثنى عشر أو أحد من تابعيهم} . نؤمن بإله واحد، أب قدير، خالق كل شئ، ما يُرى وما لا يُرى، وبرب

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ـ د. بوتشر .

واحد يسوع المسيح . إله من إله . نور من نور . حياة من حياة . الابن الوحيد المولود . أول من ولد دون سائر الخلائق، مولود من الآب قبل كل الدهور . كل شئ به كان، الذى من أجل خلاصنا تجسد وعاش بين البشر . تألم وقُبر وقام فى اليوم الثالث، وصعد إلى الأب، وسيأتى ثانية ليدين الأحياء والأموات . نؤمن بالروح القدس الواحد . نؤمن بوجود ودوام ذلك . الآب حقاً هوّ الآب، والإبن هوّ الإبن، والروح القدس هوّ الروح القدس} .

تعقيب للمؤلف

نرى فى هذا القانون كلمات تناقض بعضها البعض، ومما يدل على أن واضعى هذا القانون لم يفكروا فى عمق الكلمة أو ما قد يؤدى المعنى الحقيقى لها، مما يعطى إنطباعاً لدى أى مفكر أنها مجرد كلمات متراصة نتج عنها هذا التناقض وهذا نتيجة . ما قيل فى مقدمة هذا القانون، الذى يحاول فيه واضعو هذا القانون مط سند هذا القانون بأسانيد واهية . مثال ذلك:

١} وفق ما تعلمنا

٢} وما لُقّنا وقت العماد

٣} وما تلقينا عن أساقفتنا

٤} وما عُلمنا من الكتاب المقدس

٥} وفق ما يؤمن به القسيسون والأساقفة

وكما نرى أنها أسانيد لا ترقى إلى حقيقة مثل أن يقال: {فيما ما قاله يسوع المسيح أو وفق ما قاله أحد الحواريين، وبهذا يرجع السند إلى قول يحقق الصدق والحقيقة فيما سوف يتلونه بعد ذلك . لذلك جاء القانون فى حالة من الضعف اللغوى الذى قد يثبت اللا معنى . ففى الوقت الذى وضع فيه الله فى وحدانية كاملة قادرة، وهو الذى خلق كل شئ وأكد ذلك بقوله ما يُرى وما لا يُرى، إلا إنه يعود فينفى هذه المشيئة عن الله والعياذ بالله من ذلك، ليضع لنا إستثناء وبعيداً عن هذه المشيئة، فيقول: وبرب واحد يسوع المسيح . إله من إله ـ الإبن الوحيد المولود ـ كل شئ به كان! كيف؟ سرّ لم يستطع أحد أن يفسّره . فكيف يكون الله فى هذا القانون خالق كل شئ . أى كل شئ فى السماء وفى الأرض، ولكن هناك أيضاً رب آخر هوّ يسوع المسيح، فهو إله من إله وأن كل شئ به كان . هوّ إله . لكنه مولود، فأصبح بولادته إبناً لله . لا ليس إبناً

رغم أنه مولود . لأنه إله من إله وبما أنه مولود من إله فهو إله مثله، ولأن الإله الأول يريد أن يكفر عن خطيئة آدم التى توارثها البشر فقد أنزل الإله الآخر يسوع ليتجسد ويعطى الخلاص للبشرية، وفى سبيل ذلك يُهان ويُعذب ويُصلب فداء للبشر ثم يموت ويقبر . وكأن الله الخالق القدير لا يستطيع أن يغفر للبشر كافة إلا عن طريق رسول بشر ليس مثل أنبياء بنى إسرائيل انتهاء بيوحنا المعمدان . ولكنه ينزل ابنه الإله ليأخذ على عاتقه هذه المهمة .

ولذلك بعث يوسيبيوس رسالة إلى أهل بيعته مفادها أنه عندما عرض قانون إيمانه هذا لقى استحسان الجميع، حتى أن الإمبراطور قسطنطين راح يستحث الأساقفة على الموافقة على هذه الصيغة وعلى أن يضاف اليها عبارة من نفس الجوهر وهى ما يطلق عليها {الهوموسية} .

ويقول الدكتور رأفت عبد الحميد فى كتابه: هنا لابد من وقفة مع شيخ المؤرخين، أسقف قيسارية، فهو يجعل من قسطنطين رجل لاهوت من الطراز الأول، يستحسن قانون الإيمان هذا ويستنكف ذاك ويدير دفة الحوار فى عدد من جلسات المجمع ويناقش الحاضرين آراءهم! ونتساءل كيف تأتى هذا لقسطنطين وقد أمضى حياته فى الجندية محارباً تحت لواء دقلديانوس، وهو أيضاً ينتمى للغرب اللاتينى الذى لم يكن له دور أساسى فى مثل هذه المناقشات الجدلية، فيما يتعلق باللاهوت، وحال لسانه وتربيته وثقافته لا تؤهله لذلك؟! .

لقد ترأس قسطنطين الجلسة الافتتاحية للمجمع وألقى خطبة باللاتينية رغم أن الحضور جميعهم كانوا يتحدثون اليونانية وبها يتحاورون، مع إستثناء الثمانية أساقفة اللاتين ـ ورغم أن قسطنطين لم يكن قد تناول بعد سر المعمودية وأنه قد تأخر حتى عشية وفاته . أو حسب ما يدعّونه حتى يثبتوا أنه تنصر قبل وفاته . ولكن الذى لا يمكن قبوله، القول بمشاركة قسطنطين فى الحوار اللاهوتى الدائر بين آباء الكنيسة فى مجمع نيقية، فهم يتحاورون بلغة لا يفهمها لسان ولا فكر، فهم فى العموم يدركون تماماً ذلك الذين من حوله يختلفون، وخاصتهم يجيد ذلك تماماً، لأنهم ينتمون إلى المدارس الفكرية والفلسفية اليونانية، سواء كانوا من الآريوسيين أو خصومهم. ولم يكن

لقسطنطين خط من هذا أو ذاك[1] . ومما يثبت هذا . رسالة قسطنطين نفسه والتى بعث بها إلى كل من {إسكندر} و{آريوس} فى الأسكندرية فى بداية النزاع بينهما فيقول فيها: {خطأ فى البدء أن تطرح القضايا على نهج هذا، والخطأ كل الخطأ بعدُ فى نقاشها، فمسائل الجدال هذه ـ وليس لها من الشرعية نصيب، وتمليها روح صراع وليدة فراغ أسيئ شغله، حتى ولو قُصد بها رياضة الذهن ـ ينبغى أن تظل حبيسة فكرنا . ولنر هل أصبنا حيث اختلفنا فى كلمات العبث والغباوة أن نعادى بعضنا بعضاً، وتمزقت جماعتنا لخلف أصابنا بكما، أنتما يا من يتعالى صياحكما حول نقاط كم هى {تافهة} ، و{ضيعة} ، {سوقية} ، {حماقة صبيانية} ، تقف والضد من حصافة الاكليروس والعقلاء . ذلك حديث أقوله لكما دون رغبة فى قهركما على التوافق حول هذه المسألة العقيمة، مهما كان كنه طبيعتها، وإذا كان لابد من الشجار حول أمور لا جدوى منها، فعليكما ـ إن صعب الوئام ـ أن تقصرا ذلك على دواخل فكركما والعقل .

لذلك نرى أن أهم ما احتوته رسالة قسطنطين فى هذا الصراع حيث رجال الإكليروس يختلفون حول جوهر العقيدة المسيحية وهو الأقنوم الثانى، اللوجس {الإبن} ، واصفاً هذه الأمور الجدلية النقاشية بأنها أمور لا جدوى منها وليس من ورائها طائل، أو أنها فراغ أسئ إستغلاله، وكل هذه الأمور ليست إلا مجرد كلمات عبث وغباوة، وحماقة صبيانية، وتافهة، ووضيعة وسوقية . كان هذا رأى قسطنطين الذى وضعه فى رسالة إنذار لكل من آريوس، إسكندر .

ولنا أن نتساءل: ما الذى يدعو يوسيبوس فى أن يخلع على قسطنطين أسقفاً ورعاً {محبوب الرب} كما كان يحب أن يناديه ووضعه فى أعلى صفوة من رجال الفكر اللاهوتى الكنسى آنذاك؟

إن تاريخ يوسبيوس القيسارى والذى خُلع عليه اسم شيخ المؤرخين الكنسى مليئ خاصة فى المسائل العقائدية، وتزلفه الشديد نحو قسطنطين، والغريب أننا لو ذهبنا إلى كتاب جون لويمر {تاريخ الكنيسة} الجزء الثانى . لوجدنا أن حادثة قسطنطين مع علامة الصليب والتى أوردها المؤلف فى الجزء الثانى من تاريخ الكنيسة، حتى أنه كتبها

---

(١)

فى ثمانية أسطر فقط، بل وادعى أن الإمبراطور صلى إلى الله لأجل الإرشاد!! فى الوقت الذى يزعم فيه جون لويمر أن {هوسيوس} أسقف قرطبة بأسبانيا كان يرافقه . ومع ميل قسطنطين للمسيحية ليست كدين لأنه كان مازال وثنياً وأن هذا الميل كان ميلاً سياسياً إلا أن يوسابيوس ادعى أنه صلى إلى الله طالباً الإرشاد[1] .

٦} جيروم

ويدعى {سابيوس سيفرونيوس إيرونيموس جيروم} ولد بيوغسلافيا ٣٤٢م وتوفى ٤١٩م . ومع ذلك فإن ميلاده غير مؤكد وحسب مصادر مختلفة فميلاده يقع بين ٣٤٢/٣٣١م! كان شعوره بالرغبة الجنسية الجامحة مسببة له إنزعاجاً شديداً حتى أنه هرب بهذا الشعور عام ٣٧٣م إلى الصحراء حيث إختياره حياة الرهبنة فى صحراء سوريا حيث قضى خمس سنوات فى هذه العزلة وحيث كتب لأصدقائه رسالة يشرح ما هوّ فيه والمعاناة التى يعيشها قائلاً: كم من مرة تخيلت نفسى وسط ملاهى روما وملذاتها . كان وجهى شاحباً وجسمى يرتعش بفعل الصيام . ومع ذلك يحترق فكرى بالرغبة الجنسية وظل لهيب الشهوة مستعراً أمامى بينما كان جسدى مثل جسد الأموات[2] .

إلا أن جيروم فى عام ٣٩٧م ترك عزلته فى الصحراء، {وبالرغم من زعم جون لويمر بأنه بدأ عزلته عام ٣٧٣م وأمضى خمس سنوات فى هذه العزلة إلا أن المؤلف عاد وقال أنه ترك عزلته عام ٣٩٧م أى بعد مضى أربعة وعشرين عاماً}!! وليس خمسة أعوام!! . لذاك فنرى رد فعل جيروم عنيفاً فى كل ما يتعلق بالمسألة الجنسية دفعت الغريزة الجنسية أكثر من أى شئ حتى أنه أبغض الزواج بالرغم من أنه قد اشيعت عنه علاقاته بالنساء، وتعتبر السيدة {بولا} من أقرب الشخصيات إلى جيروم وهى أرملة واسعة الثراء ولها إبنتان، وبإقناع من جيروم نذرن أنفسهن راهبات . وهرب من روما مع بولا والعذارى إلى إنطاكية ومرّ بالأسكندرية ثم استقر فى بيت لحم حيث قضى جيروم هناك بقية أيام حياته[3] .

(١) انظر إلى تاريخ الأمة القبطية - بوتشر .

(٢) تاريخ الكنيسة ج٣ - جون لويمر .

(٣) تاريخ الكنيسة ج٣ - جون لويمر .

دور جيروم فى الحياة الكنسية

لم تتكلم موسوعة تاريخ الكنيسة لجون لويمر عن دور جيروم فى الحياة الكنسية باستفاضة سوى بعض المقتطفات كاختلافه مع {أوغسطينوس} فى تفسير رسالة غلاطية وإصراره على أن بطرس قد تظاهر بتأييد الفرائض الموسوية حتى أمكن لبولس أن يثبت أنه على خطأ . ولما جاء {بيلاجيوس} غريم أوغسطينوس إلى فلسطين هاجمه جيروم وحاول أن يعلن أنه هرطوقى . والواقع أن بيلاجيوس هاجم جيروم فى بيت لحم .

ويؤكد كتاب تاريخ الكنيسة أن جيروم لم يكن لاهوتياً .

ونظراً لمعرفة جيروم وتمكنه من اليونانية واللاتينية وأيضاً العبرية فإنه يعتبر من أكثر المترجمين إنجازاً فى عصره، فترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية وهى الترجمة المعروفة {بالفولجاتا} . وإن كان الكثير اعتبر ترجمة جيروم راديكالية {متطرفة}، إلا أن جيروم أنتقدهم بأنهم {حميرا يسيرون على رجلين، من يحسبون الجهل قداسة} .

ثم يصف جون لويمر شخصية جيروم بأنها شخصية المتناقضات، رجل الكراهية العميقة والأهواء المريضة، ومع هذا فقد أعطته الكنيسة لقب قديس! ولا تعليق لدينا .

جيروم وموقفه من الأوريجنية

والأوريجنية نسبة إلى المفكر الاهوتى أوريجون، والذى بنى فكراً لاهوتياً مبنياً على المصادر الفنية للفكر الفلسفى اليونانى . لذلك كانت حياة أوريجين هى نقطة التحول فى المسيحية من مجرد شيعة إلى إلى كنيسة عالمية حيث واصل عمل أكليمندس فى إدماج الافلاطونية والرواقية فى الفكر المسيحى . وقد هوجمت الأفكار الأوريجنية واعتبر مؤيدوها هراطقة .

إلا أننا نرى جيروم فى موسوعته {موسوعة الاعلام} وهى مثل كتب التراجم يفرد مساحة كبيرة جداً لأوريجون السكندرى واصفاً إياه بأنه صاحب عبقرية لا تبارى فى كل فروع المعرفة، ويؤكد هذا فى رسالته إلى {بولا} التى قارن فيها بين ما كتبه {ماركوس فارو} وما كتبه اوريجين والذى يصف فيه الأخير بقوله: {رجلنا المسيحى الذى يأخذ فكره بالالباب، الذى لا تلين له قناة، الذى استحق الدرجات العلا لحماسته التى

حدود لها فى دراسة الكتاب المقدس}[1] . إلا وأنه رغم كل هذا كانت مكافأة أوريجن أنه تمت إدانته من كنيسة روما . لذا فقد أتهم جيروم أنه متعاطف مع أفكار أوريجن .

ويضيف روفينوس أن جيروم كان أثناء وجوده فى بيت لحم يمتلك مجموعة من كتب المفكرين والفلاسفة الوثنيين، ويقوم بتعليمها إلى الناشئة . وكان كل هذا بسبب أن روفينوس كان من أشد المدافعين عن أفكار أوريجن ولكن جيروم انقلب فجأة على أوريجن مما دعا روفينوس فى أن ينبرى فى الدفاع عن أوريجن ومهاجماً لجيروم فى نفس الوقت لما رأى من جيروم من إتهام أوريجن وإتهام أفكاره، فيتهم روفينوس جيروم على هذا وانه السبب والعقل المدبر، ويناشد المجمع الذى يعقد لإدانة أوريجن وكتبه أن يقوم أيضاً بإدانة جيروم!

تعقيب للمؤلف

من كل ما مضى نرى شهود الدكتور منيس الذين أوردهم لتثبيت حقيقة إنجيل مرقس هم شهود فى الحقيقة تحوم حولهم الشبهات وأن أكثرهم مؤرخين للتاريخ الكنسى وكما أثبت جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة حتى جيروم نفسه والذى أعطته الكنيسة لقب قديس كان يعانى من مشكلات فى غريزته الجنسية حسب ما أورده جون لويمر .

النقطة الثانية وهى أن كل الشهود لم يتكلم أحد فيهم عن صحة هذا الإنجيل من عدمه وإنما كانت كل حياتهم فكرية فلسفية وتفسير مجازى أو تفسير لفظى، والاختلافات فى الأقاليم ووضع كل أقنوم فى منظومة الثالوث . لم يتكلم فيهم أحد أو غيرهم عن صحة وحقيقة الأناجيل لأن المسألة كانت بالنسبة لهم شئ لا نقاش فيه . لأن الآراء فى المناقشات الجدلية سواء فى حركة آريوس أو الأوريجنية كانت تتهم بالهرطقة فما بالنا لو خرج أحد القساوسه وقال إن إنجيل كذا أو إنجيل ذكر إنجيل لا سند له أو أنه إنجيل فرضته الكنيسة دون وضع أى معايير لإختياره هذه الأربعة أناجيل .

نعود إلى إنجيل مرقس . فبادئ ذى بدء فسوف أذهب بالقارئ إلى تفسير إنجيل مرقس الذى وضعه {د/ آلان بول} وأصدرته دار الثقافة والتى يقوم عليها رؤساء تحرير

(١) الفكر المصرى فى العصر المسيحى ـ د/ رأفت عبد الحميد .

وعلى رأسهم القس منيس عبد النور . والذين يضعون مقدمة لو تمعن فيها القارئ بالتحليل النقدى السليم لوجد عجباً . فتقول مقدمة الدار: أن إنجيل مرقس يبدو وكأنه محاولة لترتيب التتابع الزمنى لحياة الرب {المسيح}، إلا أنه قد لا يتوافق مع الترتيب الوارد فى الأناجيل الأخرى ـ {مع أن هناك بعض الأقاويل التى تقول أن مرقس كتب إنجيله بإيعاز من بطرس الرسول وهو أحد الأثنى عشر الذى عاين وشاهد وعلم حقيقة التتابع الزمنى!}

ـ إذ يبدو من المقارنة أن مرقس لم يورد بعض الأجزاء وعجز عن الحفاظ على التسلسل الزمنى ـ {إذا كان بطرس قد أخطأ فى التتابع الزمنى لحياة المسيح وبالتالى جاء خطأ مرقس، فهل أخطأ الروح القدس والإلهام الذى يدعّون فيه أن مرقس كتب إنجيله بإلهام القدس؟!} . بل أن مقدمة الدار تذهب بنا إلى أن مدارس النقد تقول: إنه حتى ولو لم يكن لدينا المعرفة الكاملة لكل التفاصيل وحتى لو بقيت بعض المشاكل بدون حل فإن الأمر ليس فيه ما يدعو للتشدد والجدل حول بعض الموضوعات السطحية والتى فى نفس الوقت لا تعد عائقاً للمزيد من البحث والمحاولات!!

أخيراً تقول مقدمة الدار: إن محاولة مطابقة الأناجيل كلها لتكون صورة واحدة مكررة هى محاولة توفيق ساذجة ـ فمن واجبنا عدم المجادلة حول الأسماء والمواقع وإنما المساعدة على تبنى موقف إيمانى صلب يمكننا من شرح الأناجيل ـ {والمعنى هنا واضح وهو تغييب العقل والتأمين على كل ما ينادى به الآباء والقساوسة دون جدل أو حتى مجرد إعمال العقل . وكما نقول ولا الضالين .. آمين .

فإذا ذهبنا إلى المؤلف {د/ ألان بول}، وفى تفسيره لإنجيل مرقس فنجده فى بداية تفسيره يلقى بقنبلة ربما أريد بها أن نستوعب ما بين السطور فيقول: لو أن الصورة التى رسمتها الكنيسة للمسيح كانت خاطئة، فإنه ليس فى استطاعتنا أن نرسم صورة أخرى، وعلى هذا فإنها وإن كانت أفضل الأخطاء، فإنها ستبقى على صلتها بالصورة القديمة . إن أول ما نلاحظه أن الكنيسة المسيحية الأولى أو فى القرن الأول الميلادى كانت على صلة أوثق بالحدث المسيحى من تلك الصلة التى عليها عالم مُحدث جاء بعدها .

إذن القرن الأول الميلادى وحتى بداية ظهور الأناجيل كانت الكنيسة وكما سبق

القول بدون كتاب مقدس، بل أن أكثر من مائة إنجيل ورسائل ومذكرات، إلا أن الكنيسة عندما أرادت الاستقلال عن اليهودية كان لابد من كتاب مقدس كما لليهود توراتهم .. وكانت الأناجيل الأربعة هي التي رسا عليها العطاء الكنسي لتكون العهد الجديد للدين الجديد، كيف ومتي؟ لا أحد يعرف، حتى {د/ آلان بول} نفسه وفي تفسيره قوله: على مر الزمان لم تكن هناك فترة انقطاع في الفكر في أذهان المسيحيين الأولين، ولم نتوصل بعد إلى تعريف مقنع للمبدأ الواقعي الذي بمقتضاه تم وضع اللائحة القانونية لأسفار العهد الجديد .

ثم يستطرد د/ آلان بول قوله وهو يتساءل: هل كان الرسل شهوداً أمناء للمسيح، الذي عرفوه عن قرب، وكانوا على صلة حميمة معه، أو لم يكونوا كذلك؟ فإذا ما كانوا شهوداً أمناء للمسيح، فإن في مقدورنا أن نقبل العهد الجديد على أنه شهادة موثوق بها وإلا فإننا نكون قد ضعنا .

ثم يطرح د/ آلان قضية القيامة وما صاحبها من شكوك فيقول: أما عن القيامة فقد كانت هناك بالطبع قصص أخرى كما يتضح من متى ٢٨: ١١/٢٥ إلا أنها في نفس الوقت توضح أسباباً وجيهة للتدليل على أنها أحداث مصطنعة أو مختلفة. وعلاوة على ذلك، فإن الجموع كانت على أقل تقدير تساورها الشكوك حول هذه الشروحات للقيامة

ثم ينقلنا الدكتور آلان بول بعد ذلك في تفسيره لإنجيل مرقس إلى ما سماه {نقد المصدر ونقد الصيغة}، في محاولة منه لدراسة الأسس التي تستند عليها الأناجيل فيقول: أنه لا يجب أن نتصور تواجد هيئة تحرير تتولى فحص كل الروايات الموجودة بدقة، ومن بينها معجزات المسيح لتقرر أي منها يصلح للحفاظ عليه، وأي منها لا يصلح لأن مثل هذه الأفكار كانت غريبة في مثل هذه الأيام الغابرة . إن المتوافر لدينا هو محصلة على تقليد حي ونشط، استطاع بفضل الغريزة المسيحية السليمة حفظ تلك الأشياء التي قامت الدلائل على قيمتها الحقيقية، ولم يتم بلورة هذا التقليد الشفهي في شكل مكتوب إلا حينما بدأ التقليد الشفهي يتضاءل تدريجياً بموت الجيل المسيحي الأول . أي بمعنى أن المذكرات أو الرسائل بدءت كتابتها بعد انتهاء التداول الشفهي للجيل الذي عاصر المسيح، وهنا يجيئ السؤال فأين هذا من كتابة وأقول كتابة إنجيل متى؟ إلا أن د/ آلان يقول في رد غير مباشر على هذا التساؤل، وذلك بقوله: أصبحت

مشكلة تدوين التعليم أو المادة التبشيرية مشكلة حادة، ولكن الأناجيل على النحو التى هى بين أيدينا الآن، لم تكن بالطبع هى أولى الصياغات أو الصياغة الوحيدة لها .

نصل الآن إلى أحد الشهود السبعة الذين أدرجهم الدكتور منيس وهو الذى لم نتكلم عنه فى حينه لأنه ذو وضع خاص، وهو ما أفرد له الدكتور آلان بول مساحة فى تفسيره لإنجيل مرقس . وهو {بابياس} فمن هوّ بابياس؟

٧} بابياس

يقول د/ آلان أن بابياس كان معاصراً ليوستينوس الشهيد حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى حوالى {١٥٠م} وأن بابياس كانت له قصاصات كتب عنها يوسابيوس القيسارى المؤرخ وذلك فى القرن الرابع الميلادى، لأن الفترة التى تفصل بين بابياس ويوسابيوس حوالى قرنين من الزمان . ونظراً لطول الفترة الزمنية فإن هذا يحذرنا من المغالاة فى الاعتماد على شهادة يوسابيوس .

ثم يستطرد د/ آلان بأن هناك التأكيد على أن بابياس لم يستعمل على الإطلاق الكلمة اليونانية والتى معناها الإنجيل، بينما يفعل يوسابيوس هذا الأمر فى نفس القرينة، وعلى هذا فقد قيل إن {الأقوال} هى مجرد المصطلح القديم لما عُرف فيما بعد بالإنجيل . إن الإستعمال المتماثل لمصطلح {الأقوال} فى العهد الجديد كإشارة إلى أسفار العهد القديم نراه مقتبساً فى رومية ٣: ٢ . ولكن هذا الأمر ليس دقيقاً تماماً، وذلك للأسباب الآتية:

١} لو عرفت الرسائل اصطلاح الإنجيل واستخدمته للتعبير عن رسالة الإنجيل ذاتها، على أن الأناجيل الأربعة لم تكن بالطبيعة قد وجدت بعد، فإن هذا الأمر قد يبدو توسيعاً فى استخدام المصطلح .

٢} إن الأناجيل كانت بالتأكيد موجودة منذ عهد طويل سابق على بابياس، وأن مرقس قد افتتح كتابه بهذه المقدمة القوية باعتباره إنجيلاً {١: ١} وربما قد يتضح من هذا الاستخدام المبدئى، أن مرقس لم يكن يقصد الكتاب بأكمله وإنما مظهراً معيناً من محتوياته، ينطبق عليه هذا العنوان، والذى كان أول استخدامه لإنجيل مرقس، وبعد ذلك أُطلق بالمشابهة على الأناجيل الثلاثة الأخرى .

٣} حتى إذا لم يستخدم بابياس العنوان {إنجيل} للكتاب الكامل، فإن غرضه الصحيح هوّ أن هناك تمييزاً فعلياً بين الأقوال الأولية والمنتج النهائى للإنجيل، وأن الأثنين ليسا شيئاً واحداً .

التعقيب الأول

إن حياد الدكتور آلان بول فى توضيحه للبند الثالث يظهر بما لا يدع هناك مجالاً للشك، أن هناك كتابات سبقت الأناجيل الأربعة كانت متداولة بين المسيحيين آنذاك وكانت منها الأناجيل الأربعة، ولم يكن يطلق عليها لقب أناجيل . بل إن البعض منها كان يطلق عليه مذكرات الرسل، وهذا ما عقّب عليه {آلان بول} بعد ذلك فى قوله: وفى الإمكان من الناحية الأثرية اختبار صحة هذه النظرية بواسطة الحقيقة المعروفة وهى أن أقوال يسوع {والمسّلم بأنها هى اللوجيا} وهى أقوال يسوع المنطوقة، كانت موجودة فى المخطوطات البردية أو بصورة مؤكدة فى مصر[1]، ومن المحتمل أيضاً وجودها فى مناطق أخرى، وأن وجودها كان بالفعل سابقاً على زمن بابياس . ولسوف يظل أمر قربها أو بعدها من أيام خدمة المسيح الأرضية موضوع نقاش . والظاهرة المثيرة أن مثل هذه القصاصات والتى قدّر لها البقاء . إما أن تكون على الأغلب أقوالاً هرطوقية أو أقوالاً لم تتضمنها لائحة الأسفار القانونية، لكن ربما يكون هذا محض صدفة . إننا نعرف من أفتتاحية إنجيل لوقا أن أناجيلنا الأربعة الحالية هى من بين العديد من الأناجيل القديمة السابقة عليها والتى خلّفتها وراء ظهرها، ومع ذلك فليس لدينا الدليل الكافى الذى جعلنا نقرر أن مثل هذه الأناجيل الأقدم والتى استمرت موجودة فيما يعرف بالأناجيل المنحولة {الأبوكريفية} كانت من ذلك النوع الهرطوقى . وربما يكون لوقا على سبيل المثال يشير فى افتتاحية إشارة جانبية غير مباشرة إلى مرقس . من المحتمل أن يكون الكثير من هذه الأناجيل الأبوكريفية كانت تضم بين ثناياها روايات مماثلة للأحداث المتضمنة فى الأناجيل القانونية .

لذلك فإن مؤلفاً مثل كتاب {شذرات من إنجيل مجهول} للكاتبين {سكيت، بول} يعّد بمثابة تذكرة حكيمة لنا بأننا لا نعلم سوى القليل عن هذه الفترة التى تشكّلت

---

(١) برديات نجع حمادى .

فيها أناجيلنا على الصورة التى هى عليها الآن، وعلى هذا فليس من الحكمة فى شئ أن نجزم {من غير مبرر كاف} بتحديد ما لابد أنه حدث أو لابد أنه لم يحدث .

التعقيب الثانى

إننا إذا حللنا مقولة {آلان بول} فى أن غالب هذه الأقوال هى هرطوقية، ومع الأخذ فى الإعتبار لغز تحديد كيفية تم اختيار الأناجيل الأربعة . فإن ذلك يدل على أن من كتب هذه القصاصات كانوا أقرب لعصر المسيح أو هم ممن شاهدوا وعاينوا، فإن هذه القصاصات والتى اعتبرت هرطوقية كان بها الدعوة الصحيحة للمسيحية والقصة الحقيقية لها والتى قد تجعل هذا الدين امتداداً لليهودية وليس مستقلاً عنها . وكما أوضح المسيح بنفسه وأقرّ القرآن بذلك .. ويضع قصص القبض والمحاكمة والصلب والقيامة لا أساس لها من الصحة ثم ما تبع ذلك من قضية الثليث وسر التناول وكل الطقوس التى جاءت بعد ذلك إنما هى من صنع البشر، فأرادت الكنيسة أن تثبت استقلالية هذا الدين واستقلالية الكنيسة من خلال رفضها لهذه الأسفار أو القصاصات . حتى إنجيل يهوذا الذى تم العثور عليه أخيراً فى مصر . وعن الرأى الشخصى، فإننا نجد إنجيل يهوذا لم يتكلم عن قضية المحاكمه والصلب والقيامة بل إنه انتهى عند عملية القبض وهذا يؤكد ما أورده يوحنا فى إنجيله: {سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خدماً ليمسكوه . فقال لهم يسوع: {أنا معكم زماناً يسيراً بعد . ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . ستطلبوننى ولا تجدوننى . وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا} . فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مُزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مُزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلم اليونانيين؟ ما هذا القول الذى قال: ستطلبوننى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟ . يوحنا ٧: ٣٢/٣٦ .

فإذا ذهبنا إلى إنجيل يهوذا فسنجد فى أحد فقراته التى ترجمت: {قال يسوع: وستصبح أنت التلميذ الذى يلعنه الآخرون . وستلعنك الأجيال الأخرى، أنت يا يهوذا من سيضحى برداء الإنسان الذى يغلف جسدى . ستصبح أنت الثالث عشر. وستعود لتسودهم جميعاً} .

وفى جزء آخر يقول إنجيل يهوذا: {من أجل ذلك تحدث هوّ إلى البشر {المسيح} قال: قبل الرب وجودكم كعبيد . لكن أمر الرب فوق كل شئ، كل ما هوّ شرير سيهوى، وستكونون أنتم أعلى من الكل . لكن الحقيقة أن الإنسان الذى سيحملنى هوّ أنت يا يهوذا، وأنت من سيضحى}.

لنجد أن القرآن قد أكد هذا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ {النساء:١٥٧} . وهذا ما يجعل التناسق بين القرآن وإنجيل يهوذا يكاد يكون متشابه إلى حد ما، خاصة إذا علمنا أن إنجيل يهوذا قد أكدت الاختبارات العلمية التى أجراها العلماء عليه إنه نص أصلى، أى أنه تاريخياً نص لا يرقى إليه الشك - إلا أن أول دفاع أطلقه علماء الدين فى الفاتيكان هوّ أن هذا الإنجيل كتبته طائفة منشقة فى أيام المسيحية الأولى - لذلك رفضت منذ القرن الثانى الاعتراف بإنجيل يهوذا، ويتعامل معه على أنه هرطقة شديدة الخطورة . لم يتراجع اليوم عن موقفه . أعلن الفاتيكان أن الخطر كل الخطر، أن يحاول أحد الإقتراب من شخصية يهوذا بشكل يخالف ما ورد فى الأناجيل الأربعة[1] .

ونحاول أن نذهب بالقارئ إلى قصة يهوذا فى الأناجيل .

جاءت خيانة يهوذا فى الأربعة أناجيل وهو موضوع من {١٥} موضوعاً من {١٩١} موضوعاً قد اتفقت عليها الأناجيل الأربعة . وتقريباً جاءت الأناجيل الأربعة متشابهة فى قضية خيانة يهوذا . إلا أن النقطة الأساسية التى تهمنا فى هذا الموضوع هو مصير يهوذا فى الأناجيل فإذا كان يهوذا فعلاً قد انتحر برؤية وشهود لأكدنا بكل حزم زيف إنجيل يهوذا . فماذا قالت الأناجيل عن هذه الجزئية لم تتكلم الأناجيل الأربعة عن مسألة الانتحار هذه سوى إنجيل متى فقط ولم يتكلم عنها مرقس أو لوقا أو يوحنا، ولكن وردت كقصة فى أعمال الرسل . وقصة الانتحار لأحد تلاميذ المسيح وخيانته كانت من الأحداث الهامة التى كان لابد للأناجيل الأربعة أن توثقها أما أن يغض الطرف عنها ثلاثة أناجيل فإن هذا يضع علامة إستفهام كبيرة أمامنا إذا كانت الأناجيل الأربعة ذاتها ذكرت قصة الخيانة! وهو نفس الشئ الذى حدث فى واقعة هروب العائلة المقدسة

(١) صحيفة الفجر: ٢٠٠٦/٤/٣ .

إلى مصر والتي لم تذكر سوى في إنجيل متى فقط ونظراً لأن متى حسب الزعم كتب إنجيله لليهود فقد كان لازماً أن يؤيد الدعوة الجديدة بتأويلات من العهد القديم، فحشر مقولة ومن مصر دعوت ابني الحبيب . فكانت قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر في الوقت الذي كانت مصر تحت الحكم الروماني أيضاً، ومن ثم نسجت كل الأساطير حول هذه الرحله والتي تذهب بنا أن العائلة المقدسة حتى في حالة وجودها في مصر كانت في حالة ترحال دائمة وهروب من الجنود الرومان حسب الزعم وكأن الجنود الرومان قد علموا بأنها العائلة المقدسة وأن هذا الطفل الرضيع هو المسيح وأن هيردوس أمر كل جنود الإمبراطورية بتتبع هذا الصغير! ومع ذلك فسنضع بين يدى القارئ الروايتين الخاصة بانتحار يهوذا . وعلى الرغم من أن الثلاثة أناجيل لم تذكر هروب العائلة إلى مصر ..

يقول متى في إنجيله حول انتحار يهوذا: ومع بداية الإصحاح ٢٧ وتحت عنوان يهوذا يشنق نفسه يقول متى: ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس النبطي الوالي .

حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دِينَ، ندم ورد الثلاثين فضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلمت بريئاً، فقالوا: ماذا علينا؟ أنت أبصر! فطرح الفضة في الهيكل وانصرف . ثم مضى وخنق نفسه!

ولكي يؤوّل متى هذا وكما حدث في هروب العائلة المقدسة إلى مصر استعان متى بنص في العهد القديم يقول: {حينئذ تم ما قيل بإرميا النبى القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المُثمن الذى ثمنوه من بنى إسرائيل} .

فإذا ذهبنا إلى الرواية الأخرى التى روتها أعمال الرسل فنجد القصة التى رويت على لسان بطرس تختلف تماماً عن رواية متى، ففى الإصحاح الأول العدد ١٥ من أعمال الرسل: {وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ، وكان عدّة أسماء معاً نحو مائة وعشرين . فقال: أيها الرجال الإخوة، كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقال نعم داود، عن يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع، إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة . فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم، وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها} .

١} فنجد متى أرجع النبوّة إلى أرميا فى حين أن بطرس أرجعها إلى داود .

٢} نجد أن يهوذا فى رواية متى طرح الثلاثين فضة فى الهيكل فى حين أن بطرس يؤكد أن يهوذا اشترى حقلاً بالثلاثين فضة .

٣} نجد أن يهوذا شنق نفسه، فى حين أن رواية بطرس تؤكد أن يهوذا سقط على وجهه فى الحقل وانشق من الوسط وانسكبت أحشاؤه .

الروايتان مختلفتان تماماً وكل واحدة منهم سواء متى أو بطرس له الرؤية التأويلية الخاصة به . بالرغم وكما سبق القول حادثة كحادثة موت أحد التلاميذ الاثنى عشر ليست بالأمر الهيّن بحيث لا يتكلم عنها سوى إنجيل واحد ثم رواية أخرى فى أعمال الرسل تختلف تماماً عن رواية الإنجيل الذى رواها .

وفى كلتا الحالات حادثة مثل هذه لابد وأن يكون هناك شهود ولكن هذا التضارب البيّن يضعنا أمام نسق شبه متكامل بالنسبة لإنجيل يهوذا الذى أحدث هذه الضجة .

إنجيل يهوذا لم ينته بمسألة القبض على يسوع أو صلبه وموته بل إنتهى بطلب يسوع ليهوذا أن يذهب ليبلغ عنه .

والرؤية هنا أن من تم القبض عليه وصلبه وموته هو يهوذا لقول يهوذا فى إنجيله وعلى لسان المسيح:

أنت يا يهوذا من سيضحى برداء الإنسان الذى يغلف جسدى وهو تبنيه حكمة ﴿ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٧] فى القرآن الكريم، لأن يهوذا حمل جسد المسيح كغلاف جسدى حسب مقولة المسيح نفسه . إلا إننا سنترك إنجيل يهوذا والجدل القائم عليه ولأنه أحد الأناجيل المنحوله وسيكون التكتم عليه شديداً وكما كان على غيره من الأناجيل الغير قانونية . وعلينا أن نعود لما قاله الدكتور آلان بول فى تفسيره لإنجيل مرقس وهو فى غاية الخطورة، ونريد هنا أن نقسّمه إلى عناصر:

١} أن هناك كتابات سبقت الأناجيل الأربعة كانت متداولة بين المسيحيين آنذاك وكانت منها الأناجيل الأربعة، ولم يكن يطلق عليها لقب أناجيل .

٢} أنه فى الإمكان من الناحية الأثرية إختبار صحة هذه النظرية بواسطة الحقيقة المعروفة وهى أن أقوال المسيح {والمسلّم بأنها هى اللوّجيا} وهى أقوال يسوع المنطوقة، كانت موجودة فى المخطوطات البردية، وبصورة مؤكدة فى مصر، وكما سبق القول .

٣} أن وجود هذه المخطوطات كانت بالفعل سابقة على عصر بابياس ولسوف يظل أمر قربها أو بعدها من أيام خدمة المسيح الأرضية موضوع نقاش .

٤} أن الظاهره المثيرة أن مثل هذه القصاصات والتى قدّر لها البقاء، إما أن تكون أقوالاً هرطوقية أو أقوالاً لم تتضمنها لائحة الأسفار القانونية .

٥} إننا نعرف من إفتتاحية إنجيل لوقا أن الأناجيل الأربعة الحالية هى من بين العديد من الأناجيل القديمة السابقة عليها والتى خلفتها وراء ظهرها، ومع ذلك فليس لدينا الدليل الكافى الذى جعلنا نقرر أن مثل هذه الأناجيل الأقدم والتى استمرت موجودة فيما يعرف بالأناجيل المنحولة {الأبوكريفية} كانت من ذلك النوع الهرطوقى .

٦} ربما يكون لوقا على سبيل المثال يشير فى إفتتاحية إشارة إلى إنجيل مرقس بطريقة غير مباشرة . من المحتمل أن يكون الكثير من هذه الأناجيل الأبوكريفية كانت تضم بين ثناياها روايات مماثلة للأحداث المتضمنة فى الأناجيل القانونية .

٧} إن مؤلفاً مثل كتاب {شذرات من إنجيل مجهول} للكاتبين {سكيت . بول} يُعد بمثابة تذكرة حكيمة لنا بأننا لا نعلم سوى القليل عن هذه الفترة التى تشكلت فيها الأناجيل على الصورة التى هى عليها الآن . وعلى هذا فليس من الحكمة فى شئ أن نجزم من غير مبرر كاف بتحديد ما لابد أنه حدث أو لابد أنه لم يحدث .

سبعة عناصر من أخطر العناصر التى تتناول ليس إنجيل مرقس فحسب ولكنها تتناول وثائقية الأناجيل ككل، لذلك فنحن نتناول كل عنصر على حدة بالنقد والتحليل

أولاً: مقولة الدكتور آلان بول بأن هناك كتابات سبقت الأناجيل الأربعة كانت متداولة بين المسيحيين هى حقيقة لا لبس فيها، ولعل الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس والتى أورد بعضها الدكتور/ إبراهيم سالم يوضح هذه الحقيقة فيقول: إن

المسيحيين الأوائل، قد تدرجوا من حيث لا يشعروا بالأمر، حتى ما يقرب من عام ١٥٠م، فى الشروع فى إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة وأغلب الظن أنهم جمعوا فى بدء أمرهم رسائل بولس مكتوبة ـ أما التقليد الإنجيلى فكان لا يزال فى معظمه متناقلاً على ألسنة الحفاظ .

إن كثيراً من المؤلفين المسيحيين قد أشاروا منذ أول القرن الثانى إلى أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس ونستنتج من ذلك إنتشارها سريعاً ولما كان للرسول من شهرة، ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، لكن لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين المبكرين من شواهد مأخوذة من الأناجيل، أو تلمح إليها، لكن هل هذه الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة أم تقليد شفهى فذلك لا يمكن الجزم به، وليس هناك قبل عام ١٤٠م شهادة تثبت أن الناس قد عرفوا نصوصاً إنجيلية مكتوبة، فلم يظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى شهادات إزدادت وضوحاً على مر الزمان بأن هناك مجموعة من الأناجيل وجرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجى . وهنا يلتقى فكر د/ آلان مع فكر هذه الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس بأن غالبية الأناجيل سواء كانت الأناجيل الأربعة التى تحت أيدينا الآن أو الأناجيل المنحولة كانت تتداول شفوياً حتى ١٥٠م ومعنى هذا فى وضوح تام لا نكران فيه أن متى أو مرقس أو يوحنا لم يكتب هذه الأناجيل التى بين أيدينا حتى ولو كانت محفوظة فى الصدور ويتم تلاوتها شفهياً . فإن كاتبوها قد كتبوها من الحفّاظ وأن نسبة إنجيل متى أو مرقس أو يوحنا إنما نسبت إليها دون دليل يثبت هذا . لذلك تؤكد الترجمة الفرنسية ما نقوله حيث تقول: ابتداء من عام ١٥٠م كان العهد الحاسم لتكوين قانون العهد الجديد، وكان الشهيد {يوسنيس} أول من ذكر أن المسيحيين يقرءون الأناجيل فى اجتماعات الأحد، وأنهم يعدّونها مؤلفات الرسل وإنهم وهم يستعملونها يولّونها منزلة الكتاب المقدس . وإذا أوليت هذه المؤلفات تلك المنزلة الرفيعة، فيبدو أن الأمر لا يعود إلى أصلها الرسولى، بل لأنها تروى خبر {الرب} وفقاً للتقليد المتناقل، ولكن سرعان ما شُدد على نسبة هذه المؤلفات إلى الرسل وخصوصاً لما أمست حاجة الكنيسة إلى قاعدة شاملة، فاتجهت الأنظار إلى الأناجيل الأربعة لأنها نالت اهتمام الناس وحجبت بسرعة مجمل المؤلفات المماثلة[١]!!

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ جون لويمر

وهذا الكلام فى مجمله يتناقض مع الواقع التاريخى والدلائل الأثرية فأن الفترة ما بين رفع المسيح وحتى بداية حركة آريوس بالإسكندرية كانت فترة غامضة لم يستطع أحد أن يوثق بشكل واضح اتجاهات الشعب المسيحى فى الإمبراطورية الرومانية فى اهتمامه بشكل خاص بالأناجيل الأربعة، وهو القول بأن الناس لا تهتم بانتساب هذه المؤلفات لأصلها الرسولى من كتبها أو قام بتأليفها ولكن كانت نصوص يسوع سواء أوردها {س أو ص} هى ما يهمهم بالدرجة الأولى وهو مصطلح {اللوجيا} الذى أورده الدكتور/ آلان بول، وهى أقوال المسيح المنطوقة، لذلك فإن الترجمة الفرنسية المسكونية عندما تقول أن المؤلفات عدا الأناجيل الأربعة حجبت بسرعة، فإن ذلك يعد تزييفاً تاريخياً لا أساس من الصحة لعدم توثيقه، وإن المسألة لا تعدو غير ظنية فى محاولة ظنية لغسيل العقول .

ثانياً: إن أقوال المسيح المنطوقة والتى تسمى اللوجيا والتى كانت موجودة على البرديات وغالبها عثر عليها فى مصر فتلك حقيقة آثرية لا جدال فيها . ونرى الدكتور/ إبراهيم سالم يقول فى كتابه {أبوكريفا العهد الجديد} : إن الأسفار التى اعترف بأنها قانونية، أصبحت نصوصاً مقدسة وحصلت منذ دخولها فى القانون بنوع من الحصانة ساعد فى الوصول إلى عهد الطباعة وهى فى حالة حسنة!!

أما المؤلفات التى لم يكتب لها الدخول فى القانون، فقد حظى بعضها بتقدير جميع الكنائس زمُحّى البعض الآخر خاصة بالمرسوم البابوى {الجيلاسيانى} عام ٤٩٦م ـ أى صدر بعد مجمع نيقية ٣٢٥م ـ فأصبحت عرضة للضياع وسميت بالابوكريفا . وقد أمر أن تبقى تلك الكتب مخفية فى أثناء إقامة شعائر العبادة، وإن أوصى فى بعض الأحوال بأن يطالعها الناس لحسن تأثيرها فى النفس .

لذلك فإن الأباء الأولين للكنيسة ترجع عليهم مسئولية المعايير القدسية حين يضعونها على كتاب دون آخر ليصبح كتاباً مقدساً .

وقد عثر على إنجيل بطرس فى أواخر القرن التاسع عشر، يحتوى على آراء غنوسية كما عثر على إنجيل الحق وإنجيل فليبس وإنجيل توما القبطى وإنجيل النصارى والعبرانيين والمصريين، وسفر رؤيا بطرس الذى اكتشف فى اخميم، وإنجيل أخنوخ . حتى آخر الاكتشافات فى إنجيل يهوذا .

ثالثاً: يؤكد آلان بول فى تفسيره لإنجيل مرقس وجود هذه المخطوطات قبل بابياس ١٥٠م وليس هناك تأكيد على هذا من حيث القرب أو البعد من حياة المسيح . أى أن السند مفقود والتواتر مفقود وكلاهما يهز المتن بشدة .

رابعاً: وهى نقطة هامة تطرق إليها الدكتور/ آلان بول وهى احتمال أن هذه الأسفار لا يجزم بها أنها تكون هرطوقية أو لم تتضمنها لائحة الأسفار القانونية . فهذا يضيف غموضاً أكثر على المعايير التى أُقرت من الذين وضعوا هذه المعايير على وجه التحديد .

خامساً: يقول د/ آلان بول أن لوقا أشار إلى وجود أناجيل سابقة على الأناجيل لأربعة . وأنه ليس هناك دليل على أنها كانت أناجيل هرطوقية . وهذا فى حد ذاته يعطى دلالة قوية سواء من إنجيل لوقا أو الأناجيل الأربعة أو أى أناجيل أخرى فى مجهولية زمن كتابة هذه الأناجيل، وعلى الرغم من إنجيل لوقا كان عبارة عن رسائل متتالية كتبها لأحد أصدقائه {ثاوفليس} إلا أنه لم يعلن فى إفتتاحية إنجيله عن أى من الأناجيل الثلاثة الأخرى، إذا كانت حقاً هى الأهم فى التداول بين الناس فهو لم يشر إلى كتابات معينة بل أشار إلى كثرة عدد المؤلفين للأناجيل فى تلك الأيام .

سادساً: لذلك فإن الإشارة التى أوردها د/ آلان بول أن لوقا ربما يشير إلى إنجيل مرقس ليست فى محلها . فإن لوقا يشير إلى العديد من المؤلفات وليس مرقس تحديداً وهذا ما سوف نتناوله إن شاء الله فى إنجيل لوقا لاحقاً .

سابعاً: وتُعد هذه النقطة هى المحور الأساسى للتحليل الذى أورده د/ آلان بول . وليستشهد بكتاب {شذرات من إنجيل مجهول} والذى يخرج منه بنتائج تنسف كل ما عند علماء النصارى من يقين عقائدى يتشبثون به، وهو قول د/ بول . أن مجهولية **الفترة التى تشكلت فيها الأناجيل على الصورة التى هى عليها الآن لا تعطى الحق لأى أحد بأن يجزم بأن أى حدث روى كان صحيحاً أو غير صحيح .**

المحصلة

من كل ما مضى نجد أن من استشهد بهم الدكتور منيس يصنفون كمؤرخين جاءوا لعملية تأريخ فقط ولم يتدخلوا فى وضعية قانونية الأناجيل الأربعة كوضع دينى وحتى

إذا كان البعض منهم تدخل كإشارة تاريخية لإنجيل أو لأخر، لأن قوانين الإيمان وقانونية الأناجيل الأربعة لم تكن قد تحددت بعد، وحيث تم تحديد اللبنة الأولى لقوانين الإيمان أو الأناجيل الأربعة، فى مجمع نيقية ٣٢٥م، فى الوقت الذى توفى أوريجانوس ٢٥٤م، واقليمنيدس ٢١٥م، وإيرناوس ٢٠٠م، ترتليان ٢٤٠م .

وعاصر يوسابيوس قسطنطين وكانت بصمة كبيرة فى مجمع نيقية، أما جيروم فقد ولد بعد مجمع نيقية ٣٤٢م، وبعد إقرار قوانين الإيمان، واختيار الأربعة أناجيل . بل إن المفاجأة الحقة هى أن بعض هؤلاء الشهود ذكرت أسماؤهم فى ذكرهم لكثير من الأناجيل المنحولة مثال ذلك:

إنجيل الطفولة لتوما

وهو يصنف مثل إنجيل البداية ليعقوب فقد ذكره القديس أوريجانوس واستشهد به إيرانياوس . وهذا الأنجيل له أقدمية عظيمة[1] .

إنجيل شبيه متى

وقد وضع الخطابات التى كانت مقدمة هذا الإنجيل بواسطة القديس جيروم[2] . والذى قال: إن إنجيل المخفية كانت مناسبة للمزاج العام الذى نشأت منه الكنيسة[3] .

أعمال بطرس المخفية

إن شهادة القدماء لوجود مقتطفات من الأعمال لبطرس تشتمل على إكليمندس الإسكندرى واوريجانوس، أما فى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى فيشير لكونها هرطوقية !

أعمال بولس وسيلا

وقد كتب عنها ترتليان فى نهاية القرن الثانى والذى توفى ٢٤٠م ـ وهذا يبين لنا التضارب بين كتب النصارى ومدى ما لحق من التأريخ من ضرر ـ أقول إن ترتليان كتب

---

(١) ابو كريفا العهد القديم أ د/ ابرهيم سالم .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق

عن أعمال بولس وسيلا وقال عن تداولها أنها كانت منفصلة بذاتها عن أعمال بولس ككل[١] .

سفر رؤيا بطرس

يقول د/ إبراهيم سالم: إن إقتباسات من سفر رؤيا بطرس القديمة يمكن التعرف عليها في كتابات أكليمندس ومكاريوس الكبير وقد أعطوا اسم مصدر الإقتباس[٢] .

سفر رؤيا برثولماوس

إن القدماء قد عرفوا كتاباً باسم إنجيل برثولماوس من خلال كتابات جيروم في تعليقه على إنجيل متى[٣] .

كتاب الراعى لهرماس

كان واحداً من الكتب الأكثر شعبية في الكنيسة المسيحية الأولى وفى القرون الأربعة الأولى، وإحتل مكانة مقدسة في قلوب المسيحيين حتى أنه كان ضمن قانون العهد الجديد .

وقد أعلن ذلك بوضوح أوريجانوس ويوسابيوس القيصرى وجيروم، وأدرج إيرايناوس هذا الكتاب كنص مقدس، وإكليمندس الأسكندرى أفاد إنه إلهى، واوريجانوس قال إن به وحياً إلهياً . أما يوسابيوس فقد أعطى مختلف الأراء المنشرة في تلك الأيام البعض منها يضاد أصله الإلهى، والآخرون يؤيدون أصله الإلهى لأنه يكون مقدمة مدهشة للإيمان المسيحى . ولهذا السبب كان يقرأ شعبياً وعلنياً . أما الصوت الوحيد الذى ظهر قديماً ضد هذا الكتاب فكان صوت ترتليان فقد وصفه بالكتاب الخفى ونبذه[٤] .

هذه نبذة مختصرة عن الشهود الذين استشهد بهم الدكتور منيس في إنجيل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

القانونية وهم أيضاً كانوا شهوداً على الأناجيل غير القانونية ووضعوا أراء مثلما وضعوها فى الأناجيل القانونية . والدليل على هذا أن أحداً لم يعرف بدليل قاطع ما هى المعايير الحقيقية التى وضعت لتحديد قانونية الأناجيل من عدم قانونيتها .

أما عن قصة العلاقة بين قصاصة بابياس والذى كان معاصراً للشهيد ليوستينوس ١٥٠م والتى يقول فيها الدكتور بول أن بابياس قد تسلم هذه القصاصة من مرقس حيث يقول: إن مرقس وقد رأى أنه مفسر بطرس دوّن بعناية فائقة كل الذى تذكره بطرس دون مراعاة لترتيب زمنى لأن بطرس كان يقول مقولات المسيح حسب ما تقضى به الاحتياجات، لذلك يؤكد بول أن الإهتمام الوحيد لمرقس كان ألا يغفل أى شئ قد سمعه من بطرس .

تعقيب

إن الحيرة التى تضع إنجيل مرقس فى حالة لغز يضعنا أمام تساؤل: إذا كان إنجيل مرقس والذى يؤكد علماء النصارى وآباء الكنيسة الأوائل أن مرقس قد أخذ إنجيله عن بطرس، فلماذا لم تعترف أصلاً الكنيسة بإنجيل بطرس والذى اكتشف فى أخميم بمصر ١٨٨٧م ويؤرخ الدارسون تركيب هذا الإنجيل للقرن الثانى الميلادى .

ثم يقول د/ إبراهيم سالم: إن شخصية بطرس قد نشأ عنها كثير من المطبوعات المخفية . إلا أن شهادة القدماء تشير لكونها هرطوقية!! حتى صدر مرسوم البابا جيلاسياس قد قضى على كتاب يدعى أعمال بطرس . إلا أن الرأى فيما يسمى {سفر رؤيا بطرس} والذى يدعى الكتاب الكامل أو كتاب الكمال وحيث يحتوى على ٨٩ فصلاً يكونون تاريخ العالم كما كشف بطرس، منذ التكوين حتى ظهور ضد المسيح .

فإن هذا الكتاب كان معروفاً منذ القدم . وكان شعبياً وواسع الاستعمال فى القرون المسيحية الأولى وكان يوضع على جوانب الأسفار القانونية ومن ضمنها ثم أخرج منها ـ بدون ذكر الأسباب . ومع ذلك أخذ إنجيل مرقس الذى كتبه بإيعاز من بطرس . ولماذا؟ لا أحد يفهم!! إلا أن كتاب {الكتّاب المسيحيون الأقدمون} للكاتب {هـ. م. جواتكين} . يقول: ويعطينا بابياس {قصاصة ٢: ١٥} التقليد الذى تسلّمه عن مرقس على النحو التالى: {لقد كان من عادة الشيخ {أى يوحنا} أن يقول: إن مرقس مفسّر

بطرس ـ إلا أن التحقق من شخصية هذا الشيخ الذى أخذ عنه بابياس تعد من المسائل المثيرة، هل هو يوحنا بن زبدى، أو هو شخصية وهمية .

ولذلك يعلق الدكتور بول على ذلك فى قوله: إننا قد نجد حلاً للغز إنجيل مرقس . وبالتأكيد كان هذا هو الحل بالنسبة لبابياس وهو فضلاً عن ذلك الحل الذى تسلمه على أيدى التقليد: من حيث أنه طلب للشهرة فى نظر نفسه، وفى عيون سلالته من بعده، كان إدعاؤه بأنه واحد من الذين استودع لديهم تقليد يوحنا {يوسابيوس ٣: ٣٩} وعلى حد قول بعض العلماء بأسلوب أكاديمي بأسلوب مهذب، فإن هناك على الدوام إمكانية أن يكون بابياس ثرثاراً عجوزاً كاذباً، يستغل علاقته بيوحنا: ولكنه كانت له على الأقل علاقات بسيطه معه، وإلا فإن هذه القصص بعينها جوفاء ولا معنى لها، وعلاوة على ذلك، فإنه فى استطاعتنا بالفعل بعد الغربلة والتقييم رفض مثل هذه التقاليد . ولكننا إن فعلنا هذا الأمر، **فإننا سنتخبط فى الظلام أكثر مما لو أننا أخذنا بها، ذلك أنه ليس لدينا غيرها .**

ثم يأخذنا الدكتور بول فى رحلة أخرى حول تحليله لمصداقية إنجيل مرقس ولكن من زاوية أخرى وقبل أن يخوض فى تفسيره للإصحاحات الخاصة بالإنجيل والذى سبق القول أننا لا نتدخل فى العملية التفسيرية إلا إذا دعت الضرورة لذلك وأن كتابنا هذا جاء لإثبات عدم مصداقية هذه الأناجيل وعدم وثائقيتها من الأصل .

يقول الدكتور بول: من الممكن فى هذه المرحلة أن ندرك قيمة استخدامنا لإنجيل مرقس باعتباره رمزاً جبرياً مناسباً للإنجيل فى شكله الحالى، **بدون أن تكون هناك أية تلميحات عن هوية المؤلف أو المؤلفين .**

ومن الواضح، من خلال التقليد الذى اقتبسه بابياس عن النص المستشهد به على لسان يوحنا: {أننا مانزال على مقربة من زمن المسيحية اليهودية} . إن هذه المشاكل بعينها حيّرت الكنيسة الباكرة، وهى مسألة تُقنعنا بأن مثل هذه المشاكل لم تكن من نتاج نقد متقلب حديث بل يظهر لأى قارئ فطن للأناجيل أياً كان القرن الذى يعيش فيه . كانت مشاكل مرئية . ولكن هل يرضينا الحل الذى توصلت إليه الكنيسة الأولى؟

يتضح من صياغة النبذة السابقة، بدون اعتبار لتفصيلات الترجمة، أن مصداقية إنجيل مرقس كان مطعوناً فيه .

والآن كيف عالج بابياس ـ أو يوحنا هذه الأمور؟ من الواضح أن بابياس كان يقدر تقديراً كبيراً حجية إنجيل مرقس، ويرد على مزاعم الناقدين ببساطة شديدة بقوله: إن إنجيل مرقس ليس هو المصدر الأول للمعرفة عن المسيح، وإنما هو المصدر الثانى، وأن المصدر الأول هو تعليم بطرس . وأن المحذوفات راجعة إلى أن إنجيل مرقس هو فى حقيقة أمره محصور فى ذكريات بطرس العجوز . ومثل هذه الذكريات كانت أبعد مدى غير منطقية .

تعقيب



من الذى حدد أن هناك محذوفات . أن أى كتاب يكتب لا نستطيع أبداً أن نجزم أن يكون فيه محذوفات . إلا إذا تم حذفها وبخبر يقينى عن هذا الحذف، وعليه لا يمكن إثبات أن هناك محذوفات وإلقاء أخطاء مرقس على شماعة بطرس حتى نتهم بطرس بتقدم سنه وإصابته بالخرف والنسيان أو أن ذكريات غير منطقية .

إن أحد شروط البخارى فى الرجال الذى يروى عنهم الأحاديث، هو عدم النسيان، فإذا كان الرجل كثير النسيان أو يعرف عنه هذا، أو أنه يكذب أو يدلّس فلا يؤخذ بحديثه، والمعلوم أن كتب الأحاديث عندنا لا تعتبر مقدسة كما القرآن . وليس بوضع عباءة القدسية على كل من تكلم أو حلم حُلماً .

لذلك يستطرد الدكتور/ بول قوله: إن ذلك الأسلوب هو البرهان على الدقة التى تميز بها إنجيل مرقس، وليس على إهمال كاتبه، ذلك أنه كان معنياً بإخراج المادة التى استقاها من بطرس بالصورة الواقعية التى هى عليها، بدون زيادة أو نقصان، وفى نفس الوقت يمكن دفع التهمة بالتحريف بالقول أن مرقس شاهد أمين لبطرس ـ وإذا كانت هناك أية مشكلة، فإنها يجب أن تُلقى على كاهل الجيل الأول، أى على شهادة بطرس؟!!

نأتى للنقطة الهامة التى أوردها الدكتور/ بول فىّ كتابه فى قوله: لم يكن فى مقدور مرقس أن ينشئ نظاماً تأريخياً تتابعياً بصورة منطقية لأحداث حياة يسوع. فضلاً

عن أنه لم تكن له معرفة شخصية بها . ومن الناحية الأخرى، فإن بطرس لم ينشئ نظاماً زمنياً تتابعياً للأحداث لأنه ببساطة لم يكن يقصد أن يعمل هذا الأمر .

وفوق كل هذا فإن بطرس لم يكن ينشئ إنجيلاً، بل كان هو المنشئ للأنماط التعليمية المختلفة، لإستخدامها فى عمله الكرازى أو التعليمى فى روما أو فى غيرها من الأماكن .

تعقيب

أنه من الواضح مما سلف أن إنجيل مرقس ليس إنجيلاً بالمعنى المفهوم بل هو كلمات كرازية أخذها مرقس من بطرس . وهذا ما يؤكده الدكتور/ بول فى قوله: إن الإنجيل الثانى لم يكن هو الصياغة الأولى لأقوال وأعمال يسوع، كما يحتمل ألا يكون حقاً أول إنجيل كامل، على الرغم من كونه من الناحية الشكلية غير معتمد على أى إنجيل آخر كامل مكتوب، سواء كان إنجيل متى، أو إنجيل متى البدائى، أو أى إنجيل آخر أياً كان . إنه فى أساسه إنجيل وحيد المصدر، وهذا المصدر هو الكرازة الرسولية لبطرس ـ وهو مصدر شفهى غير مكتوب ! !

ماذا قالوا عن إنجيل مرقس؟

أولاً: من هو مرقس؟

يقال إن اسم مرقس ليس اسماً بل هو لقب أما الإسم الحقيقى لهذا التلميذ فهو يوحنا، وكما تقول أعمال الرسل الأصحاح ١٢/٢٥: ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة وأخذ معهما يوحنا الملقب بمرقس . وليعلم القارئ أنه لم يذكر فى العهد الجديد بكامله إلا مرة واحدة وفى أعمال الرسل كما سبق القول .

لذلك فإن شخصية مرقس شخصية غامضة وتاريخ كتابته لإنجيله بعد استعراض أراء علماء النصارى ورأى كل من {دينيس تينهام} أستاذ اللاهوت بجامعة لندن، ورأى ابن البطريق، وهورن، وصاحب كتاب مرشد الطالبين والقس عزيز فهيم، وهارنيك، فمن العرض الموثق من آراء هؤلاء العلماء وغيرهم نجد أن إنجيل مرقس كتب ما بين ٣٩م إلى ٧٥م وهى فترة طويلة يتوه فى وسطها تحديد تاريخ الكتابة، كذلك لم يعرفوا تحديداً من

هو كاتب إنجيل مرقس أو مكان كتابته هل هو فى روما أو فى مصر أو فى أنطاكية وهو ما يذهب إليه الدكتور {بوست}، كليمنت السكندرى وأوريجين، وكريسوستم {يوحنا فم الذهب} وايريناوس وغيرهم . لذلك فقد تضاربت الآراء حول من كتب هذا الإنجيل فيقول ابن البطريق: إن كاتب هذا الإنجيل هو مرقس عن بطرس!! .

ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين: إن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس عام ٦١م، لنفع الأمم الذين كانوا ينصّرهم بخدمته . إلا أن {إيرينيوس} يقول: إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس فى الاضطهاد الذى حدث فى روما على يد نيرون، ولأن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلّم إلينا كتابه وهو ما صرح به بطرس[1] .

ويلاحظ فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار القول: أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس[2] [3].

أما التقليد الكنسى فإن مرقس يذهب إلى مصر مرتين، الأولى حوالى ٣٧م حيث أرسله بطرس فدخل الإسكندرية سنة ٤٠م ومكث بها حتى سنة ٤٤م ثم ذهب مع بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله وفى سنة ٤٩م عاد إلى مصر وبقى بها حيث يقال أن الوثنيين إئتمروا به فسجن وعُذّب ومات سنة ٥٢م .

إلا أن بطرس قرماج صاحب كتاب {مروج الأخبار فى تراجم الأبرار} يقول: إن مرقس كان يهودياً لاوياً وهو تلميذ بطرس، ولد بإقليم الخمس، وصنف إنجيله بطلب من أهالى رومية، وكان ينكر ألوهية المسيح، ولم يذكر فى إنجيله مدح المسيح لبطرس . ومات مقتولاً فى سجن الاسكندرية سنة ٦٨م .

وفى دائرة المعارف الإنسانية يقول {الريس} أحد علماء النصارى: إن الكتب التى كتبها تلاميذ المسيح مثل إنجيل مرقس ولوقا وكتاب الأعمال ليست بإلهامية[4] .

لذلك فإن السؤال الذى طرحه العديد من المتتبعين لإنجيل مرقس هو قول القس

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها .
(٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ـ د/ يحيى محمد على .
(٣) مروج الأخبار فى تراجم الأبرار ـ بطرس ترماج .
(٤) الفرق بين المخلق والخالق .

عزيز فيهم: أن مرقس قد كتب بكل دقة كل ما تذكره من أقوال وأعمال الرب . فهذا يؤكد أن عملية التذكر جاءت بعد بطرس، وهو ما يؤكده {ارينيوس} فى قوله: أنه بعد موت بطرس وبولس فى اضطهاد {نيرون} كتب مرقس إنجيله وهو يؤكد هذه الفترة الزمنية مع قول عزيز فهيم {أنه كتب كل ما تذكره} .

ويقول القس عزيز فهيم بأن كل الدارسين أخذوا بهذه الشهادة وليس هناك أى عالم من علماء العصر الحديث يعترض على نسبة هذا الكتاب لمرقس، فمن كتب هذا الإنجيل؟ أهو مرقس وحده وبعد موت بطرس، أم أنه كتبه بإيعاز من بطرس ولأهل رومية؟

لذلك فمن الجدير بالذكر أن نذكر الملاحظة الهامة التى أوردها المرحوم الدكتور/ رأفت عبد الحميد فى كتابه القيم {الفكر المصرى فى العصر المسيحى} : فيقول الدكتور رأفت عبد الحميد: {من الجدير بالذكر أن القديس مرقس جاء إلى الإسكندرية قادماً من ليبيا يحمل معه إنجيله الذى كتبه بناء على رغبة الإخوة الرومان على حد قول يوسيبيوس القيسارى وجيروم، وبهذا الإنجيل بشّر، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ دخول مرقس إلى الإسكندرية .

ولما كان القديس مرقس فى صحبة بطرس باعتباره ابناً له بالتبنى[1]، وأنه أمضى معه فترة هناك فى روما حتى تمت كتابة إنجيله بناء على رغبة الإخوة الرومان، واستحسنه بطرس، فإنه من المستحيل أن يكون مرقس قد قدم إلى الإسكندرية قبل أخريات خمسينات القرن الأول الميلادى أو حتى العام الأول من ستيناته، ولما كان كل من يوسيبيوس القيسارى وجيروم يتفقان على أن القديس مرقس قد نال الشهادة فى السنة الثامنة من حكم الإمبراطور نيرون، أى عام ٦٢ للميلاد، فإن فترة مكث مرقس فى الإسكندرية تتأرجح بين عامين وخمسة أعوام على أقصى تقدير، وهذه الفترة بالطبع غير كافية على الإطلاق لا لتأسيس مدرسة بل حتى لإقامة مجتمع مسيحى له كيانه وسط مدينة تعج باليهود الذين يحملون العداء كله لهذه الدعوة الجديدة، ومن ثم يصبح القول بذلك بعيداً عن الواقع تماماً .

---

(١) رسالة بطرس الأولى ١٣/٥ .

ونعود إلى الدكتور/ آلان بول فى مقدمة كتابه عن تفسير إنجيل مرقس وهو ينهى المقدمة باعتراف أكن له كل احترام وتقدير للواقع العلمى الذى انتهجه .

يقول الدكتور/ آلان: من المثير أن نتأمل فيما إذا كان النظام التقليدى لكتابة الأناجيل، ليس فيه ما نستدل منه على أنه مأخوذ عن النظام المألوف فى المخطوطات الكتابية: وقد تكون هذه بمثابة خطوة تمهيدية على طريق سعينا للوصول إلى تفسير لهذه الظاهرة وشرحها . أو للوصول إلى إجابة شافية على سؤالنا . ولكن يقف خلف هذه الإجابة السهلة سؤال يزعجنا إزعاجاً كبيراً ـ لماذا كان تجميعها على هذه الصورة؟ أليس من المحتمل ـ بنفس الطريقة على الأقل ـ أن يكون ترتيبها على هذا النظام، لأنه يتوافق مع الوجهة التقليدية التى كانت سائدة فى أيام كتابتها، سواء أكانت مثل هذه الأراء صائبة أم خاطئة؟ ـ على أية حال فإن هذا الأمر بذاته يمكنه أن يوضّح لنا فقط أراء الكنيسة فى تاريخ متأخر نسبياً، حينما بدئ فى إنتاج الأناجيل معاً بالصورة التى هى عليها الآن .

ولكن يبقى السؤال القديم عن موثوقية إنجيل مرقس، والتى هى مظهر واحد من السؤال الكلى عن حجية الأسفار المقدسة على النحو التى هى عليه الآن ـ لقد رأينا الكنيسة الباكرة قد اضطربت نوعاً بما ظهر على أنه تناقضات بين رواية مرقس والأناجيل المتوافقة الأخرى، فى كل من التتابع الزمنى والحقائق ـ وفى ضوء ما نستدل به من ميدان الخدمة المرسلية السيبولوجية الحديثة، فإن موضوع التتابع الزمنى للأحداث لم يكن بالمشكلة الكبيرة بالنسبة للكنيسة الباكرة، على نحو ما كان عليه الأمر بالنسبة للموضوع الثانى المتصل بالحقائق الواردة فى الأناجيل المتوافقة . ولكن كما رأينا فلقد حافظت الكنيسة على سمعة إنجيل مرقس، وحلت المشكلة بما يرضيها على الأقل، بنقل التبعة فيما يتصل بهذه الموضوعات من مرقس إلى بطرس، وباعتباره مصدرها وهو الذى أملاها على مرقس ـ فأين آراء العلماء الذين أكدوا أن مرقس قد كتب إنجيله بعد وفاة بطرس؟ ـ الذى بدوره قام بتدوينها على النحو الذى سمعه من معلمه بطرس . ومن المفروض أن الكنيسة أحسّت بقدرتها على قبول هذه التناقضات الظاهرية وأنها من المسئولية الرسولية المباشرة . وإن كانت من الناحية الثانية من مسئولية مرقس . ولكن هل فى إستطاعتنا نحن من خلال عقليتنا أن نفعل نفس الشئ؟ أو أن الكنيسة الباكرة

إنما قد وجدت فحسب حلاً زائفاً، بإلقائها التبعة فى ذلك على مستوى أعمق، يتعذر معنا متابعتها على نفس الدرب الذى انتجته؟ ولقد رأينا فى ذلك، شأننا شأن المسيحيين الأوائل، علينا أن نقبل على أية حال الشهادة الرسولية للمسيح إذا أردنا أن نعرف {مسيح الخلاص} إذ ليس أمامنا سواه ـ إننا لا نعرف مسيحاً سوى المسيح الذى فى الأناجيل . ولكن هل فى استطاعتنا أن نمد شيئاً من المصداقية على التفاصيل، وكيف لنا أن نقدم هذه المصداقية لروايتين يبدو اختلافهما فى التفاصيل؟ هل يجب علينا أن ننزل إلى مستوى التوفيق التافه الذى يحاول أن يشرح مستخدماً على الأغلب الوسائل التافهة في مثل هذه الأمور غير المتوافقة؟

وهكذا وضعنا الدكتور/ آلان بول وسط أسئلة حقيقية هو ومما لا شك فيه يدرك ـمها ويعلمها أيضاً الدكتور/ منيس ليس هناك حقيقة ثابتة حول مصداقية الأناجيل، ع ذلك يؤكد مسئولية الكنيسة الباكرة فى التغاضى الصارخ عن كل الاختلافات ـسّ التى حدثت بين الأناجيل فى هذا العهد أو فى تلك الفترة الزمنية ـ لأنه لم يكن ـ ك من يستطيع مراجعة الكنيسة الباكرة فيما تذهب إليه من تقريرها أن هذه الأناجيل ـريعة قانونية، ومن مراجعتها فى كل ما أضيف من طقوس عبادية أو إلقاء الألوهية ى المسيح . ودخول المدارس الفلسفية فى مطبخ الكنيسة والخروج إلى الشعب المسيحى ـن وشعائر تعبدية لم يأت بها المسيح، ولم نعرف من الأثنى عشر من أقرّ بها وأعلن ـها . ولم يكن هناك توثيق حقيقى بين رفع المسيح وبدايات القرن الثانى الميلادى ـها كما يقول غالبية علماء النصارى، أنها كانت فترة غامضة، لا يعلم عنها أحد ـى القليل من القليل .

شبهات
إنجيل لوقا



شبهات إنجيل لوقا

قبل أن آخذ القارئ معى فى الرحلة حول إنجيل لوقا وكما تعودنا فى الإنجيلين السابقين فإننى أزعم أن هذا الإنجيل ينفرد عن الأناجيل الثلاثة الأخرى بالأسلوب الراقى فى الكتابة، ولن تصادفنا هذه الركاكة اللغويه، التى عادة ما تصادفنا فى العهد القديم أو الجديد على حد سواء . وأعتقد أن هذا يرجع إلى أن كاتبه طبيب كما يقال فى كثير من الروايات عن كاتب هذا الإنجيل .

ولنبدأ أولا بالتعريف بهذا الإنجيل وكاتبه .

هو الإنجيل الثالث فى ترتيب الأناجيل المتعارف عليها والمعتمدة قانونياً إلا أن ذكر هذا الإنجيل لم يرد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، بل لم يرد ذكر لوقا نفسه فى أى من الأناجيل وإنما ذكر فى أحد رسائل بولس وكما ذكرت أسماء كثيرة فى هذه الرسائل

ويقال أنه رافق بولس فى أسفاره وتجواله، وكما رافق مرقص بطرس . وقد اختلفت الآراء فى شخصية لوقا فالبعض قال: إنه طبيب، والبعض قال: إنه مصور {رسّام} .

وقال البعض أنه ولد بأنطاكية ودرس الطب، وذهب البعض أنه كان رومانياً ونشأ بإيطاليا .

قدسية النص

النص المقدس عبارة أو مصطلح دينى يفيد أن النص مُنّزل من عند المولى ﷺ وبوحى منه، وجبريل هو أمين وحى السماء المكلف من قِبل الله ﷻ إلى البشر

والبشر الوحيد الذى إستثنى من هذه القاعدة هو بنى الله موسى وحيث كلم الله موسى تكليماً دون الرؤية . لذا فإن النص المقدس هو نص وكما نؤمن أنه نص موحى به من الله إلى من يريد من البشر وهم الأنبياء والرسل، لذا فإن هذا النص يأخذ صفة التقديس لأنه كلام الله أبلغه لأمين وحى السماء الذى يبلغة بدوره إلى هؤلاء الأنبياء والرسل . مع الأخذ فى الاعتبار أن النص إما أن يكون مكتوباً . أو يكون نصاً شفهياً .

النص المقدس فى اليهودية

وهو النص الوحيد فى الأديان السماوية الثلاثة المكتوب، وحيث كتبه الله ﷻ فى الالواح لموسى، ولم يكن لأمين وحى السماء تدخل فيه

تقول التوراه فى سفر الخروج الإصحاح ٢٠/١-١٧ وهذا الإصحاح يروى قصة الوصايا العشر واللوحين التى كتبها الله ﷻ لموسى إلا إننا لنا هنا وقفه . لقد حددت التوراة أن اللوحين كتب فيها الوصايا العشر وهذا كلام غير صحيح ولإسباب الآتية :

١- أن الرب قال لموسى أنه سيأتى له فى ظلام السحاب لكى يسمع بنى إسرائيل كل ما يقول الرب له وامر الرب موسى أن يغسل شعب بنى إسرائيل ثيابه وأن يكونوا مستعدين فى اليوم الثالث، ثم تقص التوراة فى صباح اليوم الثالث أن صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ونذهب إلى نص التوراة فى هذه الجزئية: الإصحاح ١٩/١٧-: {وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار - وإلى أن وصلت النتوراة إلى القول: فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت . ونزل الرب على جبل سيناء . إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى . ثم تبدأ بعد ذلك قصة اللوحين والوصايا العشر على اللوحين . إلا أننا نجد فى الإصحاح {٢٠} وتحت عنوان الوصايا العشر والتى أجملتها التوراة تحت هذا العنوان فى ١٧ عدداً فقط ثم تبدأ التوراة فى شرح تفصيلى لهذا الإجمال وهو:

١- لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .	٢- لا تكذب .
٣- تقديس يوم السبت .	٤- اكرم أباك وأمك .
٥- لا تقتل .	٦- لا تزن .
٧- لا تسرف .	٨- لا تشهد شهادة زور .
٩- لا تشته امرأة .	

وهم تسع وصايا وليست عشرة وتم شرح مبسط من كل وصية، إلا أن التوراة بدأت تستفيض فى الشرح وتحت عناوين مختلفة عن عناوين الوصايا . فتحت عنوان {أصنام

ومذابح} جاء الوصية بالتوحيد مع إضافة إقامة المذابح وشعائره . ثم جاء عنوان العبيد العبرانيين وهى أوامر خاصة بالعبيد والشرائع المتعلقة بهم وهى ليست موجودة فى الوصايا، ثم جاء عنوان الضرر بالأشخاص وفيه تشرح التوراة جرائم القتل وصدورها وشرائعها، ثم عنوان حماية الاملاك وفيها شرح حد السرقة، ثم عنوان المسؤلية الإجتماعية جاءت التوراة لتشرح حد الزنا، ثم عنوان أحكام العدل والرحمة وفيها شرح حد الكذب، ثم عنوان فرائض السبت وفيها شرح للسبت المقدس والشريعة الخاصة به . من هذا نرى أن شرح الوصايا تناولت سبعة وصايا فقط من أصل عشرة أو تسعة وصايا وأغفلت الباقى .

ثم نأتى لقصة اللوحين،والتى أوردتها التوراة بعد ذلك فى الإصحاح ٢٤ العدد ١٢ : {وقال الرب لموسى: اصعد إلَى إلى الجبل، وكن هناك، فأعطيت لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتُها لتعليمهم} .

إذن الفرق واضح بين الوصايا العشر التى يدعّى اليهود انها المكتوبة على اللوحين وبين ما كتب فى اللوحين وهى الوصايا والشريعة وهذا ما يتطابق تماماً مع النص القرآنى فى قوله ﷻ ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ثم قوله ﷻ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢] ثم قوله ﷻ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] فإذا أنتقلنا إلى جزئية أخرى فى قوله ﷻ

١- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء:٦٣]

٢- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء:١٦٣]

٣- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى:٧]

٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]

٥- ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود:٣٦]

٦- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة:١١١]

هذا هو الوحي وليثبت لنا أن الله ﷻ أوحى لأنبياءه وأن الإستثناء لم يكن إلا لنبى واحد وهو الكلام المباشر بين الله وبين نبيه موسى وكما أورد إلينا القرآن . حتى الوحى الذى ذكره القرآن والخاص بالحواريين كان خاصاً بالإيمان بعيسى ورسالته والإيمان بالله وحده . والحواريين هم الإثنا عشر تلميذا .

إذن ليس من المعقول أن يكون الوحى الذى أنزل على موسى سواء عن طريق الكلام المباشر أو الوحى عن طريق جبريل يشرح لموسى كيف هو أسماء بنى إسرائيل كما فى سفر العدد او هى أشياء كثيرة ليست من الشريعة فى شئ بعضها فى سفر اللاويين أو فى سفر التثنيه والذى ينتهى بموت موسى . ثم يأتى بعد الأسفار الخمسه أسفارٌ كثيرة بداية من سفر يشوع وحتى سفر ملاخى يضعون فيه الرب مرة كليماً لهؤلاء الرسل ومرة أخرى يوحى إليهم وكل من له رؤيا أو حلم حلماً تدعمه التوراة بسند من الرب فيتأول من يريد ويفسر من يريد، وأعتقد أن الدكتور مينس يؤيد ما أقوله والدليل على ذلك التوراة السامرية والتوراة البابلية وأختلافاتهم وهذا لا يعترف بالتوراة الخرى . فأين هنا إذن ما يدعونه بأن التوراة نص مقدس ؟! مع الأخذ فى الإعتبار أن التوراة التى بين أيدينا ليست هى توراة موسى ولم يكتبها موسى وكما سبق القول .

النص المقدس فى المسيحية

سارت المسيحية على درب اليهودية فى قضية النص المقدس، ولكنها تمادت عن اليهودية كثيراً،لأن اليهود فى نصهم المقدس أضاعوا التوراة {الألواح} ثم جاءوا بعد ألف سنه من وفاة موسى وتداولوا التعاليم شفوياً، أضافوا ما أضافوا وحذفوا ما حذفوا، وأختلط الحابل بالنابل، ولما لم يكن لديهم هذه الألواح خلطوا ما كتب فيها بما قاله موسى شفهياً بأوامر من الله حيث أعلنوا عند توراتهم والتى أخذت تنتقل من ناسخ إلى ناسخ ومن مترجم إلى مترجم . إلا أن المسيحيه سارت أبعد من ذلك، وقد أرادت الكنيسة الأولى أن تستقل بهذا الدين عن اليهودية، وألغت فكرة أن المسيح هو امتداد لأنبياء بنى إسرائيل وآخرهم، وذلك باعتراف المسيح نفسه فى أناجيلهم وتأكيد ذلك فى القرآن الكريم . إلا أن الآباء الأولين ومن قبلهم بولس أرادوا خلع ما جاء به المسيح ووضعه فى ديانة مستقله بذاتها برغم النص الإنجيلى الذى يصّرون على أنه مقدس فيشير يوحنا إلى محدودية رسالة عيسى فى قوله:إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله} .

يوحنا:١١/١ حتى عندما أوحى عيسى تلاميذه فى قوله لهم: {إلى طريق الأمم لاتمضوا والى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة} . متى: ٥/٢٠، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه هو اعتراف بعض علماء النصارى بهذا . فيقول {دين إنج} إن عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود، ولم يحاول قط أن ينشا فرعاً خاصاً من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود او تعاليمهم . ويقول {وليم باتون} إن الذى يقرأ رسائل بولس يرى أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالية المسيحية . وهذا ما اوضحه وأثبته القرآن الكريم بما لايدع مجالا للشك فيقول الله ﷻ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ[٤٨] وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:٤٨/٤٩] ولما لم يكن لديهم نص مقدس وكما جرى العرف فى نزول ديانات جديدة تختص بشرائع وعقيدة، وكل ما جاء به عيسى هو تكملة لنص موسوى فى التوراة وليس تغيراً أو إحلال حكم كان محرماً على اليهود كما نص القرآن الكريم . لم يجدوا أمامهم لإستقلالية دين جديد سوى إيجاد ما يوثق هذا الدين وكما حاولوا فى موسوعة تاريخ الكنيسة . وكيف يوثق دين بلا كتاب أنزل على نبى هذا الدين، فلم يجدوا أمامهم سوى المؤلفات المنتشرة وقتئذ ،كانت كثيرة منها ما يروى طفولة المسيح ومنها ما يروى معجزاته، ومنها ما يروى عن مريم، ومنها ما يروى عن أن المسيح إله أو ابن إله وحتى جاء مجمع نيقيه ٣٢٥م والذى أساسه محاربة عقيدة آريوس كما سبق القول وذلك عندما أعلن قسطنين أن المسيحيه دين الدولة الرسمى، وتم أختيار الأناجيل الأربعة . وسار الأباء الأولين لإضافة القدسية على اختياراتهم . ولم يجدوا لإثبات هذه القدسية سوى الروح القدس فألصقوا مصطلح الروح القدس على كل من أرادوا تقديسه من هذه الكتابات . وهكذا جاء النص المقدس فى الديانة المسيحيه .

وهذا ما فعله أيضاً من تلى من الأباء الأولين من أجيال الأباء المتعاقبة وحتى وصل بناء لأمر للدكتور / مينس عبد النور . فيقول حول إنجيل لوقا: بصفته من الرسل! الذين حلّ فيهم روح الله فقوله{رأيت أن أكتب}معناه أن روح القدس ألهمه ليكتب تاريخ المسيح وميلاده ومعجزاته وآلامه وموته وقيامته، ليكون أساساً يبنى عليه المؤمنون إيمانهم ـ ثم يستطرد قوله:

١ـ أجمع أئمة المسيحيين القدماء والمتأخرين على أن إنجيل لوقا هو بوحى إلهى، مثل إنجيل متى ومرقص ويوحنا، ولم يشك أحد فى صحته . فلو كان بدون وحى إلهى لنبذه أئمه الدين، لأنهم كانوا أحرص الناس على ديانتهم .

٢ـ اعتبر الرسل بطرس وبولس ويوحنا هذا الإنجيل من الكتب الموحى بها، لأنه كان متداولاً فى عصرهم . فلو كان إلهامى لما صادقوا على التعبير به وهم أعمدة الدين وأركانه .

٣ـ أجمع أئمة الدين القدماء على أن بولس رأى هذا الإنجيل وصدّق عليه .

٤ـ يوافق إنجيل لوقا باقى الأناجيل ولا يناقضها فى شئ، مما يدل على أن مصدرها واحد هو الله .

٥ـ هناك أدلة على إلهام لوقا، فهو من السبعين تلميذاً الذين أرسلهم الرب ليكرزوا فى اليهودية .

٦ـ وبهدف النظر عن جميع البيانات الدالة على أن لوقا كان واحداً من الرسل العاملين . نقول إن الله خص الرسل بأنهم كانوا يضعون أيديهم على المؤمنين فيحل عليهم الروح القدس .

هذا ما كتبه الدكتور مينس وهو فى شرحه لقدسية إنجيل لوقا يلزم أن يغّيب عقول كل يقرأ مثل هذا، وهو بذلك يتبع خطوات أسلافه من تغيب العقل السيحى عن التفكير، وأن كلامهم لا راد له، حتى لو قالوا أنهم أنصاف آلهة لوجب على الشعب المسيحى تصديق هذا، دون الرجوع إلى أناجيلهم أو تاريخهم الكنسى .

وللدكتور مينس العذر فى هذا، فهو يعلم كما يعلم آبائه الأولين أنهم حقيقة لا يملكون نصاً مقدساً تركه لهم المسيح،لأن دعوته لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات أو أقل وكان كثير الترحال، وأن دعوته لم تخرج عن هداية بنى إسرائيل وبلا شريعة كاملة تقع تحت نظرية {افعل ولا تفعل}، بل أن غالب دعوته كانت لاتتعدى المواعظ والحكمة والتحذير لليهود من مغبة انسياقهم وراء الفسق وتكذيبهم لرسالته .

ولذلك جاء بعده الرسل وهم لا يملكون شيئاً {نصاً مقدساً مكتوباً} ومكثوا أكثر

من قرن من الزمان ليتداولون مواعظ وكلمات المسيح شفهياً والبعض منهم يكتب ما يكتبه حسبما ما سمعه، وممن سمعه، ثم تتناقل هذه الكلمات ربما بإضافة أو ربما بحذف، لذلك فإننا سنرد على النقاط الخمسة التى أوردها الدكتور مينس حتى يعمل القارئ عقله وفى الحق ليس إلا .

أولاً: يزعم الدكتور مينس أن أئمة المسيحيين القدماء والمتأخرين أجمعوا على أن إنجيل لوقا هو بوحى إلهى ـ فلو كان بدون وحى إلهى لنبذه أئمة الدين، ولم يحدد لنا الدكتور مينس من هم هؤلاء الأئمة ومع ذلك من الذى حدد لهؤلاء الأئمة أن إنجيل لوقا هو بوحى إلهى؟ وإننى أتحدى الدكتور مينس وكل العلماء المسيحيين أن يكون متى أو مرقص أو لوقا أو يوحنا قد أورد نصاً موثقا فى هذه الأناجيل يقول فيها كاتبه أنه كتب إنجيله بوحى أو بالهام الروح المقدس وليس تأويلاً أو تفسيراً لبعض الكلمات كل يفسر حسب هواه وماليس بتفسير وكما يقول الدكتور مينس فى تأويله عن لوقا فى قوله فى إنجيله {رأيت أن اكتب} أن معناها أن الروح القدس ألهمه ليكتب، وهو تفسير لا يقبله أو تأويل لا يقبله طفل لا يدرك أو يعى، وعلى العكس فإن لوقا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك ويعلن أنه لم يكتب بوحى الروح القدس أو إلهامه . فإن الروح القدس لا يوحى لأحد أن يكتب رسائل إلى صديق له . ولنقرأ ما قاله لوقا ونتمعن فى كلماته التى أحالها أئمة المسيحيين إلى كلمات مقدسه يتم التعبد بها وأنها كتبت بوحى الروح القدس أو بوحى إلهى: {إذا كان الكثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً لكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بالتدقيق، أن كتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذى عُلّمتَ به}. وهى مقدمة خطيرة لم يفطن لها الأباء أو أئمة المسيحيين كما يحب الدكتور مينس أن يطلق عليهم .

هنا لوقا يقول عن مسألة التأليف والتأليف يا دكتور مينس لا يأتى عن طريق الوحى أو الإلهام، وإذا فرضنا هذا كان لابد وحينما علمه أن ما وصله من المعاينيين والمقصود بهم الذين شهدوا أيام المسيح الأخيرة، المفروض منهم أن ما كتبوه إذا كانوا كتبوه هو بالأحرى من الروح أو الوحى الإلهى . وهو ما تم تسليمه إلى لوقا حسب قوله فإن تحريات لوقا وتتبعه لهذه القصص . ولا ننسى مقولة لوقا: إذا كان كثيرين قد

أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيَقنه عندنا كما سلّمها إلينا كانوا منذ البدء معاينيين وخداماً للكلمة .

ومنها يثبت لوقا أن كثيرين قد تداولوا قصصاً لا أساس لها من الصحة، ولم تكن هناك مصداقية لما يتداولونه وهذا يثبت أن لوقا أيضاً لم يكن من المعاينيين ولم يكن كما يزعم الدكتور مينس بأن لوقا كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح ليبشروا . وإنما تسلّم وأكرر تسلّم من المعاينيين وقائع الحقيقة . وليعود لوقا ليقول لنا ومينس {لتعرف صحة الكلام الذى عُلّمت به} وكلمت عُلّمت به بتشديد الام وضمة العين بمعنى التعلم، وتعلمه هذا ينفى واقعة التسلّم التى جاءت فى قوله {كما سلمّها إلينا} أو العكس، فالتعلم هنا جاء من شخص ما ؟ وغالباً أن هذا المعلم كان يهودياً، ثم تنصر، لأن لوقا يبدأ إنجيله بميلاد يوحنا المعمدان وقصة زكريا والمحراب ثم ميلاد المسيح وختانه توكيداً للعقيدة اليهودية .

ثانياً: يزعم الدكتور مينس أن بطرس وبولس ويوحنا أن هذا الإنجيل من الكتب الموحى بها! . وأسأل الدكتور مينس من أين أستسقى هذا الأمر أو هذه المعلومات، فإن بطرس لم يذكر اسم لوقا سواء فى رسالته الأولى أو الثانيه ولا حتى فى إنجيل بطرس المرفوض قانونياً،فمن أين جاء أن بطرس شهد على إنجيل لوقا أنه من الكتب الموحى بها؟

نأتى إلى بولس فإن رسائل بولس الموجودة فى العهد الجديد المفروض أنها أربع عشر رسالة . ذكر بولس اسم لوقا فى ثلاث منها نوردها كالأتى:ـ

١ـ رسالة بولس إلى أهل بولوسى: فى الإصحاح ١٤/٤: {يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب / وديماس}

٢ـ رسالة بولس الثانية إلى تيموناوس: الإصحاح ١١/٤: {لوقا وحده معى . خذ مرقص وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة} .

٣ـ رسالة بولس إلى فليمون: يسلم عليك أبفراس المأسور معى فى المسيح يسوع، مرقص، وأرسترخس، وديماس، ولوقا العاملون معى .

أما يوحنا وهو الشاهد الأخير للدكتور مينس فلم يذكر اسم لوقا مطلقاً سواء في إنجيله أو في رسائله الثلاثة . ومع ذلك فإذا كان بولس قد ذك اسم لوقا فهو لم يذكر إنجيله، فلماذا إذن يحاول كثير من علماء النصارى الاستدلال بما هو غير موجود، مع ملاحظة أن التوثيق التاريخي لا يجوز الإستناد عليه في التاريخ إلا بسند قوى دامغ وليس آراء قالها هذا أو ذلك لنجعل من آرائهم وثيقة يعتمد عليها التاريخ أو الجغرافيا أو اسم جاء ذكره . وهذا ما إدعاه الدكتور مينس وفي البند رقم {٣} وهو كلام مرسل غير موثق حتى يتم التصديق عليه وذلك في قوله أجمع أئمة الدين القدماء . فإن الإجماع يا دكتور مينس لا يكون على اعتبار أن هذا كتاب مقدس أم لا، فكثيراً من أئمة الدين ذهبوا في خلاف ما ذهب إليه أئمة دين غيرهم، وهل يا دكتور مينس اختلاف أئمة الدين الذى ظل أكثر من قرنين من الزمان صراع الأقنوم الثاني وجوهره إلا نتيجة عدم إجماع الذى نتحدث عنه، وهل المجامع الكنيسية الأولى بداية من مجتمع نيقية إلا للاختلاف وليس لإجماع، ألم يفترق بطرس عن بولس عندما خالف بطرس شريعة الناموس وجعل الأحكام بحسب البر وليس بحسب الناموس . وكثيراً لو عدنا إلى تاريخ الكنيسة، ثم انشقاق الكنيسة والكنيسة انشقت إلى كنائس، فأين هذا فيما نقوله من إجماع أئمة الدين، وعليك أنت كرجل دين أن تفرق بين رجل دين ومؤرخ دين، لأنه حتى يوحنا الرسول في رسالتيه الثانيه والثالثة يقول: {وكان لي كثير لأكتبه، لكنني لست أريد أن اكتب إليك بحبر وقلم} . ولا اعتقد أن هناك ما كان يسمى بحبر وقلم ومع إصرار الدكتور مينس في القول أجمع أئمة الدين فسوف نبرهن للقارئ أن أئمة الدين النصارى اختلفوا في أشياء تمس العقيدة النصرانية وسنذهب إلى اختلافات القرون الأولى في المسيحية ومما نتج عن هذه الأختلافات، وحتى يدرك القارئ البسيط، ونكشف الغطاء عن كل الاختلافات التي لا يعلمها المسيحي البسيط والتي وضعت المبادئ الأولى للعقيدة المسيحية، وكيف وضعت، وكيف كان الآباء الأولين سبباً مباشراً في الجنوح بأصل المسيحية وهو مالم يناد به المسيح نفسه أو تلاميذه الأثنا عشر الحقيقين وليست الأسماء المستعارة التي الصقت بالأناجيل لتكتسب صفة التقديس، بم جعلها أناجيل قانونية، ثم أصروا دون يقين أنها كتبت بوحي من عند الله، فأصبح كل من يتبع ويدعو إلى ما قالته الكنيسة هو وحي من عند الله، ثم أضافوا صفة القدسة عليه، ليصبح كل ما يتكلم به من

الروح القدس دون الأخذ فى الإعتبار أن عيسى نفسه كرسول من عند الله لم يقصر فيما أضافوه من العقائد ولم يقل بها، بل وضعوا نبوءات على لسان نبيهم لم يقل بها، ولم تحدث، فأظهروا نبيهم وكأنه لا يقول حقائق ومثال ذلك وقبل أن ندخل فى ظلمات اختلافات أئمة الدين الدين فى القرون الأولى . رغم القول أن حتى الـ{١٥٠} عاماً الأولى بعد المسيح كانت غامضة .

١- ففى إنجيل متى الإصحاح ٢٧/١٦: {فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه فى ملائكته، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى مكلونه} .

٢- إنجيل متى الإصحاح ٢٤: يتحدث المسيح عندما سأله التلاميذ عن علامات نهاية الزمان وعلامات مجيئه، فيشرح المسيح عن هذه العلامات، وظهور الأنبياء الكذبة والمجاعات والأوبئة وكثرة الزلازل وخراب بيت المقدس التى قال عنها النبى دانيال، وقصة طويلة يرويها السيد المسيح وحتى نصل إلى العدد ٢٩ يقول: وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت . فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح . من أقصاء السماوات إلى إقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل: متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها . تعلمون أن الصيف قريب هكذا أنتم أيضاً . متى رأيتم هذا كله فأعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول .

وهكذا وضعوا على لسان السيد المسيح نبوءات، لم تتحقق ومرّت أجيال متعاقبة ولم يحدث شئ . وقد أرجع بعض العلماء النصارى أن من الأسباب الرئيسية لعدم وجود توثيق حقيقى للقرن الأول الميلادى كان لسبب الأعتقاد أن نهاية العالم قادمة،ولم يكن أحد ليكتب أو يوثق لأن هناك من دعى لهذه النبوءات بعد رفع المسيح، إما لتثبيت دعائم هذا الدين وأن يهتم الناس بالآخرة فلا يهتمون بأمور الدنيا التى ستزول قريباً،ولا تذوب الديانة الجديدة فى خضم الحياة وبالتالى يكون عيسى هو أحد رسل بنى إسرائيل وتصبح المسيحية مجرد فرقة يهودية سرعان ما تنتهى وتذوب داخل المجتمع اليهودى

خاصة أن المسيحية لم تكن قد وضحت لها طقوس أو عبادات أو شريعة، بل التداول كان مجرد الأقوال الشفهية لمواعظ المسيح . إلا إننا وقبيل أن ندخل فى موضوع التضارب والاختلافات الجوهرية التى حدثت على مدار قرون والتى اختلفت فيها أئمة الدين على دينهم فأنا أبغى أن أرد على مقولة الدكتور مينس فى قوله للنقطة الأخيرة وهو موافقة إنجيل لوقا مع باقى الأناجيل ولا يناقضها فى شئ، وحيث أن لوقا من السبعين الذين أرسلهم المسيح ليكرزوا فى اليهودية . وهذه فرية كبيرة يقول الدكتور مينس فأولاً لابد أن يدرك القارئ أن العهد الجديد وفى فهرس مواضيعه احتوى على {١٩١} موضوعاً مختلفاً فماذا نجد منها .

١ـ لم يتكلم إنجيل لوقا عن {٥٤} موضوعاً تكلمت عنها الأناجيل منها مواضيع ذات أهمية كان لابد أن تتفق عليها الأناجيل الأربعة وحتى يقول الدكتور مينس عن حق أنها متوافقة، مثل زيارة المجوس، ومثل هروب العائلة المقدسة إلى مصر والتى لم يتكلم عنها سوى إنجيل متى .

٢ـ هناك {٣٧} موضوعاً لم يتكلم عنها سوى لوقا ولم ترد بالأناجيل الثلاثة منها مواضيع هامة مثل: يسوع يغفر لامرأة خاطئه، وإرسال السبعين ورجوعهم، وهذا ما دعا الدكتور مينس أن يقول عن لوقا أنه من السبعين تلميذاً برغم من أن الأناجيل الثلاثة لم تتكلم عن ذلك ولا أدرى من أين علم الدكتور مينس أن لوقا من السبعين على الرغم من اعتراف لوقا نفسه أنه لم يشاهد ولم يعاين قصة المسيح نهائيا ؟ فكيف يرسله المسيح مع السبعين كما يدعى الدكتور مينس . إلا وكما سبق القول لقيل من شاء مايشاء وعلى الجميع أن يصدق .

وبمناسبة السبعين يقول إنجيل لوقا الإصحاح ١/١٠ : {وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً} .

هذا يا دكتور مينس خبر تلقاه لوقا ممن تسلمه من الذين كانوا من البدء معاينيين وخداماً للكلمة . ولم يقل لوقا أنه كان من المعاينيين من البدء والفرق واضح بين التسلّم والمعاينة فلا داعى لخلط الاوراق .

اختلاف أئمة الدين المسيحى حول عقيدة دينهم

اختلاف أئمة الدين المسيحى حول عقيدة دينهم

قصة القرون الأولى والأختلاف العقائدى بين أئمة الدين تعدى من القصص المعقدة المتشابكة التى قد تربك أى قارئ لها .

ولذلك سنحاول تبسيط محتواها قدر ما نستطيع .

فمنذ قدر للمسيحية أن تخرج عن نطاق اليهودية وتمضى الى طريق الأمم، حتى فتح باب الفلسفة على مصراعيه بداية من عصر الإمبراطور {تراجان} ٩٨م والذى كان يحضر حلقات الفيلسوف {إبيكتاتوس} أشهر رجال الفلسفة فى القرن الثانى، بل إن الإمبراطور {مركوس أوريليوس} كان من أعلام الفلاسفة .

ومن أجل إنتشار الفلسفة وتعدد مدارسها سواء الفلسفة وتعدد مدارسها سواء الفلسفة الروائية أو الأفلاطونيه الحديثه أو الفيثاغورثية، كان لابد للمسيحية أن ترتدى لباس بعض هذه الفلسفات وتعييها جيدا وتدخلها المطبخ الفلسفى الخاص بها وكان لابد لها من فلسفة خاصة بالمسيحية فى هذا الوقت المبكر ولم تتبلور بصفة نهائية هذه الفلسفة إلا فى القرن الثالث عشر على يد القديس {توماس الاكوينى}[١] .

وعلى هذا الأساس إستطاعت المسيحية أن تجد لها مكاناً بين العقائد الوثنية وفلسفتها فى هذا الوقت، فيقول ول ديورانت فى قصة الحضارة: إن فكرة المسيح الإله قد هضمتها واستوعبتها تقاليد العقل الدينى والفلسفى، ومن ثم كان فى وسع العلم الوثنى أن يحتضنها ويرضى بها . إن المسيحية لم تقضى على الوثنية، بل تبنتها، ذلك أن العقل اليونانى المحتضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة تمثلت فى لاهوت الكنيسه وطقوسها[٢]

---

(١) الدكتور حنفى حسين: نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى .

(٢) قصة الحضارة . ول ديورانت ـ الجزء الثالث .

لقد وجدت المسيحية نفسها منذ البداية أمام طريقين .

١ـ إما أن تظل مسيحية يهودية وكما قال المسيح {لم أرسل إلا إلى بيت إسرائيل الضالة[١] وتلك الجزئية أفردنا لها فصلاً كاملاً عن محدودية رسالة عيسى فى كتابنا[٢] .

٢ـ وإما أن تعدو مسيحية عقلانية، تخلع عن نفسها عباءة اليهودية وتستقل عن الدين اليهودى وتخاطب الوثنيين بألسنتهم وفكرهم الفلسفى، وقد حُسمت هذه القضية فى المجمع الذى عقده الرسل فى أورشليم عام ٥٠م وعرف مجازاً بأنه أول مجمع مسكونى {عالمى} وعلى اعتبار أنه ضم عدداً من الرسل الذين تفرقوا فى أماكن مختلفة فى الإمبراطورية الرومانية، وحيث قرر المجمع حسب رأى الأغلبية على أن يسلكوا الطريق العقلانى، وحتى يتيسر لهذا الدين أن يخلع عباءة اليهودية عنه والتى كانت تحاربه وتحاصره فى ذلك الوقت .

وأرى فى نفس الوقت أن اتشاحها بالفلسفة الوثنية سوف يضعها أقرب للإمبراطورية الرومانية فى التشابه الفلسفى من اليهودية كدين مستقل بذاته ينأى بنفسه عن هذه الفلسفات، لذا كان لابد من التقرب من الإتجاه الفلسفى الرومانى كملاذ من الضغط اليهودى عليها .

ولعله سادت الفكرة التى بثها شيخ مؤرخى الكنيسة {يوسيبيوس القيسارى} {وجيروم} وقبلهم كليمنت وأوريجون ثم ترتليانوس الافريقى بأن العلاقة بين الحكومة الر ومانية والكنيسة المسيحية، كانت مبنية على الكراهية والعداء الكامل لهذا الدين الجديد . فهل كان هناك عداء دينى فعلى بين الإمبراطورية وهذا الدين؟

يجيبنا على هذا التساؤل الدكتور رأفت عبد الحميد رحمه الله فيقول:

يجدر بنا أن نرتد على آثار هؤلاء القوم لنقف على حقيقة وطبيعة العلاقة بين الدولة والكنيسة وكيف تطورت الأمور بينهما إلى هذا الحد .

هناك وثيقة تاريخية هامة من ١٢٢م . توضّح موقف الدولة الرومانية من جماعة

---

(١) انجيل متى: ١٥/٢٤ .

(٢) محمد والمسيح ـ المؤلف .

المسيحيين حتى هذا التاريخ، أى بدايات القرن الثانى، وهذه الرسالة كتبها {بلينيوس} الأصغر حاكم بيثينيا فى آسيا الصغرى والتى بعث بها إلى الإمبراطور تراجان يسأله الرأى فى كيفية معاملة المسيحيين؟ لأنه لم يشهد من قبل على الإطلاق أى محاكمة تجرى لهم ولا يعرف التقاليد المتبعة فى إجراءات التحقيق أو حد العقوبات، ولا مدى التفرقة فى العقوبة بين الشيخ والصبى ولا كيف يمكن التعامل مع أولئك الذين يبدون توبتهم .

وعبارات بلينيوس تميط اللثام عن أن عدد المسيحين فى الإمبراطورية بعد مضى قرن من الزمان على ظهور المسيحية أو أقل من قرن، لم يكن بالأمر الذى يشغل بال الإدارة الرومانية، بل إن عبارات بلينيوس تؤكد أن القول بوجود اضطهاد مبكر لجماعة المسيحيين آنذاك يعد ضرباً من التعسف فى تناول الوقائع التاريخية .

تعقيب المؤلف على هذه الجزئية

كانت روما فى أوائل المسيحية تعتبر أن المسيحية هى فرقة منشقة عن اليهودية، وكانت لا توليها أى إهتمام فى هذه الفترة، إلا أن الإضطهاد الأساسى فى هذه الفترة كان من اليهود الذين رفضوا هذا الدين ولم يعترفوا به وكانوا يكيدون لهم .

نعود لرد الإمبراطور تراجان على بلينوس بقوله: أنه ليس هناك نظام ثابت ولا قاعدة عامة يمكن اتباعها فى مثل هذه الأمور وهذه العبارة تدل بوضوح على سياسة روما تجاه رعاياها المسيحيين، فلم يكن هناك حتى هذا التاريخ، بل وإلى منتصف القرن الثالث من بعد إتجاه عام لدى الدولة باضطهاد المسيحيين بسبب عقيدتهم، كما يحلو لمؤرخى الكنيسة ومن ينقلون عنهم دون تمحيص أن يؤكدوا دائما . ويدعم الرأى الأخير لدينا {والكلام للدكتور رأفت} ، رسالة بعث بها الإمبراطور هادريان {١١٧- ١٣٨} إلى {مينوكيوس الفوندى} فى آسيا يامره فيها بعدم معاقبة المسيحيين لأجل مسيحيتهم، بل إذا ما أقدموا فقط على أرتكاب جرائم تعد خروجاً على القانون[١] ـ وهذه العبارة تدل على سياسة الدولة فى عدم معاقبة المسيحيين بسبب عقيدتهم .

---

(١) EUSEB HIST ECCI IV,g

أما ما يرويه المؤرخون عما وقع في عهد نيرون {٥٤ ـ ٦٨} ودوميتيانوس {٨١ ـ ٩٦ } والذى لم يكن لأسباب أمنية تتعلق بالصالح العام للبلاد .

بل إرضاء لهوس شخصي وكما يروى {تاكيتوس، وسويتونيوس} .

وهكذا نعم المسيحيون في أول الأمر، قرابة قرنين من الزمان، بالحرية العقيدية، ويؤكد ذلك {بولس جونسون} بقوله: إن الإنطباع الذى ساد بأن المسيحيين كانوا يعيشون ويمارسون طقوسهم فى أقبية تحت الأرض . ليس إلا مجرد زيف محض . لقد كانت لهم كنائسهم كما كان لليهود معابدهم، ولم يمارسوا طقوسهم بصورة سرية .

لذلك لم يكن هناك إذن اضطهاد للمسيحيين بالمعنى الشائع بسبب عقيدتهم خلال القرنين الأولين للميلاد وحتى منتصف القرن الثالث، وكما ضخمتها الأساطير المتأخرة على حد تعبير المؤرخ {نورما كانتور} فى كتابه التاريخ الوسيط[1] بل ترك لحكام الولايات أن يعالجوا هذه المسألة حسب مقتضى الحال داخل ولاياتهم . وإذا عدنا للوراء فى عهد المسيح وحتى فى آخر يوم فى حياة المسيح كما يزعم إنجيل متى فيقول متى {٢٧: ٢٢ـ٢٥} : بعد القبض على المسيح وطلب قياماً كبير الأحبار وجموع اليهود صلب يسوع يقول لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح؟ قال له الجميع ليصلب فقال الوالى: وألا شر عمل؟ ...... فلما رأى أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدذ شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إنى برئ من دم هذا البار، أبعدوا أنتم .

وهذا إثبات زيف المؤرخين بمعاناة المسيحيين من الرومان .

وفى عام ٢٥٠م صدر أول قرار رسمى من الحكومة الرومانية، يجعل المسيحيين تحت طائلة الاضطهاد إذا أمتنعوا عن تنفيذ هذا القرار، وكان الإمبراطور {دكيوس} هو أول الأباطرة الذين جعلوا الإضطهاد يشمل كل الإمبراطورية الرومانية . وبعد وفاته سار {فاليريان} . إلا أن هذا الإضطهاد سرعان ما توقف بسبب مرسوم التسامح العام الذى أصدره الإمبراطور {جاللينوس} عام ٢٦١م، واعترف فيه بحق المسيحيين فى ممارسة طقوسهم وبناء كنائسهم وإعادة أملاكهم ولقد اعترف شيخ مؤرخى الكنيسة يوسابيوس

(١) كانتور . التاريخ الوسيط ج١ ترجمة دكتور قاسم عبده قاسم .

القيساوى بهذا . إلا أنه فى عام ٣٠٣م عادت مراسيم الاضطهاد مرة أخرى على يد {دقلويانوس} .

ولنختصر على القارئ ما حدث من كل إمبراطور جاء إما بتسامح واما بإضطهاد .
ما يهمنا فى هذه الفترات . كان حال المسيحيين خلال النصف الثانى من القرن الث الميلادى قد أصبحت قوة لا يستهان بها بسبب التنظيم الإدارى المشابه للنظام الإدارى الرومانى، فأصبحت الكنيسة فى جوانب كثيرة صورة مشابهة للإمبراطورية الرومانية، وكان تنظيمها على أيدى محترفين وهم الأساقفة، وما لاشك فيه أن ما ساعد هؤلاء الأساقفة هو احتوائهم لكثير من الصعاب التى واجهت الكنيسة من الداخل نتيجة الإنشقاقات العقائدية والمذهبية خاصة حول الأقنوم الثانى وهى النتيجة الطبيعية للمدارس الفلسفيه المختلفة . فعلى حين كانت كنيسه الأسكندرية تعتمد على التفسير المجازى الرمزى لنصوص الكتاب المقدس، وأصبح المنهج الأفلاطونى هو أساس الفكر المسيحى لكنيسه الأسكندرية، وكانت فى الإتجاه الأخر كنيسة أنطاكية التى اتخذت المنهج العقلى فى تفسير الكتاب المقدس، وكما كان {أوريجون السكندرى} أشهر أساتذة كنيسة الأسكندرية، كان {لوتيانوس الأنطاكى}، {آريوس السكندرى} أشهر أساتذة كنيسة أنطاكية .

جاء بعد ذلك وفى عام ٣١٣م وبعد إنتصار الإمبراطور قسطنطين تقرر الإجتماع الثنائى الذى عقد بينه وبين {ليينوس} وصدر مرسوم ميلانو والذى يتضمن {إن السلام الشامل فى أيامنا هذه يستوجب أن يمتلك كل فرد حرية عبادة أى إله يريد} .

وهذا المرسوم اعتبر قراراً فى غاية الأهمية فقد إعترف المرسوم ضمنياً بالمسيحية كديانة شرعية شأنها فى ذلك شأن الديانات الوثنية أو الديانة اليهودية .

لذلك يقول الدكتور رأفت عبد الحميد: يخطئ كثير من الدارسين حين يقررون أن المسيحية غدت بمقتضى اتفاق ميلانو، وبفعل السياسة التى اتبعها الإمبراطور قسطنطين من بعد، طيلة عهده، بالإغداق على المسيحيين وكشف الضّر عنهم، ديانة رسمية للأمبراطورية الرومانية، فذلك شيئ لم يدر بخلد قسطنطين، ولم يسع إليه، فالرجل أعطى المسيحيين الحرية اللمنوحة لغيرهم من الرومان فى ممارسة طقوس عقيدتهم، ورد

إليهم أموالهم المصادرة، فرفعوه مكاناً عليا . ولم يحدث هذا إلا على عهد الإمبراطور {ثيودوسيوس الأول} فى نهاية القرن الرابع الميلادى ولتغدو المسيحية آنذاك فقط، على عهده، وليس على عهد قسطنطين، الدين الرسمى للإمبراطورية الرومانية[١] .

الإختلافات المذهبية

لم تظهر الخلافات المذهبية على السطح الرسمى إلا مع بدايات القرن الرابع، حيث جاء الاختلاف كما سبق القول بين الكنيسة التى اتخذت التفسير المجازى للكتاب المقدس والكنيسة التى إتخذت المنهج العقلى فى تفسيرها للكتاب المقدس، وحتى خاطب قسطنطين والذى لم يكن مسيحياً الجماعات المسيحية التى عارضت الكنيسة الكاثوليكية بقوله يا كارهى الحق . يا أعداء الحياه، يا أحلاف الخراب . أما وقد ضاق الصدر عن تحمل ويل ضلالكم، فقد قررنا أن نحرّم اجتماعاتكم، وأن نخرجكم من دياركم، وأن تصادر ممتلكاتكم لصالح الدولة، ولن يشهد المستقبل لكم أى تسهيلات للقاء، ومن الآن فصاعداً لن يسمح لإجتماعاتكم غير الشرعية أن تعقد فى السر أو العلن[٢]

وفى أول مجمع مسكونى عرفته الكنيسة وهو مجمع نتقية ٣٢٥م فيوجه قسطنطين قوله للمؤتمرين: إن الصراع الداخلى فى الكنيسة يعد فى رأى، أشد خطراً وأبعد فتكاً من أى حرب أو قتال، إن هذه الخلافات بينكم تبدو لى أكثر فاجعة إذا ما قورنت بأى شيئ آخر[٣] .

وقف قسطنطين أولاً فى مجمع نيفيه يؤيد جماعى {النيقيين} الذين قالوا بأن الإبن مساو للآب فى الجوهر وهو ما يعرف {بالهوموسية} وبأن المسيح مولود غير مخلوق، وتصدى {للآريوسيين} أتباع القس آريوس الذى نادى بخلق المسيح . ثم لم يلبث الإمبراطور قسطنطين أن مال عن رأيه الأول لصالح الآخرين، بينما ناصر ابنه {قسطنطيوس} الآريوسيين، وأنزل أشد العذاب بالنيقيين، ودعا إلى عقد المجامع الكنيسية فى الشرق والغرب، بعد أن أصبح الإمبراطور، وأكره المسيحيين جميعاً على

(١) الامبراطورية البيزنطية ـ الجزء الأول ـ د. رأفت عبد الحميد .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

اعتناق المذهب الآريوسى . واتخذ الإمبراطور {فالتر} السبيل نفسه، حتى إذا جاء الإمبراطور ثيودوسيرس الأول . انقلبت الآية، ولقى الآريوسيين الإضطهاد العنيف، وفى القرن الخامس لقى النساطرة، القائلين ببشرية مريم العذراء الأضطهاد لصالح المنادين بقدسيتها، وكذلك زاق اليعاقبة فى مصر والشام الويلات من جانب الأباطرة الذين قالوا بالطبيعتين فى المسيح .

ثم جاء المؤرخ {أومان} ليصف الحرب الطاحنة التى استمرت ثمانين عاماً بين القرنين الثامن والتاسع بين الأباطرة {اللاأيقونيين} محطمى الأصنام وخصومهم من عُباد الأيقونات وعلى ذلك فإن الحقائق والوثائق تؤكد أن الاضطهاد والعنف الذى لاقاه المسيحيين على يد الأباطرة الوثنيين خلال القرون الثلاثة الأولى فى مجموعه وإجماله لم يصل إلى ربع قرن من الزمان . فى حين نجد أن الاضطهاد والعنف الذى لاقاه المسيحيين على يد الأباطرة المسيحيين استمر على إمتداد خمسة قرون بلا هوادة، وزاد هذا الاضطهاد ازدياد الفرق المسيحية العديدة، والتى تجادل حول طبيعة المسيح، وذلك نتيجة لمحاولات آباء الكنيسة آنذاك من تقديم المسيحية إلى الأمميين فى صورة تتقبلها ويرضاها فكرهم الفلسفى اليونانى وحيث تم مزجها عبر فلسفات مدرستى الإسكندرية وأنطاكية، وحيث تم إلغاء المسيحية اليهودية .

ومن هذا يمكن القول أن الأباطرة المسيحيين كانوا أشد أضطهاداً على المسيحيين من نظرائهم من الأباطرة الوثنيين .

هذا بجانب كثرة الخلافات العقائدية بين الفكر المختلف حتى أن من ٢٦٢م إلى ٣٦٩م أى أقل من مائه عام عقد أكثر من إثنين وأربعين مجمعاً كنسياً بداية من مجمع أنطاكية ٢٦٢م فى بدايات حركة آريوس والتى تنادى أن المسيح مجرد إنسان وصل إلى درجة الألوهية بكماله الخلقى ثم جاء بعد ذلك مجامع كثيرة تنصب كلها فى الاختلاف حول طبيعة المسيح وآخذ معى القارئ فى رحلة حول طبيعة المسيح .

وأخذ معى القارئ فى رحله حول طبيعة هذه الاختلافات التى دارت بين الآباء الأولين الذين يستشهد بهم الدكتور مينس لكن قبل أن نخوض فى هذا الكم من الجدل، على القارئ أن يعرف أن خروج المسيحية عن نطاق التبشير بين اليهود، وإتجاهها

للتبشير بين الأمم {الوثنيين}، جعلها تتخلى عن أسلوبها التبشيرى البسيط وبمعجزات المسيح، واختلطت بأفكار {الوثنيين} وفلسفاتهم، وأخذت عنهم وأعطتهم، وكان عليها فى مواجهة التحدى الفكرى والفلسفى للديانات الوثنية، أن تبدأ فى فلسفة الديانة النصرانية وكان الأب الأول لهذا هو بولس الرسول، لذلك ظهرت فى المسيحية فرق عديدة تجادل فى طبيعة المسيح فى محاولة لوضع إطار ثابت للعقيدة المسيحية على أسس عقلانية، وكان من بينها {المرقيونيين} نسبه إلى {مرقيون} الذى فرق بين إله المسيح والإله يهوة عند اليهود ـ وأصدر عهداً جديداً غير الذى بين أيدينا يضم إنجيل لوقا ورسائل بولس فقط .

١} مجمع أنطاكية ٢٦٢م

تطرق الجزء الثانى من موسوعة جون لوريمر لمن يدعى بولس السميساطى أسقف أنطاكية {٢٦٠ ـ ٢٧٣} وهذا الأسقف تبع ما نادى به ثيودوتس عن عقيدة {الملكية الديناميكية} أو ما يطلق عليها {عقيدة التبنى} . والذى جهر بهذه العقيدة التى تنادى بان المسيح مجرد بشر عادى وأنه مخلوق شانه شأن باقى الخلائق، وأنكر الوهيته فعقد مجمع أنطاكية لمناقشة أراء بولس، والذى أصدر قراره بإدانته وعزله من منصبه واعتبار آرائه هرطقة . ويروى لنا جون لوريمر أن بولس هذا كان مفضلاً عند الملكة زنوبيا ملكة تدمر، وكان قد حكم عليه بالهرطقة فى مجمع نيقيه إلا أن تأييد الملكة زنوبيا أبقاه فى مقر الأسقفية، ويؤكد لوريمر فى كتابه تاريخ الكنيسة قوله: أن ما وصل إلينا من تاريخ حياة بولس، جاءنا من جانب واحد فقط هى جانب أعدائه وحيث حكم عليه بالهرطقة بالرغم من أن بولس كان أول من أستخدم مصطلح الجوهر {HOMOOUSION} والذى اعتبره علماء لاهوت {اللوجوس} هرطقة ـ لكن الطريف حقاً أن المصطلح الذى إستخدمه بولس أصبح هو حجر الزاوية الأساسى بعد ذلك فى قانون الإيمان الذى أقره مجمع نيقيه بعد ذلك

٢} مجمع روما ٣١٢

كان الجنود الرومان يذهبون إلى الكنائس ويطلبون من الكهنة تسليم كل نسخ الكتب المقدسة والتى كانت تكتب باليد وظهر فى تلك الفترة وفى قرطاجنة

{٣١٣ـ٣٥٥} أسقف تولى، المشكلة التى تسّمت بإسمه وهو {ريتاس} وهو الموقف الذى تصدى ضد هؤلاء الذين سلّموا الكتب المقدسة للسلطات الرومانية وأنهم غير مستحقين أن يقوموا بالخدمة الكهونوتية .

وكانت هناك سجالات بين الإمبراطور قسطنطين والدوناتيين، وفى مسائل خاصة عن العماد، واحتجاج الدوناتيين فى وصفهم بالهراطقة[1] .

وليعلم القارئ ان الدوناتيين كانوا يصرّون على أن من يقوم بالتعميد لابد أن يكون قسيساً طاهر النفس لم يصب ايمانه دنس فى الوقت الذى كانت الكنيسة الكاثوليكية تصر على أن طقس العماد لا يرتبط بممارسيه، وتفصل فصلاً تاماً بين طهارة الكنيسة وقداسة رجالها . واذدادت الفجوة إتساعاً، حتى وصل الأمر إلى الأمبراطور قسطنطين، فدعا إلى هذا المجمع لرأب الصدع لهذا الانشقاق الكنسى والذى عرف فى التاريخ بالانشقاق الدوناتى، ولقد أدان المجمع فريق الدوناتيين فى هذا المجمع وأيد الكنيسة الكاثوليكية .

٣} مجمع آرل ٣١٤م

عندما رفض الدوناتيين إدانه مجمع روما ٣١٤م لهم، جاء مجمع آرل والذى يضم أساقفة الجزء الغربى للأمبراطورية وتم التصديق فيه على قرارات الإدانه التى خرج بها مجمع روما ضد الدوناتيين .

٤} مجمع الإسكندرية ٣١٩م

كانت حركة آريوس التى تزعمها القس السكندرى آريوس قد بدأت فى الظهور فى الإسكندرية وتفاصيل هذه الحركه وأسبابها يطول بنا الحديث عنه والمقام هنا . لا يتسع لاستيعاب تفاصيلها إلا أننا نتطرق إليها بجزئية فى حالة الاحتياج لهذه الجزئية، والخلاصة التى نذهب إليها حتى يفهم القارئ ما هى الحركة الأريوسية وبما نادت إليه .

تتلخص التعاليم الأريوسية فى أن الآب هو الإله الحق فى مقابل الابن الذى ليس

---

(١) تاريخ الكنيسة ج٢ . جون لويمر .

إلهاً حقاً . فهما متعارضان بالضرورة على أساس التعارض بين غير المخلوق والمخلوق . ومن ثم فليس هناك إثنان غير مخلوقين، إلهان لا متناهيين، والإبن غير مولود، وليس جزء من غير المولود، ولا يستمد كيانه من مادة، وإنما بالإرادة والقصد وجد قبل كل العالمين وأنه قبل أن ولد أو خلق أو قصد، لم يكن، لأنه كان غير مولود .

وعلى ذلك فالله دائماً لم يكن آبا لأنه كان وحيداً، ولم يكن اللوجوس والكلمة قد وجدت بعد، ثم أراد الله أن يخلق موجوداً معنياً أسماه اللوجوس أو الكلمة أو الإبن، حتى يمكن أن يخلقنا بواسطته .

ومعرفة الإبن بالله معرفة غير كاملة، وذلك لأن الأب غير منظور للابن، فالإبن لا يتأمل ولا يعرف تماماً الآب ٠ ما يراه الإبن وما يعرفه فإنما يعرفه بالنسبه لقواه، إن الإبن لا يعرف حتى طبيعته هو .

ثم نادى بولس السيمسطائى أسقف أنطاكية نادى بأن المسيح مجرد إنسان وصل إلى درجة الألوهية بكماله الخلقى، وأنكر أقنوم الإبن، وأقنوم الروح القدس، معتبراً أن هذين الأقنومين مجرد قوتين فى الله كقوتى العقل والتفكير فى الإنسان .

هذا وقد تكلمنا فى هذا سابقاً وفصلناه تفصيلاً فى كتبنا السابقة فى مسألة القياس هذه كيف يقيس النصارى شيئاً منظوراً على غير منظور . كيف يصّر النصارى فى غالب قوانين إيمانهم المتعددة سواء كان أقنوم الإبن مماثلاً لأقنوم الآب أو منبثقاً منه أو مساوياً له فى الجوهر .

فهل علم هؤلاء ما هو أقنوم الآب، وهل علموا جوهر أقنوم الآب حتى يصروا على القياس الحق . إن القياس لابد حتماً أن يكون بين منظورين، فأنا أستطيع أن أقارن وأصنع قياساً حقاً مثلا بين الذكر والأنثى، بين الإنسان والحيوان، بل بين الحيوان والحيوان، أى القياس بين منظور ومنظور وحتى يكون القياس واقعياً، إلا أن النصارى أصروا على قياس المنظور وهو عيسى على غير المنظور وهو الله ﷻ .

ثم جاءت عقيدة إسكندر أسقف الإسكندرية فى الناحية الأخرى وكما أعلنها تقول: نؤمن كما تكرز الكنيسه الرسولية بالأب الوحيد غير المولود، الواجب الوجود، لا يتغير ولا يزول، هو غاية الكمال لا يتغير عليه نقصان أو زيادة معطى الشريعة والأنبياء

رب الأنبياء والرسل وكل القديسين وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود . ووجوده غير مدرك عند الكائنات المائتة . والآب غير مدرك لأن طبيعة الخلائق العاقلة لا تقوى على فهم هذه الولاده الإلهية من الآب . ولا تزال فى آذاننا ولا أحد يعرف الأب إلا الابن {متى ٢٨/١١} . الابن لا يتغير، والأب . الابن لا ينقص عن الأب شيئاً سوى أنه ليس غير مولود وهو الابن الكامل وصورة الأب التامة[1] .

وعلى ذلك أدان مجمع الإسكندرية ٣١٩م عقيدة آريوس وإعتبرها هرطقة . مع ملاحظة أن هناك مجامع مستقبلية ستعترف بهذه العقيدة .

٥} مجمع الإسكندرية ٣٢١م

حاول {إسكندر} أسقف الإسكندرية رأب الصدع الذى حدث فى الكنيسة والذى استفحل، فدعا إلى مجمع الإسكندرية ضم فيه أساقفة مصر وليبيا، حيث تقرر لعن آريوس ورفاقه وتم التصديق على قرارات مجمع الإسكندرية ٣١٩م .

إلا أن الموقف المتشدد هذا من اسكندر جاء بنتائج عكسية فأفكار آريوس لاقت رواجاً بين عدد ليس بالقليل من رجال الكنيسة فى كنيسة الإسكندرية، وكذلك أنتشرت الأريوسية فى كنائس الولايات الشرقيه للأمبراطورية، وعلى رأسهم كنيسة قيسارية وأسقفها {يوسيبيوس} ، وأسقف اللاذقية {ثيودوتوس} ، وأسقف صور {باولينوس} ، وأسقف عين زربة {أثناسيوس} ، وأسقف بيروت {جريجورى} ، وأسقف اللد {آيتيوس} .

إلا أن أنتشار العقيدة الأريوسية فى الولايات الشرقية للأمبراطورية لم يكن ليعنى للدولة شيئاً، حتى الصداع الدائر فى الكنيسة وبين أساقفتها، وهذا ما دعا إسكندر إلى عقد هذا المجمع والذى لُعن فيه آريوس وأتباعه .

وكان على آريوس أن يتصرف سريعاً لتدعيم موقفه خاصه أنه يعلم مساندة أساقفة الولايات الشرقية، فرحل من الاسكندرية قاصداً صديقه يوسيبيوس أسقف نيقوميديا والذى كان يحتل مكاناً مقرباً من الإمبراطور . فكان مجمع النيقوميدى ٣٢٢م والذى دعا إليه يوسيبيوس .

---

(١) الدولة والكنيسة د. رأفت عبد الحميد ج٢

٦} مجمع نيقية الأول ٣٢٢م

وهو ما دعا إليه يوسيبيوس ساندة العقيدة الآريوسية، وطلب من الأساقفة أن يناشدوا اسكندر أسقف الإسكندرية لإعادة آريوس إلى الكنيسة حيث تصدى اسكندر والذى بادر بعقد مجمع بالاسكندرية .

٧} مجمع الإسكندرية ٣٢٤م

إنقسمت الكنائس إلى حزبين ورأى قسطنطين أن يتدارك الأمر / فبعث {هوسيوس} أسقف قرطبة إلى الإسكندرية ممثلاً عنه إلى اسكندر / وآريوس حاملاً رسالة إلى كل منهم يعرض فيها وجهة نظره والتى تثبت أن قسطنطين كان كل ما يهمه الإتجاه السياسى وليس الإتجاه الدينى لأن المسيحية كانت لا تعنيه فى شيئ بقدر عدم وجود أى منازعات دينية قد تؤدى إلى وجود بؤر قلاقل سياسة فيقول قسطنطين: { وبعد . فأنا على يقين أن منبع الجدل هو ذلك . فأنت يا اسكندر عندما طلبّت إلى القسيسيين إبداء رأيهم حول أمر بعينه يخص الناموس . أو بالحرى . يحسن قولى، عندما سألتهم عن قضية ليس من ورائها طائل !! فإنك يا آريوس، أصررت بطيش وتهور على أمر ما كان حسناً أن تعمل الفكر فيه، ولئن خامرك ليدفنن فى غيابه الكتمان، وها هو بينكما الخلاف قد نشب، بعد أن غفلتما حق الأخوة، ووقعت الرعية المقدسة فى تمزق حزبى

فنرى قسطنطين بعيداً كل البعد عن التدخل فى مضمون هذا الخلاف وهو خلاف يمس أقوى عقيدة لدى النصارى وهى جوهر الابن وكل ما يهمه هو الإنشقاق الذى يحدث بين الرعيه، اى أن المسألة لا تعدو عند قسطنطين سوى مسألة سياسية بالدرجة الأولى .

وما يؤكد رؤيتنا هذه هو قول قسطنطين: {إن الخطأ فى البداية أن تطرح القضايا على هذا النهج، والخطأ فى نقاشها، فمسائل الجدال هذه ليس لها من الشرعية نصيب، وإنما تمليها روح صراع وليدة فراغ أسيئ شغله، حتى لو قصد بها رياضة الذهن، ينبغى أن تظل حبيسة فكرنا بعيده عن آذان الجموع} .

المسألة عند قسطنطين كما قلنا مسألة سياسة، أما المسائل الدينية فهى مجرد فراغ أسيئ استغلاله .

إلا أن قسطنطين في رسالته إلى اسكندر وآريوس أراد أن يختم رسالته بإظهار {العين الحمراء} للأسقفيين وبالتالى لأى فريق يتبعهما فيقول: " ولنر هل أصبنا حيث اختلفنا فى كلمات العبث والغباوة أن نعادى بعضنا بعضاً، وتمزقت جماعتنا لخلاف أصابنا بكما . أنتما يا من يتعالى صياحكما حول نقاط كم هى تافهة وضيعة، سوقيه هى، وخلّة حمق صبيانى، تقف والضد من حصانة الأكليروس والعقلاء ذلك حديث أقوله لكما دون رغبة فى قهر كما على التوافق حول هذه المسألة العقيمة مهما كانت كنّة طبيعتها . وفيما يختص بشجاركما على أمور لا جدوى منها، فعليكما إن صعب الوئام، أن تقصرا تلك على دواخل فكركما والعقل"[1] .

فهل أستمع اسكندر وآريوس وتم الوئام بينهما؟ لم يحدث ذلك ويبدو أن مندوب قسطنطين {هوسيوس} والذى ترأس هذا المجمع كان يميل بشدة إلى رأى اسكندر، فدعا فى طريق عودته إلى روما وأثناء تواجده فى انطاكيا إلى مجمع آخر .

٨} مجمع أنطاكيا ٣٢٤م

ويبدو أن هذا المجمع كان الهدف منه حشد الآراء ضد آريوس فى محاولة للإيحاء أن القضية أنتهت وللمرة الثالثة لإدانة آريوس، ولتوطيد ذلك تم رسم هوسيوس {يوستاتيوس} أسقفاً لأنطاكية والذى يعتبر من أقوى أعداء العقيدة الآريوسية وأعتقد أن رسم {يوستاتيوس} فى هذا الوقت بالذات كان له هدف أكبر من ذلك وهو حشد أكبر عدد من الأساقفة لما سوف يحدث بعد ذلك .

٩} مجمع نيقية المسكونى ٣٢٥م

أدرك قسطنطين مدى الخطورة التى تحدد وحدة وتماسك الإمبراطورية نتيجة هذا الصراع حيث امتدت العقيدة الآريوسية لتشمل ليبيا وفلسطين وسوريا وأسيا مما دعا الأمبراطور لعقد أول مجمع مسكونى تشهده الكنيسة ووجه الدعوة إلى مختلف كنائس الامبراطورية وقد اختلف المؤرخ فى عدد الأساقفه الذين شهدوا هذا المجمع . فيذكر المؤرخ يوسيبيوس أنهم ٢٥٠ أسقفاً، فى حين يحددهم سقراط بأنهم ٣٠٠ أسقف، ويقول

---

(١) الدولة والكنيسة . د. رأفت عبد الحميد ج٢

{سوزومنوس} أنهم ٣٢٠، ويقول {أثناسيوس} أنهم ٣١٨ أسقفا[1]

{ وعلينا أن ندرك أن كل هؤلاء المؤرخين كانوا عدواً للآريوسية، وعلى ذلك تم إغفال أسماء أو أعداد الأساقفة الآريوسيين} .

وفى ٢٠ مايو ٣٢٥م تم عقد المجمع، ويصف يوسيبيوس، اللحظات التى سبقت دخول الإمبراطور القاعة على أنه رسول السماء، على الرغم أن الإمبراطور نفسه لم يكن مسيحيا بعد وأن هدف المجمع الذى دعاله كان سياسياً بالدرجة الأولى .

وبرأ المجمع اجتماعاته التى اتسمت بأن يكيل كل فريق للآخر التهم وينتقد عقيدته ويهاجمها وتحولت القاعة فى الكنيسة إلى ميدان للمباريات الفكرية والفلسفية لكل فريق، والأيام تمر يوماً بعد يوم دون التوصل إلى أى نتائج، وتدخل الإمبراطور، وأمر بإنهاء هذه الخلافات، وبدء الإجتماعات ودارت المناقشات حول الأقنوم الثانى، وهو اساس أو الأختلاف الرئيسى بين الآريوسية وضدها . .

ويروى المؤرخ {يوسيبيوس} نتائج هذه الإجتماعات فى رسالة بعثها إلى كنيسة قيسارية فيقول: {لقد رأيت أن أتلو عليكم ما قرأته فى حضرة إمبراطورنا الورع والذى قيل أنه الحق} وفق ما تعلمنا بارئ ذى بدء، وما لُقنا وقت العماد وما تلقينا عن أساقفة من سبقونا وما علمنا من الكتاب المقدس وفق ما يؤمن به القسيسيون والأساقفة وبه يبشرون . نؤمن نحن، ونفصح على هذا الأساس عن إيماننا . نؤمن بإله واحد . آب قدير . خالق كل شيئ ـ ما يُرى ومالا يُرى . وبرب واحد يسوع المسيح، كلمة الله . إله من إله . نور من نور . حياة من حياة . الابن الوحيد المولود . أول من ولد دون سائر الخلائق . مولود من الآب قبل كل الدهور، كل شيئ به كان، الذى من أجل خلاصنا تجسد، وعاش بين البشر، تألم وقام فى اليوم الثالث، وصعد إلى الآب وسيأتى ثانية فى مجده ليدين الأحياء والأموات . نؤمن بالروح القدس الواحد . نؤمن بوجود ودوام كل ذلك، الآب فى الحق هو الآبن والابن هو الابن، والروح القدس هو الروح القدس، كما فعل سيدنا حين بعث تلاميذه ليبشروا بالإنجيل قائلاً . إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس} .

(١) الدولة والكنيسة ج٢ ـ د. رأفت عبد الحميد .

{نحن مستمسكون بالإيمان هذا، وعليه نحيا حتى نموت لاعنين كل هرطقة دنسة، ونشهد الله القدير وربنا يسوع المسيح، أننا كنا نعتقد هكذا يملأ قلوبنا وبروحنا منذ وعت نفوسنا ذواتنا، ونملك من الأدلة ما يريكم بل ويقنعكم إنا بهذا آمنا وكرزنا}

تعقيب:

كان هذا هو القانون الإيمانى الذى طرحه يوسيبيوس والذى تسمى باسمه كما قال جون لويلمر فى كتابه تاريخ الكنيسة وهى الترجمة التى أخذت من كتاب {سقراط} أما ما كتبه جون لويلمر فقد أختلفت الصيغة عن صيغة سقراط مع ملاحظة أننا نتكلم عن قانون إيمان ولا يجوز إضافة أو حذف أو تغيير طالما أن هذا القانون صدر من شخص واحد فى فترة محددة وبمناسبة واحدة .

فالنص إذا كان متواتراً عن ترجمة فلابد أن يكون نصاً واحداً وليس المؤرخ أو المترجم الحق أن يزيد أو ينقص خاصة فى كتابه قانون إيمان .

قانون الإيمان ليوسابيوس عند جون لويمر: {نؤمن بإله واحد الآب القادر على كل شيئ . ضابط الكل . خالق كل الأشياء، ما يُرى ومالا يُرى . وبرب واحد يسوع المسيح، كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، الابن الوحيد ـ المولود ـ بكر كل خليقة، مولود من الله الآب قبل كل الدهور، الذى به خلقت كل الأشياء، الذى تجسد لأجل خلاصنا، وعاش بين الناس وتألم ودفن وقام فى اليوم الثالث . حسب الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء جالساً عن يمين الآب ويأتى ثانية فى مجده، ليدين الأحياء والأموات . الذى ليس لملكه نهاية . ونؤمن أيضاً بالروح القدس الواحد} . أنتهى القانون .

فنجد جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة الجزء الثانى لا يذكر أى تلميح عن اساقفة أو قساوسة والتى استشهد بهم سقراط عن يوسابيوس، كذلك حدد جون لويمر جلوس يسوع بعد صعوده موقعه على يمين الأب فى حين لم يذكر سقراط ذلك، كذلك ذكر سقراط نص إنجيل متى الأخير بالإجماع {١٩/٢٨} ، فيما لم يذكر جون لويمر هذا النص . وأننى أعتقد أن الدكتور منيس يشك مثل الكثير أن هذه الجزئية من نص متى {فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدّوهم باسم الأب والابن والروح القدس} .

على الرغم أن متى نفسه فى إنجيله وعلى لسان يسوع أوصى التلاميذ قائلاً: {إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة} . متى ١٠/٥ إلا أن مقولة متى الأخيرة أضيفت إلى إنجيل متى لتوكيد قوانين الإيمان والتى حاولوا فيها توكيد عقيدة التثليث .

ولنذهب معاً وإلى الجزء السادس من الكتاب الأول من موسوعة جون لويمر تاريخ الكنيسه وتحت عنوان {الأسس التى بنى عليها قبول الكنيسة للكتب القانونيه . وحيث يقول لويمر: لقد بدأت الكنيسة تقبل كتبها القانونية المقدسة بالأتفاق العام بين كل الكنائس . وعلى مدى سنوات الخبرة الطويلة والمقارنة أدرك المسيحيون القيم التى ميزت الكتب الموحاة من الكتب الأخرى .

إذن فالإدعاء بأن هذه كتب موحاة من عدمه كان مقياساً بشرياً ولم يكن خبراً إلهياً وجد فى هذه الكتب يخبر أن هذه الكتب موحى بها ـ لذلك فإن جون لويمر يعترف بعد ذلك في قوله: لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التى اعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية .

ثم نأتى لمسألة أخرى هى مسألة تجسد المسيح لأجل خلاص البشرية .

العقائد المسيحية عقائد بشرية وليست إلهية

وليس هذا ما أدّعيه بل هو ما يقوله جون لويمر أيضاً ويضعه تحت عنوان {كيف تطورت العقائد} وحيث يقول: {سنرى كيف قامت بوضع إيمانها ـ الكنيسة ـ فى صيغ عقائدية . وبعض هذه الصيغ موجودة فى العهد الجديد وقد حدث ذلك لمواجهة بعض الظروف الخارجية . فى ذلك العصر كان مألوفاً أن يضع معتنقو الديانات الوثنية عقائدهم فى صور طقسية ـ وقد قام المسيحيون بنفس العمل كقولهم {يسوع رب} كتحد صارخ ومباشر لديانة عبادة الإمبراطور التى كانت تتطلب من كل صالح أن يعترف {الإمبراطور رب} .

وعلى هذا تطورت العقائد والطقوس العبادية ـ ليس لأن المسيح لم يأمر بها، ولكنها هى طقوس وضعها بشر ثم حاولوا تدعيمها من الكتاب المقدس سواء العهد القديم أم الجديد، على الرغم من أن هناك عقائد أساسية كانت مثبتة فى العهد القديم جاء بولس

فألغاها مثل عقيدة الختان ـ وحتى أن بولس قالها فى صراحة فى توكيده على عقيدة التثليث عندما أراد الرد على تعاليم الديانات الوثنية فى قوله فى رسالته الأولى لكور فثوس: {لأنه يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا اله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به} .

هل جاء المسيح بعقائد مسيحية

أولا: الصلاة:

هل جاء المسيح بشريعة صلاة عبادية وجاء فيها حكماتها وحركاتها؟ يقول الكتاب المقدس فى العهد الجديد:

١} **إنجيل مرقس**: {وفى الصبح باكر جداً قام وخرج ومضى الى موضع خلاء، وكان يصلى هناك . فتبعه سمعان والذين معه[1] .

٢} **إنجيل متى**: ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع، وفى زوايا الشوارع، لكى يظهروا للناس .

الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم! وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء .

فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية . وحينما تصلّون، لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم ـ فصّلوا أنتم هكذا: آبانا الذى فى السموات ليتقدس أسمك . ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر وبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير . ن لك الملك، والقوة، والمجد إلى الأبد آمين[2]

٣} **إنجيل لوقا**: وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله فى صلاة لله[3] .

مرقس: ١/٣٥ .

متى: ٦/ ٥ـ١٣ .

وقا: ٦/١٢ .

٤} **إنجيل لوقا:** وإذ كان يُصلي في موضع، لما فرغ، قال واحد من تلاميذه: يارب، علمنا أن نصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه فقال: متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس إسمك . وبنفس صيغة ما أورده إنجيل متى[1] .

التعقيب :

مما أوردناه سنرى أن مرقس لم يتكلم عن صيغة الصلاة، وأن متى ولوقا هم من ذكروا صيغة الصلاة، ومن الملاحظ في صيغة الصلاة في إنجيل متى أن المسيح نهى في جماعة كما تفعل اليهود في مجامعهم بل وشدد على الصلاة فرادى وفي خلوة الصلاة فرادى وفي خلوة، وكان هو ذاته يصلي في خلوة ولم يصّل ومعه تلاميذه ولو أراد ذلك لفعل، وليس كما تفعل النصارى الأن لأن المسيح لم يرغب في كنائس يتم الصلاة فيها كما يحدث الان ومنذ أن أن أمر الأباء الأولون ومن قبلهم بولس ببناء الكنائس مخالفة لما أقره وفرضه نبيهم عيسى .

ثانياً: الصوم:

١} **إنجيل متى:** حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا المعمدان قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال يسوع: هل يستطيع بنو العُرس أن يُنوحُوا مادام العريس معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون[2]

٢} **انجيل متى:** ومتى صممتم، فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يغيّرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم: إنهم قد إستروموا أجرهم . واما أنت فمتى صُمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً . بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية[3]

٣} **إنجيل مرقس:** وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون فجاءوا وقالوا له: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع: هل

---

(١) لوقا: ١١ / ١-٤ .

(٢) متى: ٩: ١٤ ـ ١٥ .

(٣) متى: ٦: ١٦ ـ ١٨ .

يستطيع بنو العُرس أن يصوموا والعريس معهم؟ مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا(١) .

٤} إنجيل لوقا: وقالوا له: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرا ويقدمون طلبات . وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضا، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون؟ فقال لهم: أتقدرون أن تجعلوا بنى العُرس يصومون مادام العريس معهم؟ ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون فى تلك الأيام(٢) .

تعقيب :

على الرغم من أن الأناجيل الثلاثة قد تضاربت فى موضوع الصوم فإنجيل يُقر لصوم ويضع له شروطاً مثل إنجيل مرقس، وبقية الأناجيل أقرب الأناجيل بعد رفع المسيح . إلا ما يهمنا هنا شيئان .

١} موعد الصيام: حيث لم تذكر الأناجيل الأيام التى ينبغى الصيام فيها .

٢} نوع الصيام: حيث لم يتحدد نوع الصيام وهل هو كصيام اليهود أم مثل صيام المسلمين . لذلك نجد الصيام الذى أقرته الكنائس الأولى واتبعه الأباء الأولون صيام منفرد بذاته ليس باليهودية وليس بالإسلام، ومن المنطلق اللغوى فإن حكمة صوم معناها الإنقطاع كقول مريم العذراء ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٦] .

والمعنى واضح أن الصوم هو الأنقطاع عن فعل الشيئ فالصوم عن الكلام هو الانقطاع عن الكلام، والصوم عن الأكل هو الأنقطاع عن الأكل. والصوم عن الشرب هو الأنقطاع عن الشرب، وهكذا .

فالإنجيل لم يحدد طريقة الصوم . وإنما كما سبق القول هو من حدده التاريخ الأول لكنيسه وهو الأكل والشرب عدا أشياء معينه وكما يقال الصوم عن أكل اللحوم والطيور أو السمك أو شرب اللبن أو الزبد ولا أدرى من اختار ذلك ولم يرد أى نص يقول

(١) مرقس: ٢: ١٨ ـ ١٩ .

(٢) لوقا: ٥: ٣٣ /٣٥ .

بهذا . وما جدوى الصيام إذا كان هناك من الأطعمة ما هو مباح وان شرب الماء مباح وسؤالى إلى الدكتور منيس: أالله أمركم بهذا أو المسيح أمر بذلك فكانت فريضة . أم هى من إختراع الأباء الأولين فأنتم على آثارهم مهتدون .

وليس هذا فقط، بل تحول صوم المسيح الذى أقره فى العهد الجديد إلى ستة أنواع من الصوم .

١} الصوم المقدس: وعدد أيامه خمس وخمسون يوماً هى عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها المسيح مضافاً اليها أسبوع الاستعداد ـ أى الأسبوع السابق على الصوم، وأسبوع الآلام وفيه يمتنع عن أكل الحيوان أو ما يتولد منه، أو ما سيخرج من أصله ويقتصر على أكل البقول .

٢} صوم الميلاد: وعدد أيامه ثلاث وأربعون يوماً ينتهى فى عيد الميلاد .

٣} صوم الرسل: وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها فى المجامع المسكونية .

٤} صوم السيدة العذراء: ومدته {١٥} يوماً يبدأ من أول شهر .

٥} صوم أهل نينوى: مدته ثلاثة أيام يبدأ الأثنين وينتهى الأربعاء .

٦} صوم البرامون: ومعناه الاستعداد ويقع قبل عيد الميلاد .

والسؤال هنا أأمر المسيح بهذا الصيام أو حتى فعله أو أمر به الحواريين أم نعود لنقول أنها إضافات ككل الإضافات التى أضيفت على هذا الدين وحتى تكون ديانة مستقلة عن اليهودية ؟ .

ثالثاً: عشاء الرب

لم يتكلم إلا إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، ولم يذكره إنجيل متى أو يوحنا، ولعلى أتساءل كيف بهذا الفرض التعبدى ألا يذكر فى الأربعة أناجيل، إلا إننا نذهب إلى إنجيل مرقس والذى جعل عشاء الرب فى عشاء الفصح فيقول مرقس: {قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضى ونعد لتأكل الفصح؟ فأرسل أثنين من تلاميذه وقال لهما: اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسان حامل جرّة ماء . اتبعاه، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت . إن

المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى؟ فهو يريكما علّيه كبيرة مفروشة معدّة . هناك أعدّا لنا . ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر .

ثم يمضى المسيح فى سرد قصة التاميذ الذى سيسلمه {يهوذا} .

إلا أن المسيح بعد سرد هذه القصة بدأ فى وضع ما يسمى بطقوس عشاء الرب أثناء عشاء الفصح . فيقول إنجيل مرقس . {وفيما يأكلون . أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدى، ثم اخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم . وقال لهم: هذا هو دمى الذى للعهد الجديد، الذى يسفك من أجل كثيرين[1] .

وعلى نفس المنوال تقريباً قص إنجيل لوقا نفس القصة مع بعض الأختلافات التى تعودنا عليها بين الأناجيل فى تناولها الموضوع واحد .

فإذا ذهبنا إلى بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس فيقول فى الأصحاح ١١ العدد ١٧ ـ يقول بولس: {ولكننى إذ أوصى بهذا، لست أمدح كونكم تجتمعون ليس للأفضل، بل للأردء . لأنى أولاً حين تجتمعون فى الكنيسة، أسمع أن بينكم انشقاقات . واصدق بعض التصديق . لأنه لابد أن يكون بينكم بدع أيضاً، ليكون المزكون ظاهرين بينكم . فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب . لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه فى الأكل، فالواحد يجوع والآخر يسكر . أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا؟ أم تستهينون بكنيسة الله، وتجلون الذين ليس لهم؟ ماذا أقول لكم؟ أأمدحكم على هذا؟ لست أمدحكم، لأننى تسلّمت من الرب ما سلّمتكم أيضا .

إن الرب يسوع فى الليله التى أُسلم فيها، أخذ خبزا وشكر فكسّر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم: اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس بعد ما تعشّوا، قائلاً: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى . فإنكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تُخبزون بموت الرب إلى أن يجئ إذا أى من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل

---

(١) مرقس: ١٤: ٢٢ ـ ٢٤ .

ويشرب بدون إستحقاق يأكل ويشرب دينونه لنفسه، غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون . ولكن إذ قد حُكم علينا، نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم . إذا يا إخوتى، حين تجتمعون للأكل أنتظروا بعضكم بعضاً . إن كان أحد يجوع فليأكل فى البيت كى لا تجتمعوا للدينونة، وأما الأمور الباقية فعندما أجئ أرتبها[1]

تعقيب:

هذه هى نصوص الكتاب المقدس وعند تحليل هذه النصوص سنجد أن المسيح عليه السلام لم يتكلم عن عشاء الرب كأحد الطقوس الواجب اتباعها والدليل على ذلك أن هذا العشاء الربانى لم يذكر إلا فى إنجيلى مرقس ولوقا، وأعتقد أن طقس العشاء الربانى قد أهمل بعد ذلك أو تحول إلى ما ذكره بولس فى رسالته فى محاولة لحمايته من الفوضى من تحويله إلى طعام عادى .

إن شارل جنيز فى كتابه المسيحية نشأتها وتطورها يقول: إن العالم اليونانى ـ الرومانى فى العهد الذى استقلت فيه المسيحية كدين بانفصالها عن اليهودية، كان يرفض الديانات التى لا تصاحبها الطقوس والاحتفالات . كذلك لم يكن الناس فى هذا العالم اليونانى ـ الرومانى يتصورون أن لا ينتظم الإيمان المسيحى ـ وهو الذى يزعم أنه وحى منزل ـ فى فروض ميتا فيزيقية تعرف بالعقائد {دوجما} . لذلك سلكت المسيحية فى القرنين الأول والثانى تنظيمات خاصة بحياتها العملية . لهذا كانت طقوس العشاء الربانى شعيرة ضرورية قالت بها بعض الفرق دون البعض، فطائفة البرتوستانت تعارض وتنفى هذه الشعيرة، بل وتتهكم عليها وتقول: كيف يتحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه، والمسيح واحد، وقطع الخبز التى توزع على الناس عددها لا يحصى وكذلك قطرات الخمر فعلى هذا يكون المسيح ملايين المسحاء، إن المسيح فعل ذلك مع تلاميذه لمجرد الذكرى فقط، لكن ليس مطلوباً عملها بعده .

---

(١) من رساله بولس إلى الكنيسه كورنثوس .

١٠} مجمع أنطاكية ٣٣٠م

بدأ الجدل اللاهوتى حول طبيعة الأقنوم الثانى هل هو من نفس الجوهر أو جزء منه {الهوموسية}، وتمثل هذا الجدل بين يوسيبيوس القيسارى، ويوستاتيوس أسقف أنطاكية، وحيث أتهم يوستاتيوس يوسيبيوس بالمروق عن قانون الإيمان النيقى، ولحسم هذا الجدال وجّهت الدعوة لعقد مجمع فى أنطاكية أنتهى بإدانة أسقف أنطاكية وعزله، وأسرع الأساقفة إلى الإمبراطور الذى صادق على قرارهم وأقر بنفى يوستاتيوس، وأحرز الأريوسيون أول إنتصار لهم بعد هزيمتهم فى نيقية ٣٢٥م .

١١} مجمع قيسارية ٣٣٣م

قويت شوكة اليوسابيين بعد انتصارهم على يوستاتيوس أسقف أنطاكية . إلا أن شوكة أثناسيوس أسقف الأسكندرية وقفت بالمرصاد لليوسابيون، الذين حاولوا تأليب الأساقفة وقسطنطين ضد ثناسيوس وساعد تعالى أثناسيوس على الأساقفة وسلوكه معهم على ذلك وتم عقد المجمع فى قيسارية بحضور الأساقفة إلا أن أثناسيوس رفض الحضور

١٢} مجمع صور ٣٣٥م

ويعد تكملة لمجمع قيسارية، وحيث كثر الجدل بين فريق اليوسابيين أنصار آريوس وثناسيوس فاستبد الغضب بالإمبراطور وأمر بعقد مجمع كنسى بمدينة صور وأرسل الكونت ديونيسيوس نائباً عنه للحفاظ على الضبط والربط وأمر أثناسيوس بالذهاب إلى المجمع مخاطباً إياه برسائل هدده فيها إن لم يمتثل لأوامره . وفى المجمع كان خصوم اثناسيوس هم قضاته، وأحاطت به كل الإتهامات السابقه بجانب عزله لبعض الأساقفة فى مصر وممن عارضوه فى الرأى وأثاروا الشكوك حول شرعية وسامته . وحاول أثناسيوس الدفاع عن نفسه ورد الأباطيل، إلا أن الحضور قد أجمعوا عليه وطالبوا بعزله، وحاول بعض أساقفة مصر الاحتجاج على عزله فلم يجدوا سبيلاً لذلك، وأصدر المجمع القرار بإدانة اثناسيوس وعزله من أسقفيته وحرمانه من الإقامة فى الإسكندرية، وإعادة الأساقفة الذين تم عزلهم من قبله . ويقال أن الأسباب التى قدمت لعزل اثناسيوس لم تكن أسباباً عقيدته، على الرغم أن الجدل بين الفريقين كانت حول {الكلمة} وعلاقتها {بالآب} كانت هى الأساس أولاً .

١٣} مجمع أورشليم ٣٣٥م

انتهز قسطنطين وجود الأساقفة فى صور وأرسل إليهم يدعوهم إلى الذهاب إلى أورشليم لتدشين الكنيسة التى أقامها هناك، وللمشاركة فى إحتفال بعيده الثلاثين لجلوسه على العرش، وبعث برسالة إلى آريوس يدعوه للذهاب إلى أورشليم، وبعث إلى الأساقفة يخبرهم أنه قبل من آريوس وثيقة إيمانه وطلب منهم قبول هذه الوثيقة، وكان الجميع أصلاً من مؤيدى آريوس، فأصدروا على الفور قرارهم بقبولهم فى الكنيسة وعودته إلى الإسكندرية وقبول آريوس وأنصاره فى كافة الأمصار .

تعقيب:

نرى قسطنطين الذى رفض آريوس مع كثير من الأساقفة واعتبروه هرطوقاً فى مجمع نيقية ٣٢٥م . قد أعاده قسطنطين مرة أخرى مع الأساقفة وقبلوا وثيقة إيمانه وأعادوه إلى كنيسة فى مجمع أورشليم ٣٣٥م . إذن المسألة بالنسبه للإمبراطور ليست مسأله عقيدته، بل هى سياسة من الدرجة الأولى، أما عن وضع الأساقفة فهو تطبيق المثل القائل وحرفياً{الناس على دين ملوكهم} ، فهل يعى الدكتور منيس الانتقال من الضدّ للضدّ فى مسائل عقيدته بالدرجة الأولى ؟ .

١٤} مجمع القسطنطينية ٣٣٨م

أى بعد ثلاث سنوات من مجمع أورشليم حيث نعود مرة أخرى إلى أثناسيوس وحيث بعث قسطنطين برسالة إلى الأساقفة فى أورشليم دعاهم للتوجه إلى القسطنطينية لبحث قضية أثناسيوس بنوع من التفصيل فى وجود الإمبراطور، حيث نجح أثناسيوس فى الحصول على الإذن بلقاء الامبراطور . ونظراً لأن هؤلاء الأساقفة كانوا على علم أنهم فى معركة فاصلة مع أثناسيوس فلم يدخلوا معه فى مناقشة، بل ألقوا أمام الإمبراطور بياناً مفصلاً عما تم إتخاذه فى مجمع صور ٣٣٥م، وأعادوا كل الاتهامات والتى تمت إدانة أثناسيوس على أساسها وأبرزوا فى بيانهم النقاط التى تمس شخص الإمبراطور، حتى رفض إثناسيوس إرسال القمح من الإسكندرية إلى القسطنطينية، وحيث أصدر الإمبراطور قراره بنفى إثناسيوس إلى غالة .

إلا أنه بعد وفاة آريوس المفاجأة رفع شعب الإسكندرية طلبه وشكواه إلى الإمبراطور طالباً عودة إثناسيوس . إلا أن الإمبراطور لم يلق بالاً إلى هذا

١٥} مجمع الإسكندرية ٣٣٨م / ٣٣٩م

تعاطف قسطنطين الثانى مع قضية أثناسيوس ويبدو ذلك فى رسالة له إلى الكنيسة فى الإسكندرية ويقول فيها: {من قسطنطين القيصر إلى شعب الكنيسة الكاثوليكية السكندرى، إننى أدرك تماماً أن أفئدتكم التقية الورعة، لم تنس أن اثناسيوس شارح القانون الأعظم، قد أرسل لزمن إلى غالة خشية أن يكابد ضرار يرمونه بها خصوم طبعت على الزيغ نفوسهم، واغتسلت بالدماء الأيادى .

وهذه الرسالة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن قسطنطين الأول كان قد قرر إعادة أثناسيوس إلى أسقفيته بالاسكندرية إلا أنه قد مات، وعلى ذلك صدر قرار قسطنطين الثانى بعودة أثناسيوس إلى الاسكندرية وحيث دعا إلى عقد مجمع فى محاولة للتصدى لآراء الآريوسيين التى تهدف إلى التخلص منه، ونظراً لمعرفة الأساقفة لميل قسطنطين الثانى إلى أثناسيوس من خلال رسالته ووصف الآريوسيين بالزيغ، فقد وقف أساقفة الإسكندرية مع اثناسيوس، وتم التصديق على قرارات مجمع صور، وأعلن تبرئة أثناسيوس من كل ما نسب إليه .

تعقيب:

ألم أقل للقارئ أن العقيدة المسيحية كانت تتماشى مع ما يراه الإمبراطور وأن الرأى يتحول إلى الضد فى فترات وجيزة والعقيدة تتغير من حال إلى حال ربما من خلال سنة واحدة .

١٦} مجمع أنطاكية ٣٣٨م ـ ٣٣٩م

وقد عقد فى نفس العام الذى عقد فيه مجمع الإسكندرية وفيه أن الآريوسيون فى الإسكندرية لم يكونوا على استعداد لقبول عوده اثناسيوس إلى الإسكندرية ثانية مما أدى إلى حدوث صدام بين أنصار أثناسيوس وأنصار الآريوسيين، وراح أنصار أثناسيوس يتحججون بأن أثناسيوس قد تم عزله بقرار مجمع صور، ولا يحق له أعتلاء كرس

الأسقفية من جديد إلا بانعقاد مجمع كنسى آخر ولذلك يصبح قرار ... سطة بإعاد أثناسيوس باطلاً .

هذا بجانب أنهم أذاعوا أنه قام ببيع كمية القمح والتى أمر بها الإمبراطور أن توزع سنوياً على الأرامل فى مصر وليبيا وأستغل أرباحها لمنفعته ثم كتبوا ذلك للإمبراطور قسطنطيوس الذى وجه اللوم والإدانة لأثناسيوس .

وتلاقت بعد ذلك سياسة الآريوسيين مع اليبوسيين مع سياسة الإمبراطور قسطنطيوس . فى الوقت الذى أدركوا فيه مدى الصداقة التى تربط بين أثناسيوس وأساقفة النصف الغربى من الإمبراطورية، مما جعلهم يتوقعوا أن أى إجراء عنيف وفجائى يتخذ ضد أثناسيوس سوف يثير غضب الغرب لذا فقد سعوا لضم الأساقفة جميعاً إلى صفوفهم فبعثوا إلى كل الكنائس رسائل تحتوى على الإتهامات التى وجّهوها ضد أثناسيوس بما فى ذلك عودته إلى كرسى الإسكندرية بطريقة غير شرعية . وكان فيما أوصوا بهم رسلهم أن يطلبوا إلى يوليوس أسقف روما أن يدعو إلى عقد مجمع كنسى يضم أطراف النزاع ليفصل بينهم، وأنهم يدعونه بسرور أن يتفضل هو برئاسة هذا المجمع إلا أن هذا المخطط تسرّب إلى اثناسيوس فى الاسكندرية والذى أحس أن خصومه يسعون إلى عزله عن بيعته وعن العالم المسيحى وهو نفس الأسلوب الذى اتبعه خصومه السابقين عام ٣٣٣ وفى مجمع قيسارية وصور، لذلك عزم على أن يحارب خصومه بنفس السلاح . فدعا أساقفة بيعته إلى مجمع عام فى شتاء ٣٣٨ /٣٣٩ وكان عدد الحضور مائة أسقف وكتب هذا المجمع رسالة رداً على رسائل خصومه .

وفى ديسمبر ٣٣٨م كان الإمبراطور قسطنطيوس فى أنطاكية يجهز جيشه لحربه مع الفرس، ووجدها اليوسابيون فرصة سانحة، حيث عقدوا مجمعاً تحت رئاسة الإمبراطور جددوا فيه قرارهم بعزل أثناسيوس، واعتبار كرسى الإسكندرية شاغراً، مؤكدين أن عودة أثناسيوس من منفاه قد أدت إلى وقوع أضطرابات وفتن فى مصر وفلسطين !

ثم وقع إختيارهم على أسقف حمص لكنه رفض، ثم اختاروا جريجورى وصدق عليها الإمبراطور .

تعقيب:

يرى القارئ مدى الصراع العنيف بين طائفتين وهذه المرة كان الصراع ليس صراعاً عقائدياً . بل هو صراع شبه سياسى ! ومن يحظى من الطائفتين بكرسى الإسكندرية أو من يجعل الإمبراطور إلى جانبه حتى ينتصر على الآخر فيكون كرسى الإسكندرية من نصيبه وليصبح أسقفاً للإسكندرية .

١٧} مجمع روما ٣٤٠م

على مدى شهر إلا قليل أصبح كرسى الإسكندرية يحمله إسقفين حتى هرب أثناسيوس فى ١٦ إبريل ٣٣٩م متجهاً إلى روما، وبعث يوليوس أسقف روما على الأريوسيين الدعوة إلى عقد مجمع فى روما للبت فى نزاع الفريقين، إلا أن اليبوسيين شجبوا فكرة المجمع، ولأن أساقفة الشرق أدركوا أنهم فى الغرب سيجدون أغلبية تناصر أثناسيوس خاصة وهو بينهم وأن هناك الأساقفة الذين طردوا من كراسيهم والذين توافدوا على روما، مما أكد أن اليبوسيين لن تكون هناك فرصة أمامهم خاصة أن إمبراطور الغرب كان يتجه نحو العقيدة النيقية وأتباعها، لذلك قدّم اليوسيبيويون اعتذارهم عن عدم قدرتهم على إجابة دعوة أسقف روما، بدعوى أن جيش الشرق يحارب الفرس، والإمبراطور بهذه الحرب مشغول والواجب يدفعهم أن يقفوا إلى جواره فى هذه الظروف . ووضعوا السياسة مطية للوصول إلى الدين ومضى اليوسيبيون يستجمعون القوى لتدعيم مركزهم ويبحثون عن طرق أخرى تجاه الغرب بعد أن فشلت سياسة الترضية، ولم يجدوا سوى الإتجاه لسياسة الشدّة التى تمثلت فى رسالة عنيفة بعثوا بها إلى يوليوس أسقف روما ولم يحفظ لنا التاريخ إلا شذرات منها ما تمثل فى رد يوليوس عليها وهو ما أورده المؤرخ {سوزومنوس} حيث جاء فيها: {مع تقديرهم لروما ومكانتها المرموقة باعتبارها مدرسة الرسل وقصبة الرسل منذ بدايتها، إلا أنه لا يخفى على أسقفها أن العقيدة التى تدين بها روما جاءت من الشرق، وهم لا يتقبلون أبداً بالمرتبة الثانية، فهم أهل الفضيلة يفوقون بها الرومان، ومن ثم للأساقفة سلطان، وليس لأحد أن يتعالى دون الآخرين ويتباهى بقدر مدينة هو قاطنها، فكيف إذن يستبيح يوليوس لنفسه حتى دعوة الأخوة إلى مدينته لمجمع يترأسه ويقيم من نفسه بين الخصوم قاضياً وباسم من يتحدث؟ وباسمه وحده. أم نيابة عن الآخرين؟ ومن الذى خوّله الحديث عن هؤلاء؟ ثم أضاف

اليوباسيون يدفعون بأن المجامع الكنسية لها سلطة لا يمكن لأحد أن ينقضها أو يخرج عنها، ولهذا فليس ليوليوس أسقف روما أن يشجب قرارات أصدرها الأساقفة فى صور ٣٣٥م بشأن أثناسيوس وإستمرت عملية الشد والجذب بين روما والإسكندرية إلا أنه فى خريف ٣٤٠م التأم عقد الأساقفة فى روما وتحت رئاسة يوليوس، ولمناقشة الإتهامات الموجهة لأثناسيوس، وقد بحث الأساقفة التقارير الواردد من الشرق ضد أثناسيوس بما فى ذلك تقرير لجنة مريوط، وثم دراسة الدفاعات التى قدمها أثناسيوس وفى النهاية أصدر المجمع قراره بتبرئة أثناسيوس من كل التهم الموجهة إليه ! !

١٨} مجمع أنطاكية ٣٤١م

وهو ما عرف باسم {مجمع التدشين}

وذلك عند تسلم اليوسابيين رسالة يوليوس والتى تحوى على إتهامات عنيفة لهم، فأجمعوا أمرهم وانتهزوا فرصة الانتهاء من بناء الكنيسة الذهبية أو المثمنة وذلك فى عهد قسطنطيوس وبعد أن بدأ فى بنائها والده قسطنطين وفى حفل الأفتتاح ٣٤١م لم يكن من بين الحضور أسقف واحد من الغرب ولم يشارك يوليوس أسقف روما ولا أحد من رجاله، وفى حضرة إمبراطور الشرق قسطنطيوس عقد مجمع التدشين، وحيث يخبرنا سقراط المؤرخ بأن يوسيبيوس النيقوميدى أسقف القسطنطينيه كان هو الباعث الأساسى وراء هذا المجمع وكان هدفه الرئيسى هو الإحاطة بالعقيدة {الهوموسية} وهى مساواة الأب بالإبن، ويعتبر هذا المجمع هو الرد على مجمع روما ٣٤٠م ورسالة يوليوس الأسقف إلا أن مجمع التدشين هذا يعتبر نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الأريوسية حيث يمثل بداية الإتجاهات المضادة خاصة من الاتجاهات النيقية إلا أن كل هذه الصراعات بين الآريوسية والنيقية لا تبدو بهذا التعقيد، فهى لا تعنى نبذ العقيدة الأريوسية، لأن أساقفة الشرق وعلى رأسهم آريوس، كانوا أبناء مدرسة واحدة هى المدرسة الأنطاكية لتفسير الكتاب المقدس، وكانوا يتبعون أستاذاً واحداً هو {لوقيانوس} المتوفى ٣١٢م وتشربوا منه فكره وفلسفته، إلا أن الفريق الآريوسى وبذكاء أدرك أن مصطلح الأريوسية التى أطلقها عليها خصومه أصبح لا تعنى عندهم سوى بدعة أو هرطقة أطلقها الآباء فى مجمع نيقية ٣٢٥م، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يحققوا أى أنتصار لعقيدتهم، ولا داعى للأستمرار فى التخلى عن هذا المصطلح الذى يستفز الكنيسة، وهم لن يخسروا شيأ

بهذا، بل على العكس ربما ينضم إليهم بعضاً من أساقفة الغرب الذين لا يفهمون اسرار الجدل اللاهوتى بين الشرق والغرب ونلاحظ ذلك فى المرسوم الذى صدر وكانت المراوغة فى مقدمة هذا المرسوم، بل إن بقية المرسوم تكاد تنطق بما جاء فى الوثيقة التى قدمها آريوس وصديقه يوزيوس إلى قسطنطين ٣٢٨ وبعد عودتهما من المنفى وحيث يقول المؤرخ سقراط فى هذا: لم يكن هدفهم إدانة العقيدة النيقية، بل سعياً لإقرار العقيدة الآريوسية وحيث أن المرسوم الأول فشل فى أن يفرض نفسه فذهب البعض إلى إصدار مرسوم جديد وضعوا فيه رؤيا لوقيانوس الأنطاكى حتى انه حمل اسمه فسمّى {المرسوم اللوقيانى} .

فيقول المرسوم: {نؤمن باله واحد . الآب القدير، خالق العالم، وبرب واحد . يسوع المسيح، الابن، الإله المولود الوحيد، كل شيئ به كان، ولو من الآب قبل كل الدهور . إله من إله . كل من كل . وحيد من واحد . الكلمة المتجسدة . الحكمة . الحياة . الصورة غير المتغيره للأب . فى البدء كان عند الله . وكان الكلمة الله، كما علم الإنجيل يوحنا {١/١} . نزل فى آخر الزمان، وولد من العذراء حسب الكتاب المقدس وصار جسداً، وسيطاً بين الله والناس، رسول إيماننا فقد قال: لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى {يوحنا ٣٨/٦} . الذى من أجلنا قاس . ولأجلنا قام ثانية فى اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب، وسوف يأتى بالمجد والسلطان ليدين الأحياء والأموات . {ونؤمن} بالروح القدس .

ولأن واضعى هذا المرسوم تعمدوا إغفال مصطلح {الهوموسية} أو مساواة الابن بالأب فى الجوهر كما أن عبارة {الصورة غير المتغيرة للأب} تعنى بلا شك أنه ليس هناك تغير فى الجوهر بين الابن والاب وانهما متساويان منطقيا فى الجوهر إلا أنهم كانوا لا يعنون بها أكثر من الشبه فقط وليس المساواة .

لذلك كان هذا المرسوم غير كاف لشجب الأريوسية .

ودارت صراعات طويلة حول هذا المرسوم، وجاء موت يوسيبيوس خسارة فادحة لفريقه فى الوقت الذى كان {قنسطانز} هو سيد القسم الغربى من الإمبراطورية والمسئول عن حماية النيقية فى بلاده وفى إقليم أخيه قسطنطيوس وكان الإثنان على علم بهذه الصراعات، إلا أن الجبهة الفارسية جعلت قسطنطيوس لا يتردد فى تلبية رغبة أخيه

في إرسال ثلاثة أساقفة ليعرف الدوافع وراء الإصرار على عزل أثناسيوس وعلى ذلك فقد إلتقى عدد من الأساقفة ثانية بعد عدة أشهر من مجمع التدشين للإتفاق على صيغة جديدة للإيمان وتم إصدار مرسوم جديد عرف بالمرسوم الأنطاكي الرابع والذى يقول: {نؤمن باله واحد . الأب القدير . خالق كل شيئ والصانع . الذى منه تسمى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض . وبابنه المولود الوحيد، ربنا يسوع المسيح الذى ولد من الأب قبل كل الدهور .

إله من إله . نور من نور . كل شيئ به كان . في السماء وعلى الأرض، ما يرى ومالا يرى . الكلمة . الحكمة . القوة . الحياة . نور الحق . الذى من أجلنا في آخر الزمان صار جسداً، وولد من مريم العذراء، وصلب ومات وقبر وقام ثانية في اليوم الثالث من بين الأموات . ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب . وسوف يأتي في نهاية العالم ليدين الأحياء والأموات وليجزى كل بما عمل . أما أولئك الذين يقولون أن الابن من العدم، أو من مادة أخرى وليس من الأب جاء، وأن هناك زمان الابن لم يكن . فهم في عرف الكنيسة الجامعة مارقون} .

جاء المرسوم الأنطاكي الرابع ليزيد المشكلة تعقيدا حيث لم يقبل أساقفة الشرق عودة أثناسيوس ورفاقه العودة إلى كنائسهم وأصبحت المشكلة في إطارها العام خلافاً واقع بين رجال الدين في الشرق والغرب .

تعقيب:

ومرة أخرى نجد الصراعات العقيدية في أقنوم الإبن وخروج مراسيم وقوانين إيمان وكل فريق يكفّر الفريق الأخر ويتهمه بالهرطقة وهل المسيح مشابه للأب في الجوهر أو غير منبثق، وبالطبع المسيح لم يقل شيئاً بهذا الخصوص، بل هي فلسفات خرجت من الأباء الأولين إقتباساً من الديانات السابقة على المسيحية وكما يعلم تماماً الدكتور مينس وكما جاء ذلك في الديانة البرهامية وهي أقدم الديانات الوضعية والتي وضعت الثالوث وكما قيل في الديانة البوذية وعدة ديانات انتهت بفلسفات أفلاطون، ويقول عن ذلك القس {بولس إلياس } في كتابه {يسوع المسيح} : لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي .

والسؤال الذى يحيرنى فى قولهم أن المسيح تجسد، فهل التجسد كان كإله أم إنسان وإذا كان الإله خلق إله آخر ثم تجسد هذا الإله أو انبثق الإله من الإله، أو أصبح الإله مساوياً للإله، فهل يتجسد الإله، {المسيح} من العذراء مريم ليكون طفلا ثم ولداً ثم شاباً، وهل عرف النصارى ما هو جوهر الإله الخالق ليعقدوا مقارنة مع الإله هذا المنبثق منه والمساوى فى الجوهر . إنهم عرفوا المسيح جسداً فى طفولته وشبابه . فكيف يؤكدوا أن هذا الجسد كان إله قبل كل الدهور أو حتى إبناً للإله قبل كل الدهور ثم وُلد من مريم ليصلب لتخليص البشر من أخطاء او من خطأ آدم ألم يكن من الأحرى أن يعاقب آدم على خطأه . وهل يعقل أن يتحمل المسيح الذى هو إله ثان أو ابن إله وزر ما فعله آدم بعد آلاف السنين ومرور عشرات الأنبياء بين آدم والمسيح، وعشرات الأسئلة تطرح نفسها بلا إجابة . مثال ذلك ما قاله صاحب كتاب {تاريخ الأقباط} عن الثالوث: {تفوق الإدراك البشرى الذى لا يفهم إلا أن الطبيعة الواحده إنما تتضمن أقنوماً واحداً . أى ذاتاً واحدة وإن تعدد الاقانيم أو الذات إنما يستوجب تعدد الطبائع .

وإننى أقول فى هذا إذا كانت هذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى كما يقولون، فأى عقل بشرى جبار اكتشف هذه الحقيقة، وكان لابد ممن يكتشف ذلك أن يفسر هذا حتى لا يقع أى مسيحى تحت نظرية الشك فى عقيدته .

وحتى القس توفيق جيد فى كتابه {سر الأزل} يقول: إن الثالوث سرّ يصعب فهمه وادراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها فى كفّه ؟ وكذلك يقول باسيليوس إسحاق فى كتابه {الحق} : إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله !! والكلام كثير لا يفهمه حتى علماء النصارى ومثال ذلك ما قاله الأب زكى شنوده وتحت عنوان {خلاصة العقيدة القبطية} وفى محاولة منه لتوضيح مفهوم الأقانيم: { قد فهمنا من كلام السيد المسيح الذى رفعنا بمعجزاته إلى الإيمان بألوهيته ـ أنبياء كثيرة كان لهم معجزات من إبراهيم إلى موسى ولم يؤمن أحد أنهم آلهه ـ أن الأقانيم الثلاثة الذين فى الله وإن إتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً، وصاروا واحداً، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث

الأقنومية[1]، فالآب ليس هو الإبن، والروح القدس ليس هو الأب ولا الابن، غير أن لكل ما للأخرين من الألقاب والصفات الإلهية، وكل ما ينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد، ذلك لأن الطبيعة واحده، ولأن الأقانيم الثلاثة هم واحد دون تعدد أو تركيب أو تأليف، وإلا كان في الذات العلية ثلاثة آلهة وذلك ما تنكره المسيحية، لأنها تؤمن بالإله الواحد الوحيد} .

وأنني أسال الدكتور مينس ما هذه الألغاز، وما معنى أن المسيحية تؤمن بإله واحد وحيد؟ . وغالبية القوانين والمراسيم تقول نصاً {إله من إله} . وهل الله ﷻ يا دكتور منيس يحتاج لكل هذه الألغاز والفلسفات ليعلن عن نفسه، فماذا عن ديننا وماذا يقول؟ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:١/ ٤] . آيات بسيطة ميسرة يخبر بها الناس يدركها ويفهمها العالم والأمى . دون الغاز ودون فلسفات سقيمة لا يستطيع حتى علماء النصارى أن يفسروها .

وحتى مرسوم {سيرميوم} فيقول: أن كلمة جوهر هى فى الواقع السبب المباشر وراء كل هذا الخلاف العقيدى الذى خيّم على الكنيسه، وأصدروا بناء على ذلك مرسوماً عرف بمرسوم {سيرميوم} الثانى والذى أطلق عليه من قبل الكنيسة بمرسوم التجديف والكفر، وحيث يقول المرسوم فى محتوى معناه الإنكار الكامل لألوهية الابن وتبعية الابن للأب شأن كل الخلائق وهذا نص المرسوم:

لما كان البعض قد إضطرب فكره بمسائل تدور حول ما يسمى المساواة فى الجوهر أو التشابه فى الجوهر . كان من الواجب أن لا يذكر شيئاً من هذا على الأطلاق، وأن لا يعرض فى الكنيسه ذلك أن الكتاب المقدس لم يحدّث البتة عن أى منها، فتلك أمور تفوق البشر وفوق إدراك الناس، لأن أحداً لا يستطيع أن يوضح ولادة الابن، والأب وحده يعلم كيف ولد الابن، والابن يعلم، ولا أحد يشك فى أن الأب أعظم من الابن فى المجد والكرامة والألوهية، والابن نفسه قال: {أى الذى أعظم منى} يوحنا ٢٨/١٤ .

وهذا ما دفع أسقف {بواتييه} أن يعلن: حقاً أنه لشين يرثى له وأثيم، أن

(١) الأقنوم: كلمة سريانية الأصل معناها الشخص الكائن المستقل بذاته، وجمعها أقانيم .

نرى عديداً من قوانين الإيمان بين الناس، عقائد كالأهواء ومنابع الكفران والتجديف مائلة حول حلول الخطايا فينا، نضع مراسيم الإيمان بهوس، ونفسرها بعصبية، تارة نرفض {الهوموسية} وتارة أخرى نرضى عنها ثم تتناولها من هنا وهناك أيدى المجامع، والتشابه الكامل أو الجزئ بين الأب والابن، موضوع الجدال لزمان غير سعيد، فى كل عام بل على ما فعلنا، وندافع عن الذين تابوا، ثم نلعن الذين من قبلهم عنهم دافعنا أو ندين عقائد الآخرين ونمزق هذا أو ذلك وتقطعه إربا، ولدينا على الدوام جحيما .

١٩} مجمع سرديكا ٣٤٣م

بعد مجمع روما ٣٤٠م أدرك يوليوس ومعه أساقفة الغرب أن المنازعات بين أساقفة الشرق والغرب تأخذ إتجاه الإنشقاق، وأن مجمعاً عاماً سيؤدى إلى رأب الصدع وإضفاء صفة الشرعية على قرارات مجمع روما التى اتخذها ويلزم كنائس الشرق بالإلتزام بها، وكذلك السماح لأثناسيوس ورفاقه بالعوده إلى كنائسهم، وبناء على ذلك ألح يوليوس وأساقفته على قنسطانز إمبراطور الغرب على عقد مجمع عام يضم أساقفة الشرق والغرب لإقرار أمر العقيدة والنظر فى قضية أثناسيوس ورفاقه، وأرسل قنسطانز على الفور إلى أخيه قسطنطيوس فوافق دون تردد وعلى أن تكون سرديكا هى ملتقى الأساقفة وفى خريف ٣٤٣م إجتمع أساقفة الشرق والغرب . إلا أن أساقفة الشرق تصدوا لأساقفة الغرب محتجين بأنه لا يحق لأثناسيوس ورفاقه حضور هذا المجمع أو المشاركة فيه وحيث تم عزلهم من قبل ولم يصدر العفو عنهم . إلا أن أساقفة الغرب أصّروا على ضرورة بقاء اثناسيوس ورفاقه لأن مجمع روما برأ ساحتهم ٣٤٠م، وهم على استعداد ثانية للدفاع عن أنفسهم أمام أساقفة المجمع جميعاً، ولا مانع من أن يتقدم أساقفة الشرق بإتهاماتهم التى تدينهم، وليتم نظر القضيه مرة أخرى أمام الجميع . وبلغت رغبة أساقفة الغرب وعلى رأسهم هوسيوس فى نجاح هذا المجمع حتى أنه أعطى لأساقفه الشرق موثقا بموافقه أثناسيوس، انه فى حالة إدانة المجمع له فسوف تخرجه الكنيسة الجامعة فور هذه الإدانه، أما إذا أقر المجمع براءته ورفض أساقفه الشرق هذه البراءه فسوف يسعى هوسيوس أن يرسله إلى أسبانيا . إلا أن هذه الجهود ذهبت سدى أمام إصرار أساقفه الشرق، وتحول ذلك إلى صراع حقيقى حول سلطة المجامع وشرعية

قراراتها وأنه ليس من حق أساقفه الغرب الخوض فى جدال هو من صميم الشرق ويعطى شرعية قراره على أى قرار يتخذ من أساقفه الغرب فى هذا الموضوع، وإنتهى هذا المجمع بإنسحاب أساقفة الشرق من هذا المجمع والعوده الى ديارهم .

٢٠} مجمع فيليبوبوليس ٣٤٣م

ويعتبر الجزء الثانى من مجمع سرديكا وقد عقده أساقفة الشرق فيما بينهم وحيث أقروا من جديد إدانتهم لإثناسيوس ورفاقه، بل أضافوا قراراً وعزل يوليوس أسقف روما لأنه أول من إحتوى الفارين وفتح لهم بابه وأصدر قراراً بعودتهم إلى كنائسهم وكذلك إدانة هوسيوس الذى شارك يوليوس موقفه . وتم كتابة هذا فى رسالة بعثوا بها إلى عموم الأساقفة وحيث طلبوا منهم عدم دخولهم فى شركة مع هؤلاء الأساقفة، وألا يكاتبوهم وأن يؤمنوا بالعقيدة الأريوسية وبالمرسوم الأنطاكى الرابع وقد جاء فى نهاية هذه الرسالة {كل من يقول بآلهة ثلاثة، أو أن المسيح ليس إلهاً، وأنه قبل كل الدهور لم يكن مسيحاً، ولا إبن الله كان، أو أنه نفسه الأب والابن والروح القدس، أو أن الابن بالميلاد عاجز، والأب ولد الابن دون قصد أو إرادة، فليكن من الكنيسة الكاثوليكية أناثيما[1] .

٢١} مجمع سرديكا الثانى

ورداً على مجمع فيليبوبوليس الذى عقده أساقفة الشرق عقد أساقفة الغرب مجمعاً فى سرديكا ترأسه هوسيوس باعتباره أكبر الأعضاء سناً وجاء قرارهم بإدانة انسحاب أساقفة الشرق دون مشاركتهم فى . المجمع، ثم أستمعوا إلى قضية أثناسيوس ورفاقه وسمح لهم بتقديم دفاعهم، ثم أصدروا قرارهم بتبرئة الجميع وإعادتهم إلى كنائسهم، وكما فعل أساقفة الشرق، قرروا إدانه وعزل ثمانية من أساقفة الشرق .

وفى محاولة لبحث مسألة العقيدة أثيرت بعض المقترحات حول بعض الإضافات على العقيدة النيقية، إلا أن هذا الإتجاه وجد معارضة له من جانب أثناسيوس وبعض الحضور . وعلى ذلك ضمن المجمع أعماله كلها فى رسالة عامة بعث بها الى مختلف الأساقفة، ورسالة أخرى تتحدث عن براءة أثناسيوس كتبت إلى كنيسة الأسكندرية وتحثهم على الوفاء لإثناسيوس واستقباله بما يليق به .

---

(١) كلمة يونانية تعنى محروما أو ملعوناً .

وفى كل الحالات تم تبادل قرارات الإتهام والإدانة والعزل بين فريق والفريق الآخر مما حدا بأن التنفيذ هنا يحتاج إلى تدخل السلطات المدنية والممثلة فى الإمبراطور قسطنطيوس والإمبراطور قنسطانز . مع الأخذ فى الإعتبار أن كل منهم يناصر أساقفته .

٢٢} مجمع أنطاكية ٣٤٤م

إنتهز قنسطانز الوضع العسكرى لأخيه قسطنطيوس فى حربه مع الفرس وأرسل إليه خطاباً قال فيه: {إن أثناسيوس وبولس فى حمايتى، وانى لعلى يقين بعد الفحص والتدقيق، أن ما نزل بهما من إضطهاد إنما سببه تقواهما الورع، والآن عاهد نفسك أن تعيدهما ثانية إلى كنيستيهما، ،ان تعاقب هؤلاء الذين أساءوا إليهما دون عدالة، ولسوف أبعث بهما إليك، ولئن رفضت تنفيذ مشيئتى، فكن على يقين أنك ستجدنى هنا عندك لأعيدهما بنفسى رغم أنفك} .

كان هذا تهديداً صريحاً من طرف إمبراطور الغرب لأخيه، وهى رسالة فى صالح النيقية، ولما كان قسطنطيوس قد لقى هزيمة عنيفة على يد جيوش الفرس الحقت خسائر كبيرة بين جنوده فقد وجد نفسه فى حالة إذعان مكره عليه بتنفيذ ما أكره عليه من أخيه . ثم جاء سالينوس مطالباً قسطنطيوس تقديم أسطفانوس الأسقف الأنطاكى ورفاقه إلى محاكمة مدّنية وليس أمام مجمع من الأساقفة ورغم احتجاج الأسقف الأنطاكى على مثل هذه الإجراءات لعدم شرعيتها لأنها تعد سابقة خطيرة فى محاكمة رجل الأكليروس، مما يعطى حقاً للسلطات المدنية تعتبره الكنيسة من صميم اختصاصها، ولم يسع لقسطنطيوس سوى الموافقه فقرر إجراء المحاكمة داخل القصر الإمبراطورى، وانتهى الأمر بعزل إسطفانوس وطرده من أنطاكيا وأعقب ذلك دعوة عدد من أساقفة الشرق للإجتماع فى أنطاكية للتصديق على ما تم بشأن إسطفانوس، وإختيار خلف له .

وفى صيف ٣٤٤١ بدء المجمع جلساته وأصدر قراراته بالموافقة على عزل إسطفانوس

انتهز الأساقفة انعقاد المجمع فى أنطاكية وأصدروا مرسوماً إيمانياً جديداً، أعادوا فيه مرة أخرى صيغة المرسوم الأنطاكى الرابع مع الإضافات التى إضيفت فى مجمع فليليبوبولس وزادوا على تفسيراتهم حتى أطلق عليه المرسوم المطول، ثم تضمن المرسوم

إدانة صريحة مرة أخرى لأحد تلامذة ماركللوس وهو {فوطين} الذى كان . لأسقف أنقرة واعتنق آراء أستاذه وجهد بالقول بأن الابن استمد وجوده من مريم العذراء، وأنه محض إنسان وأنكر وجوده قبل كل الدهور حسب ما تؤمن به الكنيسة الكاثوليكية} .

وفى أغسطس ٣٤٤م كتب إمبراطور الشرق إلى الاسكندرية يأمر برفع الأضطهاد عن أنصار أثناسيوس والذى كان فى ضيافة قنسطانز فقد ظل متردداً فى العودة خشية قسطنطيوس الذى كان يعلم أن جريجورى أسقف الأسكندرية الآريوسى فى حالة احتضار وأراد ألا تحدث فوضى فى الإسكندرية بعد وفاته، فبعث أكثر من رسالة لأثناسيوس . ثم مات جريجورى فى يوليو ٣٤٥م، وحيث بعث قسطنطيوس رسالة أخرى يطالب أثناسيوس بعودة سريعة إلا أن الأخير لم يكلف نفسه بالرد عليه مما زاد الهوة الخفية فى صدر أثناسيوس، غلا أنه أمام كل هذه الرسائل والتعهدات رحل اثناسيوس عائداً إلى الأسكندرية .

٢٣} مجمع أورشليم ٣٤٦م

كان الإمبراطور قسطنطيوس يدرك أن الفريق النيقى فى الاسكندرية قد ينتهز فرصة عودة أثناسيوس إلى بيعته منتصراً فيثير حرباً على الفريق الآريوسى فأراد أن يبادر بوضع حد لذلك، فبعث برسالتين، الأولى إلى شعب الكنيسة فى الاسكندرية والثانية إلى موظفيه فى مصر وليبيا، وبهذا مهد قسطنطيوس عودة هادئة أثناسيوس، وتسلّح أثناسيوس برسائل الإمبراطور حتى وصل إلى فلسطين، والتقى بأسقف أورشليم وأقترح عليه عقد مجمع محلى يضم أساقفة المنطقة، وتم عقد المجمع فى اكتوبر ٣٤٦م، ثم ارتحل أثانيوس فى فلسطين متجها إلى الأسكندرية التى كانت فى إستقباله فى ٢١ اكتوبر ٣٤٦، ودخلها دخول الظافرين .

٢٤} مجمع سيرميوم الأول ٣٤٧م

وفيه ورغم إدانة {فوطين} أسقف سيرميوم لآرائه فى المسيح، وجهره بالقول بان الابن استمد وجوده من مريم العذراء، وأنه مجرد إنسان، وأنكر وجوده قبل كل الدهور، إلا أنه ظل أسقفا لمدينته .

٢٥} مجمع سيرميوم الثانى ٣٥١م

قتل قنسطانز أثناء دفاعه فى جبهة الراين ضد القبائل الجرمانية، وبدهاء محكم استولى قسطنطيوس على باقى الإمبراطورية التى كانت بيد أخيه قنسطانز، وبعث برساله صريحه إلى أثناسيوس أسقف الأسكندرية بالتزام الهدوء والتركيز على أداء الشعائر الكنسية، والتمسك بالسلام، ومرة أخرى بحث قسطنطيوس عن الوسيلة التى يستطيع بها استمالة أساقفة الشرق والغرب، فوجد فى فوطين ضالته المنشودة والذى أدين من الكنيسة الجامعة، فدعا إلى عقد مجمع فى مدينة سيرميوم، وحيث أدين فوطين مرة أخرى وتم عزله وصدر مرسوم إيمان جديد، يعتبر صورة مماثلة للمرسوم الأنطاكى الرابع، ثم أضيف إليه سبع وعشرون {أناثيما} قصد بها فوطين .

٢٦} مجمع آرل ٣٥٣م

ويمكن تسميته مجمع تصفية الحسابات فبعد أن وضع قسطنطينوس يده على كامل الإمبراطورية بدء يتفرغ لشئون العقيدة وبالتالى لم ينس تهديدات قنسطانز باعادة أساقفة النيقية فى الشرق إلى كنائسهم بالقوة، وعلى رأسهم أثانيوس، والذى بعث له ثلاثة رسائل يرجو عودته إلى بيعته فى الإسكندرية فلم يكلف أثناسيوس حتى عناء الرد عليها، ولم يملك قسطنطيوس حق الاعتراض على عودة راعى كنيسة عاصمته وتحت سلطانه . من هنا كان لابد لقسطنطيوس أن يفرض سلطة الدولة على الكنيسة وحتى لا تكون هناك دولة داخل دولة، وكان أول من سقط تحت هذا النظام الجديد هو بولس أسقف القسطنطينية .

حيث تم القبض عليه وترحيله سراً إلى القوقاز حيث مات هناك وعلى الرغم من أن أثناسيوس قد وضع العداوة الشخصية بينه وبين الإمبراطور، وقد أدرك الإمبراطور أن الهجوم المباشر على اثناسيوس قد يؤدى إلى جعل أثناسيوس بطلاً . وكان عليه أن يتعامل مع الموقف بدهاء، فكانت الخطوة الأولى أن يمحو من الأذهان اسطورة ذلك الأسقف، فكانت أول خطوة هي عزل أثناسيوس عن العالم، فإذا تحقق ذلك أصبح من اليسير عزله عن كنيسته، ونظراً لأن قسطنطيوس كان لا يميل إلى النقية خاصة بعد أن تطاول زعماء النقية عليه أثناء حياة قنسطانز إلا أنه لم يشأ أن يبدأ بهجومه على العقيدة

مباشرة خاصة أنه كان يعلم أن أساقفة الغرب ينصرون النيقية، لذا فإن كسر شوكة أثناسيوس سيتبعها ذلك كسر شوكة النيقية . وأدرك أثناسيوس أن ما حدث لبولس أسقف القسطنطينية البداية لمؤامرة تحاك وهو الهدف الأساسى لها، بجانب أن عودة فالنز وأورساكيوس إلى الآريوسية، بعد اعلان توبتهما السابقة لم تكن إلا بدافع الخوف من قنسطانز وما كان على أثناسبوس سوى أن يتحرك بسرعة فاستدعى صديقه {سرابيون} وسبعة من الأساقفة أنصاره حيث أرسلهم كوفد إلى إيطاليا لمقابلة قسطنطيوس، وبعد أربعة أيام من سفر هذا الوفد حتى فوجئ بوصول أمين البلاط الامبراطورى {مونتانوس} يحمل رسالة من الإمبراطور إلى إثناسيوس تبلغه موافقة الإمبرطور على طلب أثناسيوس فى لقائه وحتى يستطيع الحصول على المعونة لاستكمال المنشآت الكنسية، وتطلب منه عدم إرسال أى سفارة إلى البلاط ! ! وعلم أثناسيوس من الخطاب أنه كمينٌ أعد له، لأنه لم يطلب لقاء الإمبراطور أو طلب إعانة لكنيسة . ورحل امين البلاط {مونتانوس} دون أن يحمل معه أى رد من أثناسيوس وترك الإمبراطور إيطاليا قاصداً {غالة} حيث كان أسقفها ينتمى إلى الآريوسية، ودعا أساقفة غالة إلى عقد مجمع كنسى كان الهدف الرئيسى من هذا المجمع هو إدانة أثناسيوس، وقد حاول أسقف روما التهدئة من مخطط قسطنطيوس إلا أنه رفض، بل وإنه كان حريصاً على أن يشرف بنفسه على جلسات المجمع، حتى يتعرف على فكر واتجاهات الأساقفة وفرض إرادته وسلطان الدولة على كل رجال الأكليروس وفى {آرل} فى اكتوبر وتحت رئاسة أسقفها تم عقد المجمع وطالب مندوب أسقف روما طرح قضية الإيمان أولا للمناقشة إلا أن طلبه قوبل بالرفض، وأصروا على أن تكون قضية أثناسيوس هى محور عمل المجمع، وحدث جدال بين فريق روما والفريق الخاص حيث توصلوا إلى الموافقة على التوقيع على إدانة أثناسيوس على أن يتم اللعنة على الآريوسية إلا أن فالنز وصحبه رفضوا مثل هذه المجادلات ـ خاصة ـ أن الإمبراطور يساندهم حتى أنه أصدر قراراً بنفى كل من يرفض التوقيع على إدانة أثناسيوس، ولم يجد الجمع أنفسهم إلا مجبرين على إطاعة قرار الأمبراطور والتوقيع على مرسوم يدين أثناسيوس عدا أسقف واحد وهو أسقف { ترير} فتم نفيه وهكذا تم إدانة أثناسيوس للمرة الثانية .

٢٧} مجمع ميلانو ٣٥٥م

ويعتبر امتداداً لمجمع آرل، فبعد انتهاء قسطنطيوس من الحرب على جبهة الراين . أراد أن يتفرغ لقضية أثناسيرس، ودفعة ذلك طلب أسقف روما للإمبراطور لعقد مجمع جديد لبحث قضية أثناسيوس وما تم بشأنه فى مجمع آرل، وكانت حماسة الإمبراطور لمثل هذا المجمع هو جمع أساقفة الغرب عامة، وعلى ذلك تم استدعاء أساقفة الغرب لحضور المجمع فى ميلانو ٣٥٥م، ومرة أخرى شهد المجمع وفى أول جلساته الصراع المعتاد بين أنصار النيقية وأنصار الآريوسية، وقاد فريق النيقية يوسيبيوس أسقف {فرسالى} وكان على رأس فريق الآريوسية {فالنز} .

تقدم يوسيبيوس بصفته مندوباً عن أسقف روما بمرسوم الإيمان النيقى مطالباً الجميع بالتوقيع عليه وقبل بحث أى مشاكل أخرى وأدرك الآريوسين أن النجاح الذى أحرزوه فى مجمع آرل سوف يضيع أمام إصرار أنصار أثناسيوس فإقترحوا نقل جلسات المجمع من الكنيسة إلى العقد الإمبراطورى، وبذلك استطاع قسطنطيوس أن يشارك فى مناقشات المجمع، وقد فعل كما فعل فى مجمع آرل فقد طلب إلى الأساقفة إدانة أثناسيوس ودون مراوغة، فكانت إجابة النيقيون أنهم لا يستطيعون قبول هذا، لأن الهدف بالإصرار من قبل فانز ورفاقه يهدف إلى ادانة قانون الإيمان ذاته، إلا أن الإمبراطور أعلن أنه يتهم بنفسه أسقف الإسكندرية ولم يرض عن جراءة من جانب الأساقفة النيقين، فقطع عليهم كل جدال وطلب من الجميع التوقيع على إدانة أثناسيوس وعلى الرغم من أن زعماء الغرب رفضوا قرارات الإمبراطور فتم نفيهم، أما الباقى فقد أقنعوا أنفسهم بالإذعان معللين أنفسهم بأنه لا يمكن التضحية بسلام كنائسهم من أجل رجل واحد . هذا بجانب المرسوم الخاص بأن كل ما يصدر عن الإمبراطور يعتبر قانونا وأنه صدر بأمر الشعب، وهذا هو المعروف باسم قانون {أولبيان} .

٢٨} مجمع بيتراى ٣٥٦م

كان قسطنطيوس يعلم أن قرارات ميلانو وقد تدعمت بقوة السلطان إلا أنه كان ينقصها الدعم الروحى والمعنوى وكان الإمبراطور يعلم أن هذا الدعم يملكه كل من {ليبريوس} أسقف روما و {هوسيوس} أسقف قرطبة . فبعث قسطنطيوس يوسيبيوس

الخصى مندوباً عنه إلى ليبريوس فى روما ليطلب منه التوقيع على إدانة أثناسيوس وتلك رغبة الإمبراطور وعليه أن يطيع الأوامر، إلا أن ليبريوس رفض، بل وأخذ يمتدح أثناسيوس ويذكر مناقبه . ورغم ذلك استخدم قسطنيوس أسلوب الإغراء دون جدوى، فما كان منه إلا أنه أمر بالقبض على ليبريوس وذهب إلى ميلانو مقبوضاً عليه، وعند مقابلته الإمبراطور أقترح عليه دعوة الأساقفه لعقد مجمع عام فى الإسكندرية حتى يناقش قضية أثناسيوس فى موطنها إلا أن قسطنطيوس رفض ذلك متهماً أثناسيوس بانه كان وراء مقتل أخيه قنسطانز ودس الفتنة بينهما حينما هدده أخيه بالحرب من أجله، مما أشعل هذه الحرب التى قتل فيها أخيه . ثم وضع قسطنطيوس حداً لهذا الجدل وأمر بنفى ليبريوس إلى {بيرويا} .

لم يبق أمام الإمبراطور سوى هوسيوس القرطبى والذى يطلق عليه {أبو المجامع} والذى استدعاه ليمثل أمامه فى ميلانو حيث أمره بأقرار بإدانة أثناسيوس، ورفض هوسيوس ذلك بشدة إلا أن كبر سن هوسيوس جعلت قسطنيوس يرأف به ليعود إلى كنيسته خوفا من أن تثار كنائس الغرب إذا تم نفيه . إلا أن هوسيوس تلقى بعد عودته رسالة تهديد من الإمبراطور، إلا أن هوسيوس أرسل إلى الامبراطور رداً يحمل فى طياته صلب موقفه وبلهجة شديدة مطالباً براءة أثناسيوس ورفاقه، إلا أن الإمبراطور لم يضع إلى ما كتبه هوسيوس القرطبى، وهكذا أغلق آخر باب فى الغرب فى وجه أثناسيوس .

نأتى بعد ذلك إلى {هيلارى} أسقف بواتييه والذى من بين الذين أدانوا أثناسيوس وهناك من يقول أن هيلارى لم يكن يعرف شيئا عن العقيدة النيقية أو عن {الهوموسية}

وأننى أشك فى ذلك لأن تصريح هيلارى كان له وزنه فقد أعلن هيلارى عن رأيه بقوله: {حقاً إنه لشيئ يرثى له وأثيم، أن نرى عديداً من قوانين الإيمان بين الناس، عقائد كالأهواء، ومنابع الكفران والتجديف ماثلة لحلول الخطايا فينا، نضع مراسيم الإيمان بهوس، ونفسرها بعصبية، تارة نرفض {الهوموسية} وتارى أخرى نرضى عنها، ثم تتناولها من هنا وهناك أيدى المجامع، والتشابه الكامل أو الجزئى بين الأب والابن، موضوع الجدال لزمان غير سعيد، فى كل عام، بل مع كل فجر تخرج عقائد جديده، نصف ما بها من غوامض الكلمات، ونندم على ما فعلنا، وندافع عن

الذين تابوا، ثم نلعن الذين من قبل رافعنا عنهم، وندين عقائد الآخرين فى أشخاصنا، وعقائدنا فى ذوات الآخرين، ونمزق هذا أو ذاك ونقطعه إرباً، ولدينا على الدوام أنكالاً وجحيماً} .

تعقيب:

هل يرى معى الدكتور مينس كيف أن هيلارى فجّر قنبلة كشفت النقاب بكلمات مختصرة عن كل ما يدور منذ بدايات مجمع نيقية ٣٢٥م وحتى ٣٥٦م، أى فى خلال ٣١ عاماً فقط وهذا يفند الإدعاء القائل أن هيلارى كان لا يعلم شيئاً عن العقيدة النيقية أو الهوموسية، حتى وإن كان لا يعلم شيئا عن ذلك فإن هيلارى وصف الصراعات والمراسيم وكثرة قوانين الإيمان والتى بعدت عما هو موجود بالنص فى الأناجيل، والتى تكلم عنها مرسوم سيرميوم الثالث وهو ما ينتحدث عنه لاحقاً، إن المسألة لا تعدو مسألة من ينتصر على من؟ ومن تكون له الغلبة فى النهاية، ولم تكن حقيقة إيمان وعقيدة أنزلها الله على رسوله عيسى فتقيد بها أتباعه، ولا تتلفها المجامع المتتالية، يعبثوا بها كيفما شاءوا .

أوحى قسطنطيوس إلى {ساتورنينوس} أحد أساقفة غالة والذى ظهر على مسرح الأحداث أن يجد طريقه ما لما يحدثه هيلارى من ضجة . وبناء على ذلك دعا ساتورنينوس أساقفة غاله للإجتماع وتم عقد مجمع فى مدينة {بيتراى} تحت رئاسته ودعا إليه هيلارى قسراً، وكما حدث فى المجامع السابقة لم يتعرض هذا المجمع أيضاً لمسألة العقيدة، وتم إتهام هيلارى بأنه يحرض الشعب على الشغب، وأقر المجمع إدانته، وأقر قسطنطيوس قرار المجمع وتم نفى هيلارى إلى آسيا .

٢٩} مجمع سيرميوم الثالث ٣٥٧م

بعث قسطنطيوس حاكم جديد إلى مصر كانت مهمته إقصاء رجال أثناسيوس من كنائسهم، وإذا كان الصراع بين الآريوسيين والنيقيين من أجل السيطرة على الكنائس، فإن الآريسيين أنفسهم دبّ الشقاق بينهم من أجل السيادة الدينية على الإمبراطورية فكراً وعقيدة، وأطلقوا العنان لعقولهم لقوانين إيمان جديدة ومراسيم هائلة ربما أخصبت الفكر إلا أنها هدمت العقيدة .

وبعد وفاة قادة الآريوسية الأصليين، ظهرت عناصر جديدة اختلفت آراؤها

وتضاربت وفى عام ٣٥٧م، أنتهز نفر من زعماء الآريوسية وعلى راسهم جرمينيوس أسقف سيرميوم وكذلك فالنز وصحبه فرصة وجود الإمبراطور فى سيرميوم وعقدوا مجمعاً عرف بمجمع سيراميوم الثالث، وقد أوضح هؤلاء القسطنطيوس أن كلمة جوهر هى فى الواقع السبب المباشر وراء كل هذا الخلاف العقيدى الذى خيم على الكنيسه وحرمها نعمة السلام، فوافقهم قسطنطيوس على ذلك فأصدروا بناء على ذلك مرسوماً للإيمان عرف بعرسوم سيرميوم الثانى، والذى اعتبره هيلارى كفراً وهرطقة وأطلق عليه {مرسوم التجديف} كما أعلن هيلارى أن هدف هذا المرسوم هو الإنكار الكامل لألوهية الإبن، وتضمن ذلك تبعية الإبن للأب شأن كل الخلائق .

وكان أهم ما تضمنه هذا المرسوم:

مرسوم سيرميوم الثانى

لما كان البعض قد اضطرب فكره بمسائل حول ما يسمى {بالجوهر} مما قاد القول {بالمساواة} فى الجوهر أو {التشابه} فى الجوهر . لذا كان من الواجب أن لا يذكر شيئ من هذا على الإطلاق، وأن لا يعرض فى الكنيسة، ذلك أن الكتاب المقدس لم يحدث نهائيا عن مثل هذا، فتلك أمور فوق علم البشر، وفوق إدراك الأناسى . لأن لا يستطيع أن يحدد ولادة الإبن . الأب وحده يعلم كيف ولد الإبن، والإبن يعلم، ولا أحد يشك أن الأب أعظم فى الكرامة والمجد والألوهية، والإبن نفسه قال{أى الذى أرسلنى أعظم منى} يوحنا: ١٤/٢٨ .

تعقيب:

لقد طرحت قضية الجوهر فى كتبنا السابقة[1] إلا أننا سنطرحها بشيئ من التفصيل هنا، وأرجو من الدكتور منيس أن يتابع هذا التعقيب بروّية . أنا لا يعنينى هنا مرسوم سيرميوم، ولكن يعنينى بالدرجة الأولى كلمة الجوهر أو قضية الجوهر، فإننا لم نقرأ فى كتب دينية سماوية كانت أو غير سماوية كلمة تشابه أو مساواة فى الجوهر، ولا حتى فى الأناجيل الأربعة، وغالب التفاسير لهذه القضية إما وقف أمامها المفسرين عاجزين أو سطحوا بتفسيراتهم بفلسفات لا تفيد شيئا .

(١) هل القرآن معصوم ـ المسيح الدجال ، محمد والمسيح ـ المؤلف

فكيف يتم ما نراه يقينا على مالا نراه يقينا؟ وسنذهب إلى ما قاله علماء النصارى أنفسهم .

يقول صاحب تالريخ الأقباط: هذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى الذى لا يفهم إلا الطبيعة الواحدة إنما تتضمن أقنوماً واحداً أى ذاتاً واحدة . وأن تعدد الأقانيم أو الذات يستوجب تعدد الطبائع مع الأخذ فى الأعتبار أن كلمة أقنوم كلمة سريانيه الأصل ومعناها الشخص الكائن المستقل بذاته، وجمعها أقانيم .

يقول القس توفيق جيد فى كتابه {سر الأزل}: إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه . وإن من يحاول إدراك سر الثالوث كمن يحاول وضع مياه المحيط فى يده .

يقول باسيليوس إسحق فى كتابه {الحق}: إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا .

يقول عوض سمعان فى كتابه {الله}: لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة والعلماء توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله أو بالأحرى عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا .

يقول اسقف الإسكندرية {ديونسيوس} مدافعاً عن الإتهامات التى ساقوها لأسقف روما: {لقد كتبت فى رسالة سابقة مدافعاً عن الاتهامات التى ساقوها ضدى ويقولون فيها أننى انكرت أن الابن كان واحداً فى الجوهر مع الأب، غير أن ما قلته هو أننى لم أجد مصطلح {الهوموسية} مطلقاً فى أى موضع من الكتاب المقدس، ولقد ضربت مثلا للميلاد البشرى {المتآنس والمتجسد} بشيئ قريب للأذهان، فالأبوان يختلفان بصورة لا يمكن إنكارها عن أولادهم، حيث لا يمكن مطلقاً أن يكونوا الأشخاص أنفسهم، وإلا لما كان هناك آباء وأبناء} .

والقس هنا كمن فسّر الماء بالماء، فالمثال الذى ضربه لا يرتبط بين حكمة التآنس والتجسد، لأن كلمة التآنس لغوياً معناها أنه سكن إليه، ومنها آنس فلاناً إيناساً ومؤانسه: اى لاطفه وأزال وحشته فهو مؤنس وأنيس ومؤانس . وأنس الشيئ إيناساً أى أحس به فيقال: آنست منه فزعاً، وكما جاء فى القرآن الكريم [إِنِّي آنَسْتُ نَارًا] {طه:١٠} . وآنست الصوت أى سمعه .

والأسقف هنا يقول: إنه يعترف أن الإبن من جوهر الآب إلا أن الابن خرج وانبثق من الأب كميلاد بشرى، ثم يضرب لنا الأسقف مثالاً غاية فى السذاجة فيقول: إن الأبوين يختلفان بصورة واضحة عن الأبناء، وهذا حقيقة ولا يمكن إنكاره ولكن الأبوان والأبناء من جنس واحد هو الجنس البشرى، فليس من الممكن أن يكون الأبوين من بنى البشر، ويكون الأبناء من الحيوانات، أو الطيور، فإذا طبقنا مبدأ تساوى الجوهر على الخالق أو الله ﷻ مع جوهر المسيح . يتحتم علينا أن نعرف تماماً ما هو جوهر الله ﷻ حتى نتأكد تماماً من جوهر المسيح، وأن نقارن معلوماً على معلوم، أما ان نقارن معلوماً على غير معلوم، فهذا كلام ينافى العقل وضرباً من الجنون، وتلك حقيقة لا مناص من تأكيدها وكما قال القرآن الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١] .

ولقد كان أولى بموسى أن يرى الله ﷻ وهو كليم الله . وهو من اختصه مباشرة بالكلام دون عن الأنبياء جميعاً حتى آدم نفسه . فكيف يقيس النصارى رؤيا المسيح على من لم يروه، وحتى لو قالوا نحن نقيس رؤيا اللاهوت فى المسيح فهل تم رؤية لاهوت المسيح؟ أم هى مجرد استنتاجات . الحقيقة المؤكده أنهم لم يروا المسيح إلا طفلاً ولد بطريقة معجزة مثل ميلاد آدم، وهذا الطفل تربى بينهم شاباً حتى بلغ ثلاثين عاماً . ولو كان كما يقولون فما الداعى لأن ينتظر الله ﷻ ثلاثين عاماً حتى يبدأ رسالته أليس من الأحرى أن يرسله بشراً سوياً لو كان إله أن ينزل إلى الأرض ليتحول إلى بشر سوى فأى منطق وما السر وما اللغز فى هذا . لقد قال موسى لله {أرنى أنظر إليك}، وأكثر من ذلك لقد نفت كتبكم المقدسة رؤية الله تعالى فيقول يوحنا {الله لم يره أحد قط} ١٨/١ ويقول بولس فى رسالته إلى تيموثاوس ١٦/٦ {الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لا يُدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذى له والقدرة الأبدية} .

وفى سفر الخروج ٢٠/٣٣: وقال الله لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش .

ويفسر ثيودور أسقف المصيصة أيضاً تفسيراً ساذجاً فى قوله: إن الله صنع إنساناً من رحم العذراء بصورة معجزة عن طريق الروح القدس، وعندما أصبح تشكيل أو صنع هذا الإنسان مكتملاً، وحدّه اللوجوس معه، وبعد فترة معينة قاد اللوجوس الإنسان إلى

العمار، ثم إلى الموت، ثم الصعود إلى السماء، ثم الجلوس عن يمين الأب، ومنذ تلك اللحظة فإن {المتأنس} هذا يُعبد من الجميع وسوف يدين الجميع} .

إلا أن ثيودور يبدو أنه أكتشف فلسفة أخرى فعاد وفسّر ما قاله مرة أخرى فيقول: {إن العذراء حملت بيسوع وليس الكلمة، لأن اللوجوس كان ولا يزال كلى الوجود، رغم أنه منذ البدء {سكن} في يسوع بطريقة خاصة، ومن ثم فإن العذراء هى أم المسيح وليست أم الإله، وإن كان يمكن تسميتها كذلك أى أم الإله تجاوزاً، لأن الله كان في المسيح بطريقة غير عادية، وقد يكون أكثر دقة القول: إن العذراء حملت إنساناً، وهو الذى فيه بدأ الأتحاد مع الكلمة وإن ظل هذا الإتحاد غير مكتمل إلا أنه لم يكن دُعى بعد ابن الله حيث أن ذلك لم يحدث إلا عندما تم تعميده . وهناك فرق بين دُعى وأصبح ثم يضيف ثيودور: إن القول بأن الله ولد من العذراء يُعد ضرباً من الجنون أنه ليس الله ولكن الهيكل الذى يسكن فيه الله !!! .

يا دكتور مينس أهذه كلمات يمكن للعقل البسيط الذى لا يدرك شيئا أن يفهمهما ويعلمها؟ إن هذا ما دعى {جون لويمر} فى كتابه تاريخ الكنيسة أن يقول: {لقد كتب {كليمندس} يقول: إن الكتاب المقدس نافع لكل مسيحى، ولكن لا يعرف عُمقه أو حقائقه إلا المسيحى العارف ولكى يفهم المعنى الأعمق للكتب المقدسة عليه أن يستخدم كل علوم الفلسفة والأخلاق وعلم النفس والطبيعة وما وراء الطبيعة، فبهذه الوسائل يستطيع المسيحى العارف أن يستخرج من الكتاب المقدس كل المعرفة، يعرف الماضى والحاضر والمستقبل، والمسيحى العارف لا يصغى فقط إلى كلمات الكتاب المقدس، ولكنه يفتح ما هو مستتر تحت الكلمات من حقائق يكتشفها وأعمال يقوم بها .

واننى أسأل الدكتور بصفته عالماً من علماء اللاهوت: هل ينزّل الله ﷻ ديناً وكتباً مملوءة بالألغاز للإيمان به؟ فلا يؤمن حقاً إلا من عرف ألغاز هذه الكتب وخباياها وما بين السطور، وأن يكون ملماً بعلوم الفلسفة والأخلاق وعلم النفس والطبيعة وما وراء الطبيعة، هل هذه الرسالة تنزّلت فقط على العلماء أم على شعب إسرائيل؟ هل عَلِم وعَلّم صاحب الرسالة ذاتها كل هذا؟ إن غالبية الحواريين كان لا يكتب ولا يقرأ، حتى المسيح نفسه كان لا يقرأ ولا يكتب بل لقد أوتى من المعجزات والآيات بإذن ربه ليبرهن للناس أنه رسول الله، فكيف يأتى بكتب لا يفهمها الناس من بعده؟ وإذا كانت غالبية

هذه العلوم التى عرفها كليمندس تخضع لعلوم الكلام والجدل والفلسفة . ألا يترتب على ذلك أن تأويل النصوص قد يخضع لاجتهادات تختلف من شخص إلى آخر كل حسب مقدار فهمه وعلمه وتأويله للنصوص، مما يذهب بنا إلى الدخول فى المعيار الشخصى للتفسير، وهذا ما رأيناه من تعدد قوانين الإيمان والمراسيم بالعشرات، تارة بالإضافة وتارة بالحذف، إن الأنبا {برام} : أسقف الفيوم وضع احدى وعشرين اختلافاً عقائدياً بين الكنيسة الأثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، ثم وضع ثمانية عشر اختلافاً بين الأرثوذكسية والبروتستانتية، حتى وصل الأمر إلى اختلاف فى الكنيسة الواحدة . وأى الكنائس هى على الحق؟ ولعل {تلوستوى} يجيب عن هذا فى قوله: إنه ينبغى لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقى كما كان يفهمه هو أن نبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة التى شوهت وجه التعليم المسيحى حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام .

وليفجر {سبينوزا} وفى كتابه {رسالة فى اللاهوت} قنبلة فيقول: لست أدرى إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل وعن نوع من تقوى العجائز المخّرفين، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور الخبيث، حتى نعتقد أنهم وحدهم الأمناء على أسرار الله، ولكنى أعلم فقط أنى لم أجد مطلقاً أى شيئ عليه سمة السّر فى كتبهم، ولم أجد منها إلا أعمالاً صبانية .

يا دكتور منيس أيعقل أن يقول أحد القساوسة: إن المسيح طبيعة واحدة، لأن الطبيعة الإلهية ابتلعت الطبيعة البشرية وتلاشى الناسوت فى اللاهوت كما تتلاشى نقطة الخل عندما تقع فى بحر ماء[1] .

ومعنى هذا أن الذى قبض عليه هو الإله والذى أهين هو الإله، والذى صلب هو الإله والذى مات وقُبر هو الإله ! ! ويحضرنى فى هذه الجزئية قصة طريفة ذكرها الشيخ رحمه الله هندى فى كتابه {إظهار الحق} فيقول: إنه تنصّر ثلاثة أشخاص وعلّمهم أحد القساوسة العقائد الضرورية خاصة عقيدة التثليث، وكانوا فى خدمته، فجاء مُحب من أحباء هذا القسيس وسأله عمن تنصر فقال له: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأله هذا

---

(١) الراهب {يوطيخا} ـ أحد رهبان القسطنطينية .

المحب: وهل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية؟ قال: نعم، وطلب القس واحداً منهم، وسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة، أحدهم الذى فى السماء، والثانى الذى تولد فى بطن مريم العذراء، والثالث الذى نزل فى صورة الحمامه على الإله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنه . فغضب القس وطرده، وقال: هذا جهول، ثم طلب الثانى وسأله نفس السؤال فقال: إنك علمتنى أن ألالهة كانوا ثلاثة، وصلب واحد منهم فالباقى إثنان، فغضب عليه القس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث والأخير وكان ذكياً بالنسبة للأولين وحريصاً فى حفظ العقائد فسأله القس نفس السؤال، فقال: يا سيدى حفظت معا علمتنى حفظاً جيداً، وفهمته فهماً كاملاً، بفضل الرب المسيح، إن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الإتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفى الإتحاد .

نعود مرة ثانية إلى مرسوم سيرميوم الثالث حيث يعتبر نقطة تحول خطيرة فى هذا الصراع فهذا المرسوم رفض حكمة الجوهر ورفضت مصطلح {المساواة فى الجوهر} وهو الهوموسية، وكذلك رفضت مصطلح {التشابه فى الجوهر} وهو الهوموسية وانشق أصحاب هذا المرسوم عن ألاريوسية، وعرف وعرف مذهبهم بالأنومية وكان لهم إنجيلهم الخاص بهم .

٣٠} مجمع أنطاكية ٣٥٨م

كان على رأس فريق الأنومية أسقف {مرعش} يودوكسيوس. والذى إعتلى كرسى الأسقفية فى أنطاكية، وقد دعا يودوكسيوس إلى عقد مجمع فى أنطاكية حضرة عدد من الأساقفة ليقرروا التصديق على مرسوم سيرميوم الثانى، ونبذ أصطلاح {الهوموسية} و {الهوموسية} على أساس أنهما غير واردتين فى الكتاب المقدس، وتصادف أن هوسيوس القرطبى كان يقيم آنذاك فى سيرميوم بناء على أوامر الإمبراطور، حيث طلب منه الأخير التوقيع على مرسوم سيرلاميوم فوقعه بل وأضاف عليه توقيعه على إدانة أثناسيوس .

٣١} مجمع أنقرة ٣٥٨م

اختفى اثناسيوس فى الإسكندرية بعد وجوده بين الرهبان فى وادى النطرون . وأثناء وجوده بالاسكندرية، قامت ثورة ضد جورج الكبادوكى، أسقف الإسكندرية،

نتيجة سياسة العنف التى فعلها ضد النيقيين والوثنيين طوال ثمانية عشر شهراً، وفى ٢٦ أغسطس ٣٥٨م وقع جورج فى أيدى الجموع الساخطة، إلا أنه أستطاع الإفلات منهم وفى اكتوبر ٣٥٨م هرب من الإسكندرية، وانتهز أنصار أثناسيوس الفرصة وقاموا بهجوم مضاد إنتقاماً لما حل بهم وطردوا الآريوسيين من الكنائس التى سيطروا عليها، واحتلوها، وظلت هذه الكنائس تحت أيديهم حتى ديسمبر ٣٥٨م وحتى قام القائد سباستيانوس وأخرجهم منها وأعادها جميعاً إلى الآريوسيين . وخرج ما يسمى بأنصاف الأريوسيين وأصبح الصراع بين الآريوسين والنيقين والانوميين وأنصاف الآريوسيين، وحتى جاءت الفرصة لأنصاف الأريوسيين للعمل ضد الأنوميين وذلك أن باسيليوس أسقف أنقرة فى عام ٣٥٨م بمناسبة تدشين كنيسة أنقرة وعقد مجمع وكان تحدياً لمجمع سيرميوم الأخير التى رفضت الشبه إطلاقاً بين الأب والأبن، ولذلك كان على أساقفة المجمع أن يضعوا صيغة إيمان جديدة تمثل الجماعة المحافظة الجديدة بفكرها الجديد، وخرج عن هذا المجمع مرسوم يؤكد التشابه فى الجوهر بين الأب والابن {الهومويوسية} ، وذلك هذا المرسوم بثمان عشر لعنة موجهة لكل من يفكر التشابه فى الجوهر فأنكر الأنومية وتجاهل النيقية .

٣٢} مجمع سيرميوم الرابع ٣٥٨م

وفيه غير الإمبراطور موقفه من الأنوميين واتجه إلى الهوموسية حيث خرج مرسوم وقع عليه عدداً من الأساقفة . وليعذرنى القارئ أننى سأنهى الإطالة فى شرح كل مجمع من مقدماته ونهايته وسأختصر أسماء المجامع والسنة التى عقد فيها وحتى لا ندخل طويلاً فى دوامات الصرعات بين الفرق المختلفة .

٣٣} مجمع ريمينى ٣٥٩م

وحضره أربعمائة من أساقفة الغرب بناء على دعوة الإمبراطور وترأسه فالنز أسقف {مورسا} وظهر فيه الإنقسام واضحاً بين النيقية والأريوسية وأدان كل فريق الفريق الآخر غير أن الأمبراطور أرغمهم على التوقيع على مرسوم مجمع نيقا الذى يبرز التشابه بين الأب والإبن دون تحديد لنوعيته، وهو ما عُرف بالعقيدة {الهوموية} وأصبح مرسوم نيقا يعرف باسم مرسوم ريمينى .

٣٤} مجمع سلوقية ٣٥٩م

وهو الشق الثانى من مجمع ريمينى حتى يطلق عليهما {المجمع المزدوج} وحضرة مائة وستون أسقفا من الآريوسيين والأنومويين والهومويين ويمثلون الأقلية وفشل المجمع فى الوصول إلى التوقيع على مرسوم مجمع نيقا الذى يبرز العقيدة الهوموية .

٣٥} مجمع نيقا ٣٥٩م

وقد ضم هذا المجمع أساقفة ريمينى النيقية وحيث أنتقل إلى مدينة نيقا هؤلاء الأساقفة بناء على أوامر الإمبراطور والذى أختار هذه المدينة بالذات وحتى يمكن خلط مرسوم الإيمان الصادر فيها بمرسوم الإيمان النيقى الصادر فى مجمع نيقية ٣٢٥م وحيث تم حذف كلمة {كل شيئ} أى مشابهة الابن للأب فى كل شيئ وهو بذلك يؤكد العقيدة الهومية وتم التوقيع علي هذا المرسوم من أساقفة ريمينى وسلوقية .

٣٦} مجمع القسطنطينية ٣٦٠م

وتم فيه التصديق النهائى على مرسوم الايمان الصادر بنيقيا والذى تم التوقيع عليه فى ريمينى وسلوقية، والخاص بالعقيدة الهومية، ويعتبر هذا المجمع هو تمام للثلاث المجامع السابقة .

٣٧} مجمع أنطاكية ٣٦١م

وكان صاحب الدعوة فيه {يوزيوس} أسقف أنطاكية وهو من المذهب الآريوسى، حيث انتهز فرصة وجود الإمبراطور فى المدينة وإستعداده للحرب مع الفرس، ومحاولة إحياء الأنوموية مرة أخرى، وأصدر المجمع مرسوماً إيمانياً جديداً فيه إلغاء مذهب الهومية والعودة إلى الأنوموية مرة أخرى .

٣٨} مجمع الإسكندرية ٣٦٢م

وعقد بعد عودة أثناسيوس من منفاه للمرة الثالثه وعُقد فى محاولة توحيد الكنيسة ضد خطر الوثنية والذى يتزعمه الإمبراطور جوليان الذى جاء بعد قسطنطيوس، ولذا فقد تعرض المجمع فى محاولته إصلاح الانشقاق الذى يحدث فى كنيسة أنطاكية بين اليوستاتيين والليتيين، وكذلك قبول الآريوسيين أولئك الذين صدقوا على قرارات مجمع

ريمينى، ويرغبون فى العودة إلى الكنيسة الكاثوليكية ثانية .

٣٩} مجمع أنطاكية ٣٦٤م

رأس هذا المجمع {مليتيوس} أسقف أنطاكية وتزعمه أتباع أكاكيوس وهم الهومويون فى الشرق ووقع الجميع رسالة إلى الإمبراطور جوفيان الذى جاء بعد جوليان أعلنوا فيها أعترافهم بالإيمان النيقى إلا أنهم فسروا مصطلح الهومية بأنه يعنى التشابه فى الجوهر، أى أنهم تمسكوا بالتشابه وهو أصل عقيدتهم .

٤٠} مجمع لامساكوس ٣٦٤م

وضم أنصاف الآريوسيين والماكيدونيين الذى قرر رفض قانون الإيمان الذى تم التصديق عليه فى مجمع القسطنطينية ٣٦٠م، وتمسكهم بمرسوم الإيمان الصادر فى أنقرة ٣٥٨م المؤكد على الهومويوسية {التشابه فى الجوهر} وطالبوا بعزل يودوكسيوس أسقف القسطنطينية وأصحابه

٤١} مجمع صقلية ٣٦٥م

وضم أساقفة صقلية ومعهم أنصاف الآريوسيين والماكيدونيين، الذين جاءوا إلى روما، وقدّموا إلى ليبريوس أسقف روما وثيقة إيمان يعلنون فيها إنكارهم قرارات مجمع ريمينى فى العقيدة، وعللوا ذلك بأن الهومويوسية لا تختلف كثيرا عن الهوموسية، ولذلك فهم يصدقون على قانون الإيمان النيقى، وأعلنوا إيمانهم بالهوموسية .

٤٢} مجمع السطوانة ٣٦٦م

وضم أنصاف الآريوسيين والماكيدونيين مرة ثانية وفى مقدمتهم أثناسيوس أسقف أنقرة الذى خلف باسيليوس، وأسقف اللاذقية، وأعادوا الإعتراف بالهوموسية مرة ثانية

٤٣} مجمع كاريا ٣٦٧م

ودعا إليه المتطرفون من أنصاف الآريوسيين والماكيدونيين الذين رفضوا الإتجاه الجديد والذى أعلنه الفريقان وأعلنوا معارضتهم الكاملة لمصطلح الهوموسية وأقروا المرسوم الأنطاكى الثانى {اللوقيانى} معتبرين أن ذلك هو قانون الإيمان الوحيد فى الكنيسة .

٤٤} مجمع روما ٣٦٩م

شهده تسعون أسقفاً من أنحاء إيطاليا والغرب ترأسه داماسوس الأول، وأعلنوا فيه إدانتهم لأسقف ميلانو الآريوسي، وأرسلوا إلى الإمبراطور فالنقينيان يطالبون فيه الموافقة على عزله، وأعلن المجمع التمسك بقاتنون الإيمان النيقى .

٤٥} مجمع الإسكندرية ٣٦٩م

ودعا إليه أسقف الإسكندرية أثناسيوس وضم تسعين أسقفاً يمثلون كنائس مصر والمدن الخمس الغربية وليبيا وذلك لتأييد أسقف روما داماسوس فى الجهود التى بذلها لعزل أسقف ميلانو الآريوسى .

فإذا أخذنا فى الأعتبار أن بدايات المجامع كانت فى أورشليم عام ١٠٥م برئاسة الأسقف يعقوب للنظر فى مسألة الختان لغير اليهود إلا أن ما يهمنا الأن بالنسبة للجزئية التى نتكلم فيها والتى كانت أول مجامعها هو مجمع نيقية ٣٢٥م: والتى تم فيها الأختلاف على ألوهية المسيح، بجانب تحديد الأناجيل الأربعة، وسوف أشرح للقارئ حتى يدرك حقيقة الاختلاف على التثليث بخاصة الأقنوم الأول والثانى .

لقد عقد أكثر من ٤٥ مجمعاً على مدار قرنين من الزمان كان أساس الأختلاف فيه هو طبيعة الأقنوم الثانى وهو {الإبن} خاصة إذا علمنا أن الأقنوم الثالث وهو {الروح القدس} لم يأخذ هذا الكم الهائل من الأختلاف لإقرار طبيعته والصلة التى تربط بينه وبين الأقنوم الأول والثانى، مع الأخذ فى الإعتبار أن الأقنوم الأول فى حد ذاته أو توصيفه لم يحدث فيه إختلاف فى الأديان الثلاثة لأنه الأساس الرئيسى فى الديانات الثلاثة وهو الله ﷻ الواحد الأحد، ولم يختلف عن هذا سوى بعض الديانات الوثنية التى كانت تتعدد الآله فيها وإتخذت أربابا متعددة مثل المصريين القدماء والرومان وعرب شبه الجزيرة العربية، حتى عرب شبه الجزيرة قبل الرسالة المحمدية كانوا يقولون بأنهم يعبدون آلتهم كى تقربهم إلى الله زلفى، لذلك فإن كل قوانين الإيمان والمراسيم التى صدرت فى المجامع كانت تحدد الأقنوم الأول بأنه الله واحد، خالق الكل، ما يُرى ومالا يُرى، وكما قصت التوارة علينا أن الإله واحد خلق السماء والأرض والإنسان والحيوان حتى الأناجيل قالت بهذا على لسان عيسى ﷺ عندما دخل فى تجربة مع

الشيطان: {اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد} {متى: ١٠/٤} .

وفى إنجيل متى أيضاً تفنيدُ لمن يدعى التثليث: {ولا تدعوا لكم أباً على الأرض . لأن أباكم واحد الذى فى السماوات} متى ٩/٢٣ وفى مرقس {وفى مخاطبته للشاب الغنى:} لماذا تدعونى صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله} . مرقس ١٨/١٠ . وفى هذا يقول المسيح حتى نفسه فهو ليس صالحاً .

ويعلن عيسى ﵇ توحيده لله كاملاً عندما يسأله أحد اليهود الفريسيين حيث سأله: أية وصيته هى أول الكل؟ فأجابه يسوع: { إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك} مرقس: ٢٨/١٢ .

نلاحظ هنا وفى هذه الفقرة أن يسوع فى إجابته الخاصة بالله تعالى قال للسائل: الرب إلهنا رب واحد . ولم يقل له الرب إلهك . ولكنه جمع نفسه كنبى فى الوحدانية لله ولكن عندما أختص الأمر بغير الوحدانية قال لليهودى وتحب الرب إلهك من كل قلبك . لأن الشعور بالحب يأتى فقط مع الإعتراف بوحدانية الله . فليس من المعقول أن تأمر أحد بحب الله تعالى وهو لا يعترف بوحدانية الله .

أما الإسلام ممثلاً فى القرآن والسّنة فكانت أول قواعده الأساسية هى التوحيد الخالص لله ﷻ، فكانت آيات الواحدانية فى القرآن الكريم يمتلئ بها القرآن، وكانت السنة النبوية المطهرة فى قول رسوله الكريم: {أفضل ما قلت أنا والنبيين من قبلى: لا إله إلا الله . ووضع الرسول ﷺأول أركان الإسلام الخمسة: شهادة ألا إله إلا الله ولينفى التثليث الذين إدعاه النصارى فيقول الله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء:١٧١]. وفى آية أخرى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] بل إن القرآن الكريم والله ﷻ يبلغ رسوله الكريم بمسألة الجوهر التى إختلفوا فيها ردحاً من الزمان وهل هو مساو أو مشابه أو تآنس أو أنبثق وكثير من هذه الفلسفات . وأراد الله أن يضع حداً لهذا الجدل العقيم، فأنزل سورة تضع الجدل المسيحى فقال الله ﷻ مؤكداً التوحيد الخالص لله ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:١/ ٤] .

فهو الواحد الأحد . لم يلد أحداً نفياً للتثليث، ولم يكن له كفواً أحد . ولم يكن له مثل أى مساو له أو مشابه له أو منبعثاً منه . إلخ .

نأتى بعد ذلك للجدل الذى قيل وقصصه حول الأقنوم الثانى والفلسفات البشرية حول الأختلاف فيه والذى أدت فى نهايته بعد أجيال وأجيال إلى أنقسام المسيحية إلى ملل وطوائف وهو نتيجة طبيعية لذلك . ولا يأتى أحد من النصارى ليقول لى إن الإسلام أيضاً أنقسم إلى طوائف وملل . والرد على من يقول هذا: إن كل الملل الإسلامية آمنت بالتوحيد الخالص لله تعالى وآمنت بكتابه الكريم، وكل ما أثير حول الطعن فى القرآن له مردوده مع الأخذ فى الأعتبار أن الطعن فى القرآن لم يكن من الطوائف الإسلامية على أختلافهم بل جاء ممن هم على غير ملّه الإسلام .

ونعود إلى موضوعنا الرئيسى وهو الأختلاف حول مضمون كونية الأقنوم الثانى وهو المسيح ﷺ: لقد وضع بولس أول مناداته بالتثليث، وهو بهذا أراد أن يزاوج بين وثنية الديانات السابقة من رومانية وهندية ومصرية قديمة وبين المسيحية فى محاولة لأستقلالية ما جاء به المسيح وكلها مواعظ وأمثال قالها من قبله يوحنا المعمدان وزكريا وكل أنبياء بنى إسرائيل من قبله لا تمثل دينا منفصلاً بذاته حتى أن الرومان فى بدايات هذه الديانة كانوا يعتبرونها فرقة منشقة عن اليهودية، فأراد بولس أن يغذى هذا الإتجاه ويعمل على تنميته . فوضع أول الشروط التى تمس العقيدة اليهودية وحتى تنفصل عنها وهى عقيدة التثليث، ثم تساهل فى إلغاء بعض التشريعات اليهودية كالختان وشرب الخمر والخنزير، ومع كثرة ترحال بولس خارج فلسطين، فقد تم توسعة ما يبشر به، مع الملاحظة أن بولس نفسه لم يتكلم عن مسألة الجوهر فى أى مكان . كما لم يتكلم الحواريين عن مسألة التثليث . ثم زاد فى التوسعة فبدأ يقارن بين العهد القديم والإنجيل فى مقدمة خبيثة لإلغاء العهد القديم والناموس الذى هو أساس الديانة اليهودية، مما أثار حفيظة الحوارى بطرس وبدأ فى مواجهة بطرس بذلك وإنضم برنابا إلى بطرس فى مواجهته لبولس ورغم أن هناك صلة قرابة بين بولس وبرنابا ورغم أن هذا الأخير هو من قدمه إلى الحواريين فى بداية دعوته فى أورشليم . ويروى ذلك بولس بنفسه ذلك معللاً هذه المواجهة بفلسفات وجدت صداها فى نفوس الكثير من الوثنين الذين أنضموا للمسيحية .

فيقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية وفيها يشرح كيف لم يقبله الحواريون فى أورشليم عندما ذهب إليهم وضرب بآرائهم عرض الحائط وسنأخذ مقتطفات من هذه القصة:

أولاً: إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمه المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر . غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح {١/٦-٧} .

تعقيب:

القارئ لرسائل بولس يجد العجب نفى رسالته إلى غلاطية نجده يدعو إلى ما يسمى إنجيل المسيح، وفى رسالته إلى رومية {١٥/١٩} يقول قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح، وفى بداية رسالته إلى أهل رومية {١/١} يقول المفرز لإنجيل الله، وفى رسالته الثانية إلى ثيموثارس {٢/٨} يقول: اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى . فأى إنجيل كان بولس يكرز به أهو إنجيل الله أم إنجيل المسيح أم إنجيله هو ؟ والغالب أن بولس كان له إنجيل خاص وهو ما سيقوله بولس فى الفقرة التالية، وأعتقد أن هذا ما رفضه الحواريين .

إن العالم المفكر موريس بوكاى فى كتابه[1]: إن مكتشفات عصرنا التى يرتبك بها أسم الكاردينال {دانيلو} فى المقال الذى نشره فى ديسمبير ١٩٦٧ هو رؤية جديدة للأصول المسيحية، المسيحية اليهودية: إنه يضع خطوط تاريخ المسيحية ويسمح لنا بتحديد ظهور الأناجيل وذلك فى سياق يختلف تماماً عن ذلك الذى تقول به المعلومات الموجهة لعامة الجمهور .

ويضيف هذا المقال قول دانيلو: كونت {مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح} طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم، إن جاز القول . نظام خاص: إذ يحلهم مجمع القدس المسكونى ٤٩م من الختان ومن تطبيق الأركان اليهودية . ورفض كثير من

(١) القرآن والتوراة والانجيل والعلم الحديث .

اليهود المسيحيين هذا التنازل . وإنفصلت هذه المجموعة عن بولس {الذى نادى بالغاء الختان} . بل أكثر من ذلك فقد إصطدم بولس مع اليهود المسيحيين بسبب الذين أتوا إلى المسيحية {أحداث أنطاكية عام ٤٩م} فالختان ويوم السبت وديانة المعبد كانت أمور بالية فى نظر بولس، حتى بالنسبه لليهود أنفسهم، فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى الى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود .

أما اليهودية المسيحية الذين ظلوا يهوداً مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق يهودية مسيحية {بالعدو} وتتهمه بتواطئ تكتيكى . ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة، وكان بولس منعزلاً فى ذلك الوقت

كان رئيس الجماعة {جاك} قريب المسيح، وكان معه فى البداية بطرس، يوحنا . ويعتبر جاك عمود اليهودية المسيحية والذى ظل ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البوليسيه . وكانت أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة فى الكنيسة اليهودية المسيحية بالقدس .

ويذكر الكاردينال دانيلو فى الكتابات اليهودية المسيحية التى تقدم نظرت هذه الجماعات عن المسيح التى تكونت أولاً حول الحواريين وهذه الكتابات هى إنجيل العبريين والذى يعود إلى جماعه يهودية مسيحية مصرية، ومأثورات {كليمنت}، {الفضائل الكليمنتية}، {نهاية العالم لجاك} {وانجيلى توما}، مع الأخذ فى الأعتبار ان كل هذا سوف يحكم عليه بالتزوير لاحقاً . إلا أنه رغم ذلك فلابد أن نسلم أن هؤلاء اليهود المسيحيين هم أول من كتب مخطوطات الأدب المسيحى التى يشير إليها الكاردينال دانيلو بالتفصيل وحيث يقول: {لم تكن اليهودية المسيحية سائدة فقط فى القدس وفلسطين طيلة القرن الأول لكنيسة . فقد تطورت البعثة اليهودية المسيحية فيما يبدو فى كل مكان قبل البعثه البوليسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة فى رسائل بولس إلى صراع مال } . أنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب فى غلاطيه، وكرونتة، وبولوس، روما، وأنطاكية . كان الساحل السورى الفلسطينى من غزه إلى أنطاكية يهودياً مسيحياً وكما تشهد بذلك أعمال الرسل والكتابات اللكيمنتيه ونظرا لذلك فإن بولس أعتبر خائنا لدعوة وفكرة المسيح كما وصفته أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا فى القدس حول جاك وخليفته سيمون .

ثانياً: يقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية {١١/١} :

{وأعرفكم أيها الأخوة الأنجيل الذى بُشّرت به، أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته . بل بإعلان يسوع المسيح} ولكن ما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يُعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم . للوقت لم أستشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلى، بل إنطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق} .

تعقيب:

وهذا إدعاء غريب من بولس أنه بشر بإنجيل لا نعلم له مصدر لأن كلمة ولما سرّ الله ـ ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم . إذن هذا الإنجيل جاءه من الله وأكده المسيح أن يبشر به وهى قصة لم نعلم لها أصلاً سواء فى الأناجيل الأربعة التى لم تذكر بولس أو فى أعمال الرسل سوى قصصه الغريبة فى مقابلته للسيد المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق، وحتى لو أخذنا بتصديق هذه القصة تجاوزاً، فإن المسيح قال لبولس عندما سأله وهو متحير: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قُم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل} . تسع كلمات هى كل ما كان بين بولس والمسيح ثم دخل بولس دمشق وقابله حنانيا إلى آخر هذه القصة والتى سنشرحها لاحقاً .

فما هو وأين هذا الإنجيل الذى زعمه بولس أنه أخذه من الله والذى قال عنه {للوقت لم أستشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم، على الرسُل الذين قبلى . هنا ندرك أن بولس زعم هذا الإنجيل من عندياته، ففى هذا الوقت كانت الأناجيل كثيرة، فأراد بولس أن يكون له إنجيل خاص به، لم يأخذه من إنسان ولا حتى من الحواريين الذين رفضوه فى أول الأمر ومع كل هذا فأين هذا الإنجيل؟ إن هذه السبعة والعشرين سفراً أو الأربعة أناجيل وثلاثة وعشرين رسالة من قبل ثمانية كُتاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة إلا فى القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية المسكونى ٣٢٥م، ولم تكن هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنائس عامة قبل ذلك ومع ذلك فأين إنجيل بولس الذى زعمه . ألم يكن من الأولى عند إقرار الرسائل فى مجمع نيقية أن يكون إنجيل بولس المزعوم هو أحداها ومع ذلك . فإن كتاب الدكتور إبراهيم الطرزى يتكلم عن الأناجيل

الغير قانونية {الأبوكريفا} المخيفة فيقول: لا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، لكن لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيون المبكرون من شواهد مأخوذة من تقليد شفهي فذلك لا يمكن الجزم به . وليس هناك قبل ١٤٠م شهادة تثبت أن القرن الثاني الميلادى شهادات إزدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وجرى الإعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجى {وساعد فى إطلاق مصطلح العهد الجديد فى عام ١٦٠م والذى زاد فى سرعة أنتشار هذا المصطلح هو تدخل مرقيون عام ١٦٠م الذى أرد نبذ سلطة العهد القديم بالكامل فأراد من ناحية تزويد كنيسته بأسفار مقدسة ومصطلح جديد} .

وجاء عام ١٥٠م ليكون حاسماً لتكوين قانون العهد الجديد وكان الشهيد {يوسنينوس} أول من ذكر أن المسيحيين يقرئون الأناجيل فى اجتماعات الأحد وإنهم يعدوّنها مؤلفات الرسل وأنهم وهم يستعملونها ويولّونها منزلة الكتاب المقدس ـ غير معروفة ما هى الأناجيل كمصطلح ـ وإذا أوليت هذه المؤلفات تلك المنزلة الرفيعة، فيبدو أن الأمر لا يعود إلى أصلها الرسولى، بل لأنها تروى خبر {الرب} وفقاً للتقليد المتناقل ـ شفهياً . وبعد عام ١٥٠م أمست حاجة الكنيسة إلى قاعدة شاملة، فإنتهجت الأنظار إلى الأناجيل الأربعة لأنها نالت اهتمام الناس وحجبت المؤلفات المماثلة.

فيمكن القول إنه فى عام ١٥٠م حظيت الأناجيل الأربعة بمقام الأدب القانونى وإن لم تستعمل هذه اللفظة فى ذلك الحين .

أما رسائل بولس فقد أدخلت برمتها عندما أصبح الرأى القائل أنه لابد من الحصول على قانون للعهد الجديد، ولأن بولس إستطاع أن يحل ويحرم ما يشاء، ولنعد إلى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس {٢كو: ٣/٦} .

والقول هنا بأن رسائل بولس أخذت برمتها فى الكتاب المقدس هو قول فيه شك، ولكن ما أخذ عن بولس هو فقط ما أراده الأباء الأولين أو اللاهوتين المسيحين الأوائل وفيما يتفق وقتئذ مع رؤياهم اللاهوتية المسيحيين الأوائل وفيما يتفق وقتئذ مع رؤياهم اللاهوتية ومزج فلسفة بولس مع الفلسفة الوثنية، فى ذلك الوقت للتسهيل على الرومان الوثنيين فى الدخول فى المسيحية، ولأن هناك أعمال بطرس وبولس، وأعمال بولس

وسيلا التى كتبها ترتيليان فى نهاية القرن الثانى، وترتيليان هذا أحد شهود القس منيس عبد النور، ثم سفر الرؤيا لبولس، ثم رسالة بولس للاودكيين بالإضافة إلى مراسلات بولس وسينيكا، وأعمال بولس وتكلا كل هذا رفضته الكنيسة الأولى واعتبرتها غير قانونية بل أن مقدمة الراعى {هرماس} كان من أكثر الكتب شعبية فى الكنيسة المسيحية الأولى وإحتل مكانة مقدسة فى قلوب المسيحيين حتى أنه كان من ضمن كتب العهد الجديد، لأن هرمان هذا قد ذكره بولس فى رسالته لأهل رومية، وأيد ذلك كل من أوريجانوس، ويوسابيوس القيصرى، وجيروم، وكلهم أستشهد بهم الدكتور مينس فى كتابه، زيادة على أن إيريناوس أدرج هذا الكتاب فى العهد الجديد، وأكليمندس اعتبره نصاً إلهياً، أوريجانوس قال أنه أن وحياً إلهياً . أما ترتليان فقد وصفه بالكتاب الخفى ونبذه، فنبذته الكنيسة .

إذن فالمسألة بالنسبة لاختيارات الكتاب المقدس مسألة بشرية وإلقاء صفة هذا إلهى وهذا غير إلهى، وهذا مقدس وهذا غير مقدس تحدد من رؤية شخصيته أو رؤية إنسانية بشرية ليس لها تصنيف ثابت أو محدد، ويندرج تحت هذا الرسائل الثلاثة والعشرين التى كتبت فى العهد الجديد من بولس إلى أشخاص تنتهى بسلامات وأشواق لأشخاص بعينهم رسائل مقدسة كتبت بوحى إلهى ويتم التعبد بها وتقديسها، بل وكيف يمكن أن آخذ رسائل متعددة مرسلة إلى شخص معين لا نعرف من هو تحديدا وأن من أرسلها لم ير المسيح ولا يعرف عنة شيئاً سوى روايات أخذها من شخص لا يعرف عنه شيئاً سوى أنه عاين وشهد المسيح ولم يذكر اسمه وربما يكون هذا الشخص موجوداً فى أورشليم وشاهد وعاصر المسيح وكما عاصره كل سكان فلسطين وقتئذ وشاهدوا معجزاته . ثم نجعل كل هذا فى إنجيل كامل وهو إنجيل لوقا ولا نعرف حتى من هو لوقا وأين كان يقطن أو جنسيته ولا نعرف المرسل إليه سوى إسمه ثم نخمن أنه كان من أشراف اليونان والتناقضات كثيرة يا دكتور مينس لا نستطيع حصرها .

وأهمها ان من كتب هذا الإنجيل لم يقل أن رسائله سوف تتحول إلى كتابات مقدسة توضع فى كتاب يطلق عليه إنجيل ثم يوضع فى الكتاب المقدس والذى يطلق عليه أنه كتاب موحى به من الله .

ثالثا: نأتى بعد ذلك للجزئية الأخيرة والتى يعترف بها بولس أن الحواريين

رفضوه بعد أربعة عشر سنة عندما ذهب إلى أورشليم للمرة الثانية فيقول بولس لأهل غلاطية {١/٢} : ثم بعد أربع عشرة سنه صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا .

آخذاً معة تيطس أيضاً وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتدين، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً . لكن لم يضطر ولا تيطس الذى كان معى، وهو يونانى أن يختتن . ولكن بسبب الإخوة الكذبة المُدخلين خفيّه، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الانجيل .

وأما المعتبرون أنهم شيئاً مهما كانوا، لا فرق عندى، الله لا يأخذ بوجه إنسان، فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشيئ، بل بالعكس، إذ رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان .

إلا أن المسألة لم تستمر طويلاً حيث دبّ الخلاف بين بولس وبطرس وبرنابا فيقول بولس {١١/٢} : ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً . لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم . ولكن لمّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى معه باقى اليهود أيضاً، حتى إن برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم ! . لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل، قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم ان يتهودوا؟ نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم الخطاة، إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بايمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما .

تعقيب:

تعتبر هذه الفقرة هى أهم ما كتبه بولس على الإطلاق فى كل رسائله، فهى تثبت إسقاطه للتوراة وشريعتها، وأن إنجيله الذى يبشر به كان إنجيلاً منفرداً بذاته والذى اعلن فيه كيف تم التزاوج بين مسيحية المسيح والوثنية وهو ما أسميته {الوثنية المسيحية} .

والمسألة تبدأ بوصول بولس إلى أورشليم وبعد أربعة عشر عاماً .

وقبل أن نخوض فى هذه الجزئية الهامة، علينا أن ندرك هذا التضارب بين الأناجيل التى كان بولس يكرز بها .

إنجيل المسيح

تم ذكره فى عدة مواقع الرسائل ففى رسالته إلى أهل غلاطية {٦/١} : إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح ـ وهو بولس ـ إلى إنجيل آخر ـ وهو بطرس ـ ليس هو آخر، غير أنه قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

وفى رسالة بولس إلى أهل رومية {١٩/١٥} : حتى أنى من أورشليم وما حولها إلى اليريكون قد أكملت بالتبشير بإنجيل المسيح .

إنجيل الله

فى رسالته إلى أهل رومية {١/١} : بولس عبد يسوع المسيح المدعو بولس المفرز لإنجيل الله .

إنجيل بولس

رسالته إلى أهل رومية {٢٥/١٦} : وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح .

ومع هذا فلا توجد أى من الثلاث أناجيل هذه الآن وحتى إنجيل مرقس الذى نوّه عنه بولس لا نعرف عنه شيئاً! .

ونعود إلى الجزئية التى تكلم عنها بولس والخاصة بوصوله إلى أورشليم وبعد مدة تقدر بأربعة عشر عاماً، ولا نعلم أين كان بولس خلال هذه الفترة، إلا أنه كان كثير الترحال وقرر بعد أربعة عشر عاماً أن يذهب إلى أورشليم مع ملاحظة أن الأربع عشر عاماً كانت فترة إنقطاع لأن بولس حددها، فلو كان ذهب خلال ذلك لحدد ذلك ومنذ آخر فترة كان فيها فى أورشليم إلا أن تحديده هذه الفترة يؤكد أنه لم يذهب إلى أورشليم

وهذا يعنى أيضاً أنه لم تطأ قدماه مدينة أورشليم وبالتالى لم يقابل أحداً من حوارى المسيح خلال هذه الفترة . وهناك حكمة غريبة قالها بولس وهى {إنما صعدت بموجب إعلان} ، أى أنه ذهب إلى أورشليم بموجب إعلان ولا ندرى أى إعلان هذا الذى يدفع بولس إلى الذهاب إلى أورشليم بموجب إعلان بعد أربع عشر عاماً، فهل تم استدعاؤه من قبل الحواريون وهذا الرأى المرجح، وحيث أن إنجيل بولس هذا ألغى فيه ما نادى به المسيح من قبل من عدم تغيير حرف واحد من الناموس وحول الختان الجسدى إلى ختان روحى، بل وألغى الناموس ككتاب للعقيدة اليهودية وجاء بشيئ لم يقل به صاحب الديانه أو حوارييه من قبل لذلك فقد طالبه الحواريون بعرض إنجيله الذى يكرز به، ويقول بولس فى ذلك: {وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم} وعندما رفض الحواريون ما يدّعيه، رفض بولس بالتالى هذا الرفض وكان معه فى الذهاب إلى أورشليم برنابا وتيطس وهو وثنى الأصل يونانى وأعطاهم الحجة أن تيطس هذا برغم دخوله المسيحية فهو يرفض أن يختتن . ثم أعطى المبرر لأهل غلاطية عن أن إنجيله على الحق والذى أطلق عليه إنجيل العزلة، وأن الإنجيل الذى يبشر به الحواريين، ولم يكن أمام الحواريين سوى ترك بولس يفعل ما يحلو له {فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشيئ} هم كانوا يعلموا من هو بولس قبل دخوله المسيحية وكيف كان يفعل مع المسيحيين، لذا آثروا السلامة، ثم يختتم بولس هذه المقابلة بنوع من الدهاء لأهل غلاطية محاولاً مسرحة الموقف لهم وحيث يقول: {فإذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفاً ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم {غير اليهود} أما هم فللختان . وهنا نرى كيف إنفصلت عقيدة الختان أو وضعها إختيارية يلغيها إذا كانت الكرازة بانجيل بولس، ولا يلغيها من كانت كرازته بإنجيل الحواريين ونلاحظ هذا حتى وقتنا هذا نرى أن الأورثوذكس يختتنون تماماً على استمرار الناموس فى جزئية العقيدة هذه . إلا أن بولس غالباً ما انقلب على الحواريين ودليلنا على ذلك فى مقابلة بطرس لبولس كانت المواجهة، ففهى الإصحاح ١١/١: ولكن ما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً { غير اليهود} ولكن لما أتوا كان يؤخر ويعزز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى[1] معه باقى اليهود أيضا، حتى أن

---

(١) من الرياء .

برنابا أيضاً أنقاد إلى ريائهم! لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً ولا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟ نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم الخطاة، إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما .

التعقيب على الجزئية

إن رسالة بولس إلى أهل غلاطية من أهم رسالات بولس، لأن رسائل بولس بعضها كتب إلى أشخاص فهى رسائل شخصية أكثر منها دعوية، وبعضها كتب إلى أهل مكان وهى رسائل تحمل بين طياتها مسيحية جديدة لم يأمر بها المسيح أو حوارييه، لأنها تلغى أكثرية الناموس {التوراة} ولسوف نتطرق بالتفصيل لبولس وسيرته وللقارئ أن يحكم فى النهاية ورسائل بولس هذه هى أول ما عثر عليه وإن كان هناك بعض الرسائل قد رفضتها الكنيسة لعدم موافقتها السياق مع باقى الأناجيل أو حتى باقى الرسائل .

شبهات حول
إنجيل يوحنا

شبهات حول إنجيل يوحنا

لم يتناول أحد من علماء مقارنة الأديان أو كتّاب الديانات المسيحية تاريخ المسيحية إلا وكان شاؤول أو بولس هو عماد كتابته، حتى أن بعض الكتاب تفردوا بكتابات منفصلة عن سيرة بولس مثل الكاتب حبيب سعيد الذى كتب عن تاريخ حياة بولس وتحت عنوان {سيرة بولس الرسول}، ويروى حبيب سعيد قصة بولس وكأنه يروى قصة من قصص ألف ليلة وليلة، والدكتور منيس عبد النور وكل العلماء يدرك تماماً أن أساس المنهج العلمى هو التوثيق وليس السرد أو الكلام المرسل، وكل ما ملكه حبيب سعيد واعتمد عليه ثمانية مراجع وضعها فى نهاية كتابه وحتى فى صفحة ٢٩٤ فى البيان التاريخى لسيرة الرسول يقول:

هذه الأرقام تقريبية وقد استندنا فى إثباتها {وليس فى نقلها} إلى بحوث الأستاذ العلامه السير وليم رمساى وهو من ثقات المؤرخين فى حياة بولس . والسؤال هنا ومن أين أرخ هذا العلامة على هذه التواريخ .. لا يعلم هذا إلا الله وحده . لذلك فإن حبيب سعيد يعتمد فى قصته هذه، كما اعتمد غالبية المؤلفين النصارى من مصطلحات تكشف خيالات واسعه مثل: {وأحسب أن ـ ولذا أتصور ـ ولعله ـ بل وأذهب إلى أبعد من ذلك ـ وتباينت الآراء ـ وأظن ـ وأغلب الظن ـ وأستطيع الجزم ـ وعلى الأرجح ـ .... الخ} وكثير من هذه المصطلحات التى يبنى المؤلف عليها هذه السيرة .

وقد تناول أيضاً مصطفى شاهين فى كتابه {النصرانية تاريخاً وعقيدة} .

وتناول السيد سلامه غنمى فى كتابه {التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير}

وتناول الدكتور موريس بوكاى فى كتابه {القرآن والتوراة والإنجيل والعلم فى ضوء المعارف الحديثة} .

وتناول مجموعة من العلماء فى مناظرة أيضاً سيرة بولس، وكثير وكثير حتى الأناجيل فى أعمال الرسل .

إلا أننا بادئ ذى بدء سوف نبدأ معاً بما يسمى بأعمال الرسل والتى أوحوا إلينا

أن كاتبها هو لوقا وهذا بعد أن ننتهى من الإنجيل الأخير وهو إنجيل يوحنا .

* ـــــــ *

يعد إنجيل يوحنا من أخطر الأناجيل التى كتبت، لأنه يحمل بين سطوره صراحة القول بألوهية المسيح، لذلك فهو يعتبر الدليل الوحيد لكل من ادعى هذه الإلوهية .

من هو يوحنا؟

كان السائد فى الوسط المسيحى أن يوحنا صاحب الإنجيل هو يوحنا الحوارى أحد الإثنى عشر تلميذاً الذين اختارهم المسيح، والذى توفى بين ٩٨م، ١٠٠م، وإليه ينسب هذا الإنجيل وهو أخو يعقوب بن زبدى، وقد صاحب يوحنا المسيح مع بقية الحواريين .

إلا أن هذه التكهنات والإجتهادات عن كاتب هذا الإنجيل على أساس أنه يوحنا الحوارى، ذهبت جميعها أدراج الرياح عند التصنيف العلمى لهذا الإنجيل وثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن مؤلف إنجيل يوحنا ليس هو يوحنا الحوارى، بل هو شخص مجهول الهوية لم يُعرف له أصل أو جنسية، وأن علماء النصارى فى القرن الثانى أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى..

ولعل القس عزيز فهيم يعترف بهذا فيقول: لقد أنكرت جماعة مسيحية هذا الإنجيل مع سفر الرؤيا، واعتبرتها كتب غنوصية أو هرطوقية وقد بدأ هذا الإعتراض يأخذ شكلاً واسعاً فى نهاية القرن التاسع عشر .

وتقول دائرة المعارف البريطانية: إننا نشفق ونرأف على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة بين ذلك الرجل الفلسفى الذى كتب هذا الإنجيل بالحوارى يوحنا الجليلى، فإن أعمالهم تضيع سدى لتخبطهم على غير هدى .

وينقل لنا صاحب كتاب الفارق[1] . رأى {ستادلن} والمحقق {برطشبنور}

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ـ ابن سليم البغدادى .

والمحقق {كرونيس} ورأى طائفة {الوجين} قولهم: إن كافة إنجيل يوحنا ليست من تصنيفه، بل صنفها طلبة من طلاب مدرسة الإسكندرية .

ويضيف برطشبنور قوله: إن هذا الإنجيل كله وكذلك رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل كتبها أحد الأشخاص فى بداية القرن الثانى، ونسبها إلى يوحنا الحوارى ليعتبره الناس .

ويقول {كرونيس} : إن هذا الإنجيل كان عشرين باباً، فألحقت به كنيسة آفاس الباب ٢١ بعد موت يوحنا .

إلا أن البرهان القاطع هو ما أوردته دائرة المعارف الكبرى والتى قام بتأليفها أكثر من خمسمائة عالم نصرانى، فتحت عنوان أناجيل قالت دائرة المعارف: {أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، وأراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما وهما القديسان متى ويوحنا، ولقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن هذا الكتاب أنه هو يوحنا الحوارى الذى يحبه المسيح . فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت إسمه على الكتاب، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه .

أسباب كتابة إنجيل يوحنا

مما لا شك فيه توثيقاً أن إنجيل يوحنا كتب خصيصاً لإثبات ألوهية المسيح والتى اختلفوا فى شأنها، ولعدم وجود نص صريح فى الأناجيل يعلن ألوهية المسيح، وهذه هى الحقيقة وهى أن النصارى الأولين مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها يدل على ألوهية المسيح، لذلك فإن الأساقفة الذين أعتنقوا ألوهية المسيح وقبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها لما أرادوا أن يحتجوا على من أنكر هذه الألوهية لم يجبروا على من أنكر هذه الألوهية . فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب كما يدعّون إنجيله هذا ليشتمل على الحجة والبرهان أمام هذه القضية . لذلك قال {جرجس زوين} فيما ترجمه: إن {شيرينطوس} ، {أبيسون} وفرقهما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا بشراً . وأنه لم يكن قبل أمه مريم، وعلى ذلك اجتمع كل أساقفه أسيا وغيرهم عند يوحنا

والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح إنجيلاً يخالف ما كتبه الإنجيليون السابقون عن إثبات لاهوت المسيح وهذا ما قاله {يوسف الخورى} فى مقدمة تفسيره لكتابه من تحفه الجبل حيث يقول: إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة أسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم .

وفى تحليلى الشخصى لهذا الموضوع أقول أن كل الحواريين الأثنى عشر لم ينادى أحد منهم بألوهية المسيح سواء فى دعوته أو حتى فى مذكراته إذا كانت له مذكرات . بل البعض من غير الحواريين وعلى رأسهم بولس والذى سنفرد له فصلاً كاملاً، لذلك كان الآباء الأولون هم أول من بدأوا فى نشر مسألة لاهوت المسيح لأن أعضاء الجماعة الأولى وكما يقول {ول ديورانت} فى موسوعته كانوا يسلكون مسلك اليهود فى كل شئ ويلتزمون بالسبت وبناموس وشريعة موسى، ولا يتميزون عن اليهود الآخرين إلا فى أمر واحد ـ وهو أن يسوع هو المسيا، وأن قدره أن يعاود الظهور كحامل للخلاص النهائى، وكان الرسل مثل بطرس ويوحنا، إضافة إلى أعضاء الجماعة الآخرين يذهبون إلى الهيكل كل يوم لعبادة إله إسرائيل . وعلى أية حال فقد حددوا تبشيرهم فى فلسطين بالطائفة اليهودية أساساً، وفى هذا الموقف كانوا يتلقون دعماً من التقاليد الأولى المتعلقة بالمسيح، فقد كان يعلّمهم بأن لا يبشروا بعقائده إلا لليهود وهذا ما قاله متى ١٠/٥ـ٦ .

وهذا يثبت فى الرأى أن المنادة بلاهوت المسيح كانت شفهية وكان أساس ذلك هو ما ابتدعه بولس والذى كثر ترحاله ودعوته بهذا اللاهوت .. مما جعل هذه الدعوة تنمو وتنتشر وتتصدى للدعوة المضادة وكان على رأس ذلك أساقفة أسيا أن تضع حداً ليس برسائل من بولس بل بإنجيل كامل فكُتب هذا الأناجيل وألصق به اسم يوحنا ليعتبره الناس . وهذا تقريباً ما أثبته {بروبرايوالد} بالشهادة القوية بأن إنجيل يوحنا ورسائله وكتاب المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد .

ويقول {يوسيبيس} فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب السابع من تاريخه: {قال ديرنيسيس: أخرج بعض القدماء كتاب المشاهدات من الكتب المقدسة وإجتهد فى دره، وقال: هذا كله لا معنى له وأعظم حجاب الجهالة وعدم العقل، ونسبته إلى يوحنا الحوارى خطأ، ومصنفه ليس بحوارى ولا رجل صالح، ولا مسيحى،

بل هو من تأليف {سرن تهسن} الملحد ونسبه إلى يوحنا لكنى لا أقدر على إخراجه من الكتب المقدسة لأن كثيراً من الأخوة يعظمونه .

أما الدليل القاطع ضد إنجيل يوحنا كان بطه الكنيسة ذاتها فى قبول هذا الإنجيل، فعلماء الكنيسة تشككوا فى أن يعتمدوا على شهادة {ايريناوس} . لأن {جاستن مارثر} كتب عن الأناجيل فى القرن الثانى الميلادى، ولم يذكر هذا الإنجيل ورغم أنه تكلم عن يوحنا الرسول إلا أنه لم يتكلم عن إنجيله من قريب أو بعيد وكذلك نرى قائمة {المورثورى} لا تعطى التأكيد القاطع على أن يوحنا الحوارى هو من كتب هذا الإنجيل .

أما {يابياس} والذى يقتبس يوسابيوس منه أنه كان يسأل كل من سمعوا من الحواريين الأوائل مثل بطرس وأندراوس ومتى وفيلبس وتوما ويعقوب ويوحنا .. ثم يقول: وكذلك ماذا يقول {أرستيدن} ويوحنا الشيخ تلميذ الرب: يقول يوسابيوس: من الواضح أن يابياس يذكر إثنين الأول هو يوحنا الرسول التلميذ الرب وقد مات، أما الثانى فهو غالباً من كتب هذا الإنجيل[1] .

إلا أن القس عزيز فهيم يتابع قوله: نظراً لهذا الغموض فقد خطرت نظرية تقول: إن التلميذ الذى كان يحبه يسوع هو التلميذ المثالى والذى يمثل التلمذة الحقيقية، ولم يكن له وجود حقيقى بين التلاميذ .

هل يتخيل القارئ هذا التأويل المتّسم بالسذاجة كمحاولة للخروج من هذا التخبط؟

فإذا ذهبنا إلى {جون مارش} وهو أحد العلماء الذين تناولوا تفسير إنجيل يوحنا حيث فى مقدمة تفسيره وتحت عنوان {استحالة التوكيد} : حين نأتى لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة نتساءل ـ من كان هذا اليوحنا الذى قيل أنه المؤلف؟ أين عاش؟ ولمن كتب إنجيله؟ وأى المصادر كان يعتمد عليها؟ ومتى كتب هذا المصنف؟ . حول كل هذه الأسئلة وحول غيرها كثير، توجد أحكام متباينة، ومع ذلك فإن أياً منها لا يرقى إلى مرتبة التوكيد

(١) المدخل إلى العهد الجديد ـ القس عزيز فهيم .

ويختم جون مارش مقدمته فيقول: وبعد أن نفرغ كل ما فى جعبتنا نجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل . تحقيق أى شئ حول توكيد هذا الإنجيل[1] .

لهذا يقول القس عزيز فهيم معقباً فى إجابته عمّن كتب هذا الإنجيل: هذا سؤال صعب والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهى بعبارة {لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل}[2] .

لذلك يقول {أ. بولمان} فيما رواه الدكتور موريس بوكاى فى كتابه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: إن بولمان لا يتخذ موقفاً خاصاً بهذا الموضوع فى كتابه العهد الجديد، كما أن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس . تحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحوارى وإن كان هذا غير مستبعد برغم كل شئ، ولكن كل هذا يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد: فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذى نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الإصحاح ٢١، كما أضافوا ولا شك بعض الحواشى مثل ٤، ٢ وربما أيضاً ٤، ١، ٤٤/٧ ، ٣٧ب، ١١، ٢، ١٩، ٣٥} .

أما فيما يختص بالمرأة الزانية الإصحاح ٣٥/٧ إلى ١١/٨} فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل، ألحق فيما بعد {وإن انتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسياً} .

إن يوحنا غالباً شرع فى الكتابة بعد المبشرين الآخرين، وإننا لا يجب أن نندهش عندما لا نجد فى إنجيل يوحنا كل ما تحتوى عليه الروايات الأخرى والترجمة المسكونية تذكر عدداً معيناً من حالات هذا النوع، ولكن أكثر ما يثير الدهشة هو بعض الثغرات . فبعضها معقول بالكاد، كتلك التى تخص تأسيس القربان المقدس . إذ كيف يمكن تصور يوحنا وهو المفكر المبشر المتأمل لا يتحدث عن الحدث الرئيسى فى المسيحية والذى سيصبح ركناً من أهم أركان الطقوس الكنسية أى القداس؟ الحادث فعلاً أن يوحنا يكتفى فقط . فى سرده لهذا العشاء الذى يسبق الآلام بوصف غسل أقدام الحواريين

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ـ جون مارش .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ـ القس عزيز فهيم .

والتنبؤ بخيانة يهوذا، وبإفكار بطرس . وعلى العكس من هذا أيضاً ففى إنجيل يوحنا روايات غير واردة فى الأناجيل الأخرى، والترجمة المسكونية تشير إليها . ورب قائل لأن الثلاثة الآخرين لم يروا فى بعض الأحداث الأهمية التى ميزها يوحنا . ولكن كيف لا ندهش عندما نجد فى إنجيل يوحنا رواية عن ظهور المسيح لتلامذته على بحيرة طبرية بعد أن قام من الأموات، وليست هذه الرواية إلا نقلاً مع كثير من التفاصيل الإضافية لمعجزة الصيد التى رواها لوقا كحادثة وقعت فى حياة المسيح .

ويشير لوقا فى روايته إلى وجود يوحنا الرسول . إن إنتماء هذه الرواية من إنجيل يوحنا الذى يتفق الجميع على أنها إضافة لاحقة ـ يسهل علينا تصور أن ذكر اسم يوحنا فى رواية لوقا قد دفع المؤلف إلى ضم اسم يوحنا بشكل مصطنع إلى الإنجيل الرابع . ولهذا الغرض لم يتردد النص الإنجيلى فى تحويل حدث وقع فى حياة المسيح إلى رواية وقعت بعد مماته حسب زعمهم!

ويؤكد واقع هذا الإنجيل الشيخ محمد أبو زهرة حيث يؤكد فى كتابه محاضرات فى النصرانية: إن إنكار علماء النصرانية فى نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصياد الحوارى ليست وليدة هذه العصور المتأخرة فحسب، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى إذ أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى، وكان بين ظهرانيهم {أرينيوس} تلميذ {بوليكارب} تلميذ يوحنا الحوارى ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتماً تلميذه بوليكارب ولأعلم تلميذه أرينيوس ولأعلن هذا الأخير هذه النسبة عندما شاع إنكارها!

ثم تثبت دائرة المعارف البريطانية أن هناك شهادات يحملها هذا الإنجيل فى طيها، تنطق بأنه ليس من تأليف يوحنا الحوارى، فمثلاً: يفوح هذا الإنجيل بأن مؤلفه يهودى بالتأكيد، يعلم بالتصورات والمعتقدات اليهودية {٢٧/٤، ١٥/٧، ٧/٩، ٩/٤، ٤٩/٧، ٢١/١، ٢٥/٤، ١٤/٦ ... وكثير، على حين أن يوحنا بن زبدى الحوارى كان أمياً جاهلاً، كما تثبت أعمال الرسل ١٣/٤ ثم يستشف من أن مؤلفه كان ينتمى إلى أسرة ذات نفوذ وسلطان . بينما كان يوحنا الحوارى سماكاً بسيطاً بالنسبة للشرف الدنيوى .

كما يضاف إلى كل ذلك أن كثير من العلماء كانوا يدفعون أو يتفادوا ذلك بقولهم

أن مؤلف هذا الإنجيل هو يوحنا الأرشد الذى أكرمه المسيح في أواخر أيامه بصحبته، إلا أن يوحنا الأرشد هذا لم يذكر فى أى مكان من قبل فضلاً فإن يوحنا الحوارى قد مات شنقاً بواسطة {أغريبياس الأول} عام ٤٤م .

ختاماً لهذا الباب أن بعض مؤلفو هذه الرسائل لا يعلم بما كتبه الآخر لأن بعض كتّاب هذه الرسائل كتب عن عقائد غريبة تتناقض مع العقائد الأساسية للنصرانية مثل قول بطرس: إن المسيح قضى عقب موته ثلاثة أيام فى جهنم بين الأرواح المحبوسة فى السجن {فهل يعقل أن إله كما يدّعون ينزل إلى جهنم ويكون بين الأرواح المحبوسة ثلاثة أيام؟} وعلى الرغم أن هذه المسألة الغريبة لم تذكرها أى من الرسائل الست والعشرين التى تكون العهد الجديد . فهل أتى بطرس الوحى له منفرداً ليقول هذا أو بإلهام من الروح القدس؟

إن المسيح عند النصارى هو إله وكما ذكر إنجيل يوحنا ٢٠/٢٨ والنصوص كثيرة التى يحويها العهد الجديد تفيد هذا المعنى والتى يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح، حتى الدكتور منيس عبد النور فى كتابه[1] يقول: عندما نفكر فى لاهوت المسيح نقف فى خشوع لأننا نتأمل غير المحدود الذى تواضع وأخذ صورة البشر .. ولاهوت المسيح سر، وعظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد .

وتساؤلى للقس منيس أى خشوع يتحدث عنه وقد ادعى كبير التلاميذ وجوده فى جهنم ثلاثة أيام بين الأرواح المساجين .

وعن أى سر يتحدث وكل كتابات العهد الجديد تتحدث عن المهانة التى لقيها المسيح على يد الجنود الرومان وصلبه على الصليب الخشبى .

وأى تقوى يا دكتور منيس تتحدث عنها وقد لعنت التوراة كل من صلب على الخشب، أننى أعلن التحدى أن تبين لى دون لبس وبعبارات واضحة بالدليل البين الفرق الحقيقى بين لاهوت وناسوت المسيح دون فلسفات أو كلمات ممطوطة أو ألغاز وأسرار لا علمها أحد .

(١) ألقاب المسيح ـ الدكتور القس منيس عبد النور .

إن مسألة ألوهية المسيح هذه والتى يتحدث عنها الدكتور منيس مسألة طارئة دخيلة على النصرانية، ولم يؤمن بها الجيل الحقيقى الذى عاش مع المسيح وعاشر أيامه وربما حتى الجيل الذى يليه، وربما ولادة المسيح من غير أب وهى مسألة لا شك أنها خارقة .. كانت العامل المساعد لهذه الإنحرافات وحتى ترسخت هذه العقائد فى أذهان الكثيرين بين النصارى فى القرن الرابع، هذا بجانب العوامل الأخرى مش مسألة بنوة المسيح وأنه الكلمة، وكلاهما استعملها الكتاب المقدس . فمسألة ألوهية المسيح سبقتها فكرة بنوته {إن منشأ هذه العقيدة فى تأليه المسيح يرجع إلى ما ذكر عنه بأنه ابن الله الوحيد، وأن المسيح حادثة غير عادية فى تاريخ البشرية، ولم تكن هناك حاجة فى الأصل لتأكيد غرابة هذه الحادثة ولا سيما وأن اليهودية السابقة للمسيحية قد مهدت لمجئ المسيح، وكان مجيئه البرهان على الدعوى السابقة[1] .

والأناجيل التى أطلقت على المسيح {ابن الله} ورد فيها هذا اللقب أيضاً على غيره . وأطلقت البنوة على المؤمنين لتمييزهم وقد كتب هذا المعنى العام فى رسالة بولس إلى رومية[2] . مع الأخذ فى الاعتبار أن اليهودية لم تذكر ألوهية المسيح إلا أن إنجيل يوحنا الرابع هو الذى انفرد ببيان ألوهية المسيح بصريح اللفظ والعبارة، وميز بين بنوة المسيح والبنوة التى وردت بمعناها العام فأطلق على المسيح {ابن الله الوحيد} حيث جاء فى هذا الإنجيل {لأنه هكذا أحب الله هذا العالم كثيراً حتى بذل ابنه الوحيد} يوحنا ١٦/٣ . وهذه الكلمة هى القاعدة التى اعتمد عليها مجمع نيقيا فى قانون الإيمان فأطلق على المسيح {الإبن الوحيد المولود من الآب} .

تعقيب:

أعتقد أن الدكتور منيس يعلم تماماً قصة النبى إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذى امره الله أن يذبح أحد ولديه ولسنا هنا فى جدال حول إن كان الذبيح اسحق كما تقول التوراة أو كان إسماعيل كما يثبت القرآن ولكننا ننظر إلى الوضع بتعقل وحكمه فقد أخذ إبراهيم ولده ليذبحه .. فماذا كان موقف الله الرحيم من ذلك .. كان يختبر الأب والابن

---

(١) Newyork Oxford Press ١٩٦٤ .

(٢) رومية ١٤/١٨ .

على مدى طاعتهما لله ﷻ إلا أنه فى اللحظة الحاسمة تدخل عدل ورحمة الله فى ذلك وأرسل كبشاً لذبحه بدلاً من ولده وليعود القارئ فى التوراه وفى قصة إبراهيم وفى سفر التكوين من العدد {١} إلى العدد {١٤} ..

فهل بعد هذه الرحمة والعدل لله ﷻ يقول يوحنا لأنه هكذا أحب الله هذا العالم كثيراً .. أبعد هذا الحب الإلهى الكبير لهذا العالم تكون نتيجته أن يرسل ابنه الوحيد كما تدعون ليهان ويصلب ويموت .. ولماذا؟ .. الخلاص البشر؟ مم ؟.. إذا كان الله أحب العالم كثيراً .. أبعد هذا الحب الإلهى الكبير لهذا العالم تكون نتيجته أن يرسل ابنه الوحيد كما تدعون ليهان ويصلب ويموت .. ولماذا؟ .. لخلاص البشر؟ مم ؟.. إذا كان الله أحب العالم كثيراً أليس الله بقادر على محو خطايا كل البشر بكلمة منه .. أليس هو الخالق لكل شيئ وكما تقول كل قوانين الإيمان الصادرة عن الكنيسة .. ألم يقل القرآن وفى سورة الصافات ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ*فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ*وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ*قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ*إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ*وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّفات:١٠٢: ١٠٧] ..

ألم يقل ﷻ ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة:١٧] ..

ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] ..

لقد جاءت كلمة رحمة فى القرآن {٧٩} مرة، وجاءت كلمة رحمته {٢٥} مره، وجاءت كلمة الرحمن {٥٧} مرة ونعطى بعض الأمثلة:

١} ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢] ..

٢} ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]

٣} ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣] .. ٠

٤} ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٧] ..

٥} ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] ..

٦} ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر:٥٣] ..

وفى خطابه لليهود يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤] ..

وحتى فى وصيته الله الله ﷻ إلى عامة لمسلمين يخاطبهم بالرأفة بالوالدين فيقول ﷻ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] ..

إن الله ﷻ لا يعذب مؤمنا صالحاً فيقول فى سورة النساء الآية ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧] ..

إلا أن الذى استوقفنى آيتان تسقط ما إدعاه النصارى ..

١} ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] ..

٢} ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ..

ولأعود مرة أخرى للقس الدكتور مينس .. فإنا أدرك تماماً أنه لا يؤمن بالقرآن، تماما كما لم تؤمن اليهود بالأناجيل ولكن أستحلفك بكل غال لديك .. أكل هذه الآيات البينات الواضحة وضوح الشمس من رحمة خالقك وإلهك وغيرها كثير والتى تفيد هذه الرحمة والعدل والتى هى من صفات الله ﷻ، فهو الرحمن، وهو الرحين، وهو السلام، وهو الحكيم، وهو العدل، وهو اللطيف، وهو الودود، وهو الحليم، وهو التواب، وهو الغفور، وهو الكريم، وهو الحق، وهو البّر، وهو العفو، وهو الهادى ..

أبعد كل هذه الآيات والصفات يخرج عليكم بطرس ليقول لكم بمنتهى البساطة أن

الله بذل ابنه الوحيد للخلاص، ولذلك فهو قضى عقب موته ثلاثة أيام بين الأرواح المساجين وفى جهنم

وعن أى ثلاثة ايام يتحدث فيها أهى الثلاثة أيام بعد صلبه أى وهو فى القبر إن كثير من النصارى أنفسهم اختلفوا فى هذه المده .. وأنه فى الأصل لم يقبض عليه ولم يحاكم ولم يصلب وبالتالى لم يدفن وهذا حسب إنجيل يوحنا: {سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه .. فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضى إلى الذى أرسلنى .. ستطلبونى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا .. فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعّلم اليونانيين؟ ما هذا القول الذى قال: ستطلبونى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟[(١)] .

تصريح واضح ولا لبس فيه أن المسيح لن يتم القبض عليه لأنه سيرفع، حتى أن اليهود تساءلوا فيما بينهم عن قوله الذى لم يفهموه . ولكن الكنيسة فلسفت هذا وقالت ما قالت .

يا دكتور منيس ألم تقرأ قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] . وكلمة الوجيه فى المعجم: ذو الجاه وسيد القوم والجمع وجهاء[(٢)] .

ألم تقرأ قول الله ﷻ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠/ ٣١] .

أبعد هذا تؤكدون إهانته بعد القبض عليه ثم صلبه ثم ليخرج بطرس ويدعى أن هذا النبى الوجيه فى الدنيا والآخرة، والمبارك فى كل مكان يحل فيه أنه قضى بعد موته ثلاثة أيام فى جهنم بين الأرواح المسجونة . ما هذا يا دكتور منيس؟ .

---

(١) يوحنا: ٧/ ٣٢ ـ ٣٦

(٢) المعجم الوسيط حرف الواو صفحه ١٠٥٧

لقد كان مجمع نيقية والذى عقد ٣٢٥م وأقر العهد الجديد . ووضع اللبنة الأولى لمسألة التثليث وألغى كل ما عدا العهد الجديد والتى اعتبرها كتابات هرطوقية غير قانونية . وجاءت الرسالة المحمدية ٦١٠م .

هل علمنا هذه التواريخ ؟ نذهب إلى كتاب {أبو كريفا العهد الجديد} للدكتور إبراهيم الطرزى والذى يقول فى مقدمة كتابه: {يضم هذا الكتاب عشرة مخطوطات نادرة أغلبها ينشر لأول مرة باللغة العربية ثمانية منها تمثل قصص الميلاد والطفولة المخفية للعذراء مريم ويسوع وقصة موت يوسف النجار . كما يضم إنجيل توما الذى أكتشف فى نجع حمادى عام ١٩٤٥ باللغة القبطية وترجم إلى جميع لغات العالم وقد حاز على شهرة شعبية عظيمة الإرتباط القريب للأناجيل القانونية، ولأنه يحتوى على الأقوال السرية[1] ليسوع المسيح والذى نشر فى بريطانيا ١٩٥٩م فى مجلة {الصنداى تايمز} . وأيضا على إنجيل مرقس السرّى الذى اكتشف في دير القديس {مارسابا} فى أورشليم القدس ١٩٥٨م .

وهذا الكتاب هو واحد من سلسلة تضم كل مخطوطات العهد الجديد المخفية تنشر لأول مرة باللغة العربية .

هذه الكتابات كانت فى حالة إخفاء تام مثل مخطوطات البحر الميت أو مخطوطات كهوف قمران بالأردن .

فإذا أخذنا الفرق بين مجمع نيقية ٣٢٥م وبين بدايات الرسالة المحمدية ٦١٠م . أى ما يوازى ٢٧٥م . ثم تنتقل إلى هذه الكتب المخفية فنجد الأتى وحيث يقول {فونتاجو رودس جيمس} فى نشره طبعتها جامعة أكسفورد ١٩٢٤م . وأعيد طبعها بعد ذلك بانتظام: {لا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، لكن لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين المبكرين من شواهد مأخوذه من الأناجيل، أو تلّمح إليها، لكن هل هذه الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة أم تقليد شفهى فذلك لا يمكن الجزم به . وليس هناك قبل عام ١٤٠م شهادة تثبت أن الناس قد عرفوا نصوصاً إنجيلية مكتوبة . فلم يظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى شهادات ازدادت وضوحاً على

(١) هل للمسيح أقوال سرية وأقوال علنية؟

مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وجرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي ـ الاعتراف القانوني جاء فى ٣٢٥م ـ فابتداء من عام ١٥٠ عهد حاسم لتكوين قانون العهد الجديد وكان الشهيد يوستينس أول من ذكر أن المسيحيين يقرئون الأناجيل فى إجتماعات الأحد، وإنهم يعدونها مؤلفات الرسل وأنهم وهم يستعملونها يولونها منزلة الكتاب المقدس، {لماذا؟} لا يعلم أحد ـ وإذا أوليت هذه المؤلفات ـ {ليست وحياً مقدساً} ـ تلك المنزلة الرفيعة . فيبدو أن الأمر لا يعود إلى أصلها الرسولى، بل لأنها تروى {خبر الرب} وفقاً للتقليد المتناقل ـ مع الأخذ فى الأعتبار أن الأناجيل المخفية غالبيتها تروى أيضاً خبر الرب ـ ولكن سرعان ما شدد على نسبه هذه المؤلفات إلى الرسل وخصوصاً لما أمست الحاجة إلى حمايتها من المؤلفات الشبيهة بها والتساؤل من الذى حدد المؤلفات الأصلية من المؤلفات الشبيهة ؟ وبعد عام ١٥٠ أمست حاجة الكنيسة إلى قاعدة شاملة . فاتجهت الأنظار إلى الأناجيل الأربعة ـ {لماذا؟{ ـ لأنها نالت اهتمام الناس وحجبت بسرعة مجمل المؤلفات المماثلة .

والتساؤل هل إنجيل الطفولة لتوما إنجيل مماثل، وهل إنجيل البداية ليعقوب إنجيل مماثل . وهل إنجيل برنابا إنجيل مماثل؟ . ثم تستطرد الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس قولها:

ويمكن القول أنه فى عام ١٥٠م حظيت الأناجيل الأربعة بمقام الأدب القانونى {ليس وحياً} وإن لم تستعمل هذه اللفظة فى ذلك الحين .

أما رسائل بولس فقد أدخلت برمتها عندما أصبح الرأى القائل أنه لابد من الحصول على قانون العهد الجديد .

ويظهر هكذا نشوء مبدأ قانون جديد لأسفار مقدسة ! ويرجع كثيرا أن الذى زاد فى سرعة هذه الحركة هو تدخل {مرقيون} الهرطوقى عام ١٦٠م الذى نبذ سلطة العهد القديم بالكامل فاحتاج بشدة إلى تزيد كنيسته بأسفار مقدسة وربما يقتضى ذلك من قانون جديد .

وقد جرى بين عام ١٥٠م وعام ٢٠٠م أن حدد علي نحو تدريجى أن سفر أعمال الرسل هو مؤلف قانونى وقد عده {إيريناوس} أسقف ليون فى أواخر القرن الثانى سفراً

مقدساً . واستشهد به على أنه شهادة لوقا في كلامه عن الرسل . فهو مؤلف تابع لهذا الإنجيل الثالث . وقد فازت الأناجيل الأربعة بمنزلة منيعة مع رسائل الثلاث عشر وسفر أعمال الرسل ورسالة بطرس الأولى .

وهناك في ذلك الوقت كانت هناك مؤلفات جرت العادة على أن يستشهد بها فى ذلك الوقت على أنها من الكتاب المقدس، لكنها لم تبق زمنا على هذا الحال بل أخرجت آخر الأمر من القانون، ذلك ما جرى لمؤلف {هرماس} وعنوانه {الراعى وللدايكى} ورسالة برنابا ورؤيا بطرس - وهناك أسفار جرى النزاع على صحتها، فقد أنكر الغرب صحة الرسالة إلى العبرانيين وأنكر الشرق صحة الرؤيا، ولم تقبل إلا ببطئ رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا، ولا حاجة إلى أن نتتبع تتبعاً مفصلاً جميع مراحل هذا التطور الذى أدى خلال القرن الرابع إلى تأليف قانون هو فى مجمله القانون الذى نعرفه اليوم بعد الإقرار بحق الصدارة لسلطة كنيسة روما .

فإذا تصفحنا بعض اوراق هذه الأناجيل المخفية سنرى عجباً . نفى ففى إنجيل شبيه متى وحيث يقول المؤلف أنه أخذ ترجمة هذا الإنجيل فى نص {تشيذورف} والذى هو مبنى على مخطوط الفاتيكان رقم {٥٢٥٧}

١} فيقول الإصحاح ٢٧/١-٤ {وأنه حدث بعد تلك الأمور، على مرآى من الجميع، أخذ يسوع طين صلصال من الأحواض التى صنعها، ومنها صنع أثنى عشر عصفوراً . وكان السبت حينما فعل يسوع ذلك، وهناك كان كثيراً جدا من الأطفال معه . عندما رآه أحد اليهود يعمل ذلك، قال ليوسف: يوسف ألم تر الصبى يسوع يعمل فى السبت مالا يحل له عمله؟ لأنه قد صنع اثنى عشر عصفوراً من طين الصلصال .

وعندما سمع يوسف ذلك، انتهره قائلاً: لماذا تفعل أنت السبت تلك الأمور التى لا يحل لنا فعلها؟ وعندما سمع يسوع يوسف خبط يديه سوياً وقال لعصافيره {طيروا} وعلى صوت أمره بدءوا فى الطيران، وعلى مرآى ومسمع من جميع الواقفين جانباً .

هذه القصة تكررت فى إنجيل الطفولة لتوما فى الإصحاح الثانى .

وتكرر فى إنجيل الطفولة لتوما فى النص الثانى الاصحاح الثالث .

وتكرر فى إنجيل الطفولة لتوما وهو النص اللاتينى الإصحاح الرابع .

ثم تكررت القصة مرة أخرى فى إنجيل قيافا وفى الاصحاح {٤٦} هذا غير الوثائق التى لا أعلم عنها شيئاً فماذا حدثنا القرآن عن هذه الواقعة بعد ٦١٠ عاماً أو أقل قليلاً على مرورها مع ملاحظة أنها لم تكتب فى أى إنجيل من الأناجيل باللغة العربية يقول الله ﷻ ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران:٤٩] .

إلا أننا سنأخذ بعضاً من آيات القرآن الكريم ونقارنها بما جاء فى الأناجيل المخفية .

٢} يقول رب العزة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:١٦/ ٢١] .

فهل جاءت الأناجيل المخفية بمثل هذا ؟

يقول إنجيل ميلاد مريم الإصحاح {٩} : {وفى تلك الأيام، أى وقت مجيئها الأول للجليل، أرسل لها الرب الملاك جبرائيل، ليعلن لها حبلها بالرب، وليشرح لها الأمر ووسيلة الحبل، بناء عليه، بدخوله ملأ الحجرة حيث كانت بنور عظيم، وحيّاها بأكثر لطفاً قائلاً: السلام يا مريم يا عذراء مكرمة جدا لدى الرب، العذراء الممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت فوق جميع النساء ـ والملاك الملهم الإلهى، تبنى هذا الفكر، قال: لا تخافى يا مريم، كما إنه ليس هناك شيئاً مضاداً للعفة مختبئاً وراء هذه التحية . لأنه باختيارك العفة، أنت قد وجدت خطوة لدى الرب، ولذلك أنت عذراء، سوف تحبلين بدون خطيئة وتلدين إبنا . هو يكون عظيماً .

لم تشك العذراء فى تلك الكلمات للملاك، لكن راغبة أن تعرف الوسيلة، أجابت: كيف يحدث هذا؟ لأنه بينما بناء على نذرى لن أعرف رجلاً، كيف ألد بدون إضافه بذرة الرجل؟ لهذا قال الملاك: لا تظنى يا مريم، إنك تحبلين بالطريقة البشرية .

لأنه بدون علاقة جنسية برجل، أنت عذراء، ستحبلين، أنت عذارء ستلدين، أنت عذراء سترضعين . لأن الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك .

ثم تكرر الموضوع فى إنجيل البداية ليعقوب الإصحاح ١٢، ١١ .

وتكرر فى إنجيل شبيه متى الإصحاح .

وتكرر فى قصة يوسف النجار الإصحاح ٦، ٥ .

٣} يقول القرآن الكريم: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم:٢٢/ ٣٠] .

فماذا قالت الأناجيل المخفية فى ذلك:

يقول إنجيل شبيه متى الإصحاح {٢٠}: {وحدث فى اليوم الثالث من رحلتهم، بينما كانوا سائرون، أن القديسة مريم كانت تعبة من حرارة الشمس الزائدة، وناظرة نخلة قالت ليوسف: دعنى أسترح قليلاً تحت ظل هذه الشجرة . لذلك أسرع يوسف وقادها للنخلة وأنزلها من دابتها . ولما كانت مريم جالسة هناك، تطلعت لفوق لأوراق النخلة، ورأتها ممتلئة بالثمار، وقالت ليوسف: إنى راغبة إن كان ممكناً أن تجلب بعض الثمار من هذه النخلة . وقال يوسف لها: إنى مندهشاً من قولك ذلك، حينما ترين كيف أن النخلة عالية . وأنت تفكرين فى أكل ثمارها . إنى مفكراً أكثر فى الحاجة للماء لأن جلودنا جفت الآن وليس لدينا شيئاً لننعش أنفسنا وأبقارنا . حينئذ فأن الصبى يسوع بملامح سارة، إستراح فى حضن أمه قائلاً للنخلة: يا شجرة، إحنى أغصانك وأنعشى أمى بثمارك . وفى الحال عند تلك الكلمات أحنت النخلة قمتها إلى أسفل حتى أقدام القديسة مريم وجمعوا منها ثمراً، الذى أنتعشوا به كلهم .

وبعد أن جمعوا كل ثمارها، بقيت منحنية لأسفل، منتظره الأمر لترتفع من الذى أمرها بالإنحناء . حينئذ قال يسوع لها، أرتفع بذاتك، يا نخلة وكونى قوية . وافتحى من جذورك مجرى من الماء الذى كان مختبئا فى الأرض ودع المياه تنساب حتى إننا يمكن أن نكون راضيين عنك، وفى الحال إرتفعت، وعند جذورها بدأ تدفق نبع من الماء. رائقاً جداً وبارداً ولامعاً . فحينما رأوا نبع الماء، ابتهجوا بفرح عظيم وكانوا راضيين هم ذاتهم وجميع أبقارهم ودوابهم . لأجل ذلك اعطوا شكراً لله . ونحن لن نتكلم إذا كان ذلك قبل أو بعد المخاض . إلا إننا نؤكد أنه كان قبل المخاض .

٤} يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٧/٢٨] .

وتقول الأناجيل المخفية {إنجيل شبيه متى} الإصحاح {١٢}: وبعد تلك الأمور، برزت هناك إشاعة عظيمة أن مريم كانت بطفل، وقبض ضابط الهيكل على يوسف وأحضروه سوياً مع مريم لرئيس الكهنة وهو مع الكهنة بدءوا فى تعنيفه وفى القول: لماذا أنت قد غررت بعذراء عظيمة جداً ومجيدة للغاية ـ التى لم ترغب أبدا أن ترى أو يكون لها رجلاً، فتعهد يوسف وأقسم أنه لم يمسها على الإطلاق ـ حينئذ أجتمع جموع الشعب وأقاربها وأبويها وقالوا لمريم: أعترفى للكهنة بخطيئتك . أنت كنت مثل يمامة فى هيكل الرب وتلقيت طعام من أيدى ملاك . ومرة أخرى إستحضر يوسف إلى المذبح وأعطى ماء شرب الرب ليشرب فمتى شرب أى أحد كان كاذباً، هذا الماء وسار سبع مرات حول المذبح، الله أن يظهر علامة على وجهه . حينما لذلك شرب يوسف فى أمان وسار حول المذبح سبع مرات، لم تظهر علامة خطيئة فيه . حينئذ فإن كل الكهنة والضباط والشعب برروه قائلين: مبارك أنت، لأننا رأينا إنه لا توجد تهمة ضدك .

فاستحضروا مريم وقالوا: فما هو عذرك الذى لديك؟ أو ما هى العلامة التى يمكن أن تظهر بك خلاف حمل الرحم؟ الذى يفضحك . ذلك فقط ما نحتاجه منك، منذ أن كان يوسف بريئا بالنسبة إليك؟ اعترفى أنت بالذى غرر بك . لأنه حسنا أن إعترافك سوف يفشى سرك، عن أن الإنتقام الإلهى يضع علامة فى وجهك ويفضحك فى وسط الشعب . حينئذ قالت مريم بثبات وبدون إرتعاش: يارب الله، ملكاً فوق الجميع، الذى

يعرف جميع الأسرار، إن كان هناك دنساً فى، أو أى خطيئة، أو اى رغبات شريرة،أو عدم عفه، اكشفنى لنظر جميع الشعوب واجعلنى عبرة للعقاب للجميع . قائلة هكذا، صعدت لمذبح الرب بجسارة، وشربت ماء الشرب وسارت حول المذبح سبع مرات، فلم توجد علاقة بها .

٥} يقول الله ﷻ فى كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٥/ ٤٦] .

وفى سورة مريم يقول ﷻ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا*قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم:٢٩ :٣٥]
فإذا ذهبنا إلى الأناجيل المخفية فسنرى إنجيل قيافا وفى الإصحاح الأول يقول عن ذلك: {وجدنا ما يلي فى كتاب يوسف الكاهن العلى . الذى عاش فى زمن المسيح . البعض قال إنه قيافا . هو قال أن يسوع تكلم وبالحقيقة عندما كان راقداً فى المهد قال لمريم أمه: أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، الذى أنجبتيه، مثلما أعلن لك والملاك جبرائيل، وأبى أرسلنى لخلاص العالم .

وكلمتى الآن إلى العزيز الدكتور منيس: إن هذه بعض الوثائق عن أناجيل حُكم عليها بالهرطقة، وربما بالتجديف، رغم أن هذه الوثائق كانت قبل البعثه المحمدية على الأقل ٥٧٠ عاماً، وبالرغم من الحكم عليها بالسرية وحتى لو كان الحكم قد صدر فى مجمع نيقية ٣٢٥م وباختيار الأربعة أناجيل فقط فإن الفرق يكون ٢٨٥ عاماً، فهل علم الرسول بهذه الوثائق السرية؟ ومن كانت له السلطة ليلغى هذا ويضع ذاك؟

إن الحواريين أنفسهم لم تكن لهم السلطة فى ذلك، والدليل على ذلك أننا إذا رجعنا إلى موسوعة تاريخ المسيحية لجون لويمر وفى الجزء الأول يقول جون لويمر: كان مارسيون واحداً من أكثر الهراطقة أهمية الذين أتعبوا الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى .

ومع أن الكنيسة قطعته من عضويتها إلا أن معارضيه ظلوا يحترمونه بل هناك من اعتبره واحداً من المصلحين .

فماذا قال مارسيون عن المسيح وعن الأناجيل: لم يكن مارسيون يميز بين الله والمسيح . فالله ظهر فى هيئة المسيح الذى كان جسده شبحاً لم يولد أبداً من امرأة بل ظهر فجأه وبطريقة إعجازية كإنسان كامل، ولم يمت على الصليب ولم يدفن ولم يقم من القبر ! !

تعقيب على هذه الجزئية

ربما يتفاجئ معى القارئ بما كتبه جون لويمر فى الجزء الأول من موسوعته وحيث يقول بالنص: تعتبر الأناجيل، بلا شك، مصدرنا الأساسى عن يسوع، أن لم يكن معروفا للمؤرخين الآخرين، وحتى ولو عرفوه فإنه بالنسبه لهم، لم يكن شيئا يذكر إلى جانب القادة والقياصرة الرومانيين . ورغم ذلك فقد أصبح ذلك الرجل، الذى لم يكتب كتاباً ولم يؤسس مدرسة ولم يقد جيشاً، ولم تزد حياته العامة عن ثلاث سنوات، ولم يزد أتباعه عن أثنى عشر رجلاً قليلى الشأن . هذا الرجل صار النقطة الفاصلة والحاسمة فى التاريخ . لم يظهر اسم يسوع فى أى كتاب من كتب التاريخ العالمى حتى ٩٥م، عندما المؤرخ اليهودى {يوسينوس} إليه مرتين . ويقول العلماء أن الإشارة الثانية جاءت متأخرة وربما مضافة بواسطة كاتب مسيحى . أما كتب الربيين فقد إحتوت على بعض الاشارات القليلة العابرة وكلها مملوءة بالعداء المستحكم . وفى القرن الثانى الميلادى وردت فى بعض كتابات الرومانيين أمثال {تاسيتوس ـ سوتونيس ـ بلينى} إشارات عابره عن شخص اسمه {كريستوس} ولم يزيدوا عن مجرد ذكر اسم المسيح ولم يضيفوا شيئاً للقصة الوافية الكاملة فى الأناجيل .

وأنا لى سؤال للدكتور منيس . نبى من أنبياء الله ولد بمعجزة وأحيى الموتى وشفى المرضى ونطق بكل الحكمة، وانتشرت رسله فى بقاع فلسطين وأنتشرت معها معجزاته، وجاء بولس أو شاول وسافر من أورشليم إلى دمشق إلى أنطاكية إلى روما، ووضع أسس كنيسته أنكون موقف المؤلفين من كتب التاريخ سواء اليهودية أو الرومانية هكذا؟ مجرد شذرات قليلة لا تغنى ولا تسمن من جوع؟ أم أن هذا يدل أن كل ما كان من أناجيل كانت مواعظ وكلمات تتداول شفوياً ثم تم كتابتها بعد ذلك؟ .

إن مارسيون الذى نتكلم عنه وكما تقول عن موسوعة تاريخ المسيحية لم يقبل سوى إنجيل واحد من الأناجيل الأربعه وهو إنجيل لوقا وبعد أن أزال منه الأربعة الأصحاحات الأولى لى {١٣/٤} وحتى يتفادى نسب يسوع إلى اليهود!! فهل إعتقد مارسيون أن المسيح ينتسب إلى الوثنيين مثلا حتى يبعد إنتسابه إلى اليهود، ولكى نحكم على هذا علينا أن نعود إلى إنجيبل لوقا لعله يكون المرشد فى الحقيقة لذلك .

يبدأ لوقا إنجيله فى الأصحاح الأول بأن ما يكتبه ليس إنجيلاً بل هى رسائل متتابعه لصديق له يونانى يسمى {ثاوفليس} ولم يُعرف وثائقيا من هو {ثاوفليس} هذا سوى أنه صديق أو قريب لوقا وأنه ربما يكون من أشراف اليونان . مع الأخذ فى الإعتبار أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الأثنى عشر، ويقول البعض أنه من التلاميذ السبعين وهو مالم يوثق ولم يرد بأى من الأناجيل ولم يذكر إسمه سوى فى رسالة بولس إلى أهل بولوسى ١٤/٤ .

أما مارسيون وحسب قول موسوعة تاريخ المسيحية يقول: إن بولس الرسول كان لوقا هو الكاتب المفضل لديه وأنه قبل كل رسائله عدا رسالته إلى تيموثاوس .

الموقف الواقعى التاريخى من الكنيسة والأناجيل

من الطبيعى أن الأنبياء جاءوا إما برسالات أو لتصحيح شرائع اختلفت فيها الناس أو لتحريم أو لتحليل من بعد الرسل وأن الرسل أصحاب الديانات السماوية موسى وعيسى ومحمد جاءوا بشرائع يتبعها البشر غير مخالفين لها . فعندما يقول رسول أن الزنا محرم فهو تحريم قطعى على التأييد إلا إذا حُلل بنص إلهى وهذا مالا يجوز .

فليس من حق أى بشر أن يحرم أو يحلل أو يحذف أو يضيف بعد رسوله وإلا يكون قد تعدى على دينه وقال بما لم يقله رسوله . إلا أن المسيحية منفردة فى العهد الجديد أخذت مصطلح أن فلانا إمتلى بالروح القدس وفعل كذا . وأصبح هذا الفعل مقدساً لهذا الدين، وكأن نبى هذا الدين قد نسى أن يقول أو يفعل هذا الأمر .

لذلك تقول موسوعة تاريخ الكنيسة: لم يذكر العهد الجديد السبب الذى لأجله استخدم التلاميذ كلمة كنيسة ولا متى استخدموها . وبقدر ما نعلم لم يطرح هذا السؤال للبحث أبداً، وعندما إستخدمها القديس لوقا فى أعمال الرسل {١٥/٥}فعل ذلك دون

تنبيه أو تعريف ـ ولكن العهد الجديد استخدم كلمة الكنيسة بمعنى اجتماع[١] . حتى المسيح نفسه لم يكن يخطط لمنظمة خاصة يطلق عليها الكنيسة، بل الأدهى من ذلك وكما تقول الموسوعة كانوا لا يعلمون أنهم لا يعتبرون أن ما جاء به المسيح ديناً جديدا يخرج أو ينسلخ عن الدين اليهودى فهم كانوا يعتبرونه نبيا من أنبياء بنى إسرائيل مصداقاً لقوله فى إنجيل متى: {لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل}[٢] .

ثم نذهب إلى الإصحاح ٢٤/٧ حيث يقول المسيح: فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها، أشبهه برجل عاقل، بنى بيته على الصخر . منزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر، وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل: فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً .

وهكذا كان الاثنا عشر تلميذاً أن كل ما كان يفعلونه مثبته جذورها فى الناموس وفى التاريخ اليهودى وفى كتابات الأنبياء، وكانت فى حقيقتها دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله، وكانوا يعتقدون أن لهم الحق فى الهيكل وفى الوعظ ويؤكدون أنهم لا ينادون بديانة جديدة أو جماعة جديدة، ولكنهم يعملون على إرجاع إسرائيل إلى المعنى الأساسى الذى أعلنه لهم يسوع[٣] .

إلا أن ما حدث بعد المسيح والحواريين كان خلافاً تاماً لما نادى به . والغريب فى الأمر هو تأكيد هذه الموسوعة هو ما تقوله عن النصف الثانى من القرن الأول الميلادى أى من عام ٥٠م ـ إلى ١٠٠م فهى تصف هذه الفترة بمحدودية المصدر وهذا ما أثبتته موسوعة جون لويمر[٤] فى قولها: هذه الحقبة هى أكثر الحقبات غموضاً فى تاريخ الكنيسة ـ فهى تبدأ من الوقت الذى ينتهى به سجل سفر الأعمال، إذ يتركنا مع الرسول بولس فى

(١) تاريخ الكنيسة ـ ج١

(٢) متى: ١٧/٥ ..

(٣) تاريخ الكنيسة ـ ج١

(٤) المصدر السابق

روما، وتنتهى بانتهاء القرن الأول عندما بدأ الأباء الرسوليين فى الكتابة . فقد مات الرسل الذين رأوا المسيح وعرفوه فى أيام جسده .

تعقيب على هذه الجزئية

لقد وضع جون لويمر فترة الغموض هذه من عام ٥٠م إلى عام ١٠٠ ميلادياً وحددها أى تبدأ هذه الفترة منذ انتهاء بولس من كتاباته أعمال الرسل وتنتهى هذه الفترة مع بداية كتابات الأباء الأوليين ! ! ومعنى هذا أن جون لويمر أعطى الحجية لكل ما كتب قبل عام ٥٠م وما بعد عام ١٠٠م . وهذا ما يؤكده الدكتور موريس بوكاى فى قوله: لا تشير أولى كتابات العصر المسيحى إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً . فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط فى منتصف القرن الثانى وبالتحديد بعد عام ١٤٠م .

إن الأناجيل التى أصبحت رسمية فيما بعد، أى كنيسة، لم تعرف إلا فى عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم فى بداية القرن الثانى، وحسب الترجمة المسكونية، فقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى إلى هذه الأناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى . ولكن يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التى كانت تحت يد الكتاب أو أنهم اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهى اعتماداً على الذاكرة . وأنه لا توجد، على أى حال، أى شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الانجيلية قبل عام ١٤٠م .

وهذه الدعوة تناقض تماماً ما جاء فى ترجمة تريكو للعهد الجديد وفى قوله: {ومنذ وقت مبكر جدا منذ بداية القرن الثانى، أستقر العرف على استخدام كلمة إنجيل إشارة إلى الكتب التى كان القديس جوستين فى عام ١٥٠م كانت تسمى {مذكرات الرسل} وهذا ما يؤكده الأب عبد الأحد فى قوله: إذا كانت حكمة إنجيل كعنوان فهى كلمة باللسان اليونانى، أما النسخ المكتوبة باللسان السريانى وهى الأصلية والمعتبرة فكانت تحمل اسم لآ{كاروزوتا} بمعنى {موعظة}[1] .

---

(١) الانجيل والصليب- عبد الأحد الأشورى .

إن الأناجيل لم تكن كلاً واحداً إلا بعد أكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح . وإن الترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠م تقريبا فيقول {بولمان} فى كتابه العهد الجديد: إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى تثبتت التراث الشفهى . فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنه فى شكله الشفهى فقط . وإن هذا التراث الشفهى فقد نقل أساساً أقوالا وروايات منعزلة .

وقد نسج المبشرون ـ كل على طريقته وبحسب هواه واهتماماته اللاهوتية الخاصة ـ الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات والأقوال بصيغ أسلوبية غامضة مثل {وبعد هذا} وما إن، . الخ إطار الأناجيل المتوافقة مثل متى ومرقس ولوقا كل هذا أدخلها كطابع أدبى وليس له أساس تاريخى .

إلا أن جون لويمر أخذ على عاتقه فترة غموض الكنيسة وتحديدها ما بين ٥٠م ـ ١٠٠م لأنه يعلم دون توثيق أن بعض العلماء أعلنوا كتابه هذه الأناجيل خلال هذه الفترة وحتى لا يتسبب فى وضع هذه الأناجيل خلال هذه الفترة .

إى أننى أحترم وبشدة جون لويمر فى صراحته كمؤرخ كنسى وفى قوله بأن كل ما فعله الأثنا عشر تلميذاً بعد المسيح كان تثبيت الناموس وإعتقادهم أن لهم الحق فى الوعظ فى الهيكل لأنهم كانوا يدركون أن المسيح جاء لتثبيت الدين اليهودى ولم يأت بدين جديد منفصل عن الناموس أو اليهودية .

لهذا لم يكن هناك فكر لاهوتى أو صياغات لاهوتية للكنيسة الأولى ولم يكن بها سوى كلمات المسيح يعظون بها ويكررونها إلا أن ظهور رسائل بولس جددت الصياغة اللاهوتية وحيث انتقلت من كنيسة إلى أخرى . هذا بالإضافة إلى الترجمة السبعينية للعهد القديم والتى كانت معترفاً بها أيام المسيح ثم إستخدمتها الكنيسة فى التعليم والعبادة . إلا أن قادة الكنيسة بعد الحواريين كانوا فى حاجة للإستقلال الدينى عن اليهودية بأى طريقه كانت حتى أن الكنيسة إستخدمتها فى العبادة بها .

إلا أن الكنيسة شعر فيها قادتها بالحاجة إلى تقنين كتب أخرى كانت أصلا موجودة ولم تكن تقبل ككتب قانونية إلا أنهم جمعوها فى مجلد واحد أطلقوا عليها

العهد الجديد، وأهملت بعض الكتب لم تقبل ككتب قانونية كرسالة أكليمندس إلى كورنثوس ورسالة برنابا، ولعل مارسيون وآرائه المتطرفة فى رفضه للعهد القديم وكل الأناجيل عدا إنجيل لوقا، كان العامل الحاسم[1] .

لذلك فإن ظهور الأناجيل واحداً تلو الآخر كان له أكبر الأثر فى تكوين التفكير اللاهوتى للكنيسة خاصة أن الحواريين بدأوا يموتون قبل أن يأتى المسيح ثانية {حسب إعتقادهم} . ولقد نسبت الأناجيل إلى تواريخ متعددة ومختلفة .

إلا أن هناك من تصدى لتلك الخطوة وبدأ فى مهاجمة هذا الفكر اللاهوتى وعلى رأس ذلك كان {مارسيون} فى أوائل القرن الثانى ولكى يبرهن على تفكيره هذا، لم يتردد فى الأقتباس من الكتب المقدسة وتفسيرها حسب هواه وطرح العهد القديم جانباً . وحاربته الكنيسة بشدة وكتب عنه {ايراناوس} قوله: لقد جدّف مارسيون على الله وأهمل كثيرا من تعاليم المسيح .

وعندما أراد الأباء الأولون الإنفصال عن الديانة اليهودية وبعد موت الجيل الأول من التلاميذ والذين كانوا يعظون فى الهيكل ولم تكن هناك كنيسة وكانوا يرددون عظات السيد المسيح الموجهه لليهود الذين قال فيهم أنه لم يرسل الإنحراف بنى إسرائيل الضالة، أرادت الجماعة المسيحية الأولى الأنشقاق عن اليهودية فبدأت فى بناء الكنائس وكان لبولس اليد الأولى لذلك . إلا أن أقوال وعظات المسيح لم تكن تكفى للكرازة والتعبد خاصة وأن فترة الرسالة لم تتعد الثلاث سنوات وكان المسيح دائم الترحال . فرات الكنيسة أن يكون لها كتاب مقدس خاص بها، ولكن كيف والحواريين أنفسهم كانوا يتناقلون ما وعظ به المسيح شفهياً، حتى رسائل بولس كانت بعضها رسائل تأخذ الطابع الشخصى ورسائل تأخذ طابع تشريعات جديدة لم يأمر بها الناموس ولم يأمر بها المسيح نفسه .

إلا أن المسيحية بقيت حبيسه فى قالب اليهودية فكراً ودعوة، ففى الوقت الذى انحصرت كل مشكلاتها فى محاولة إرساء روح طهارة الروح وخلاص النفس البشرية فى مواجهة عالم يهودى غارق فى الماديات، حتى أنه بلغ الحال ببعض طوائف اليهودية {كالصدوقيين} إلى إنكار البعث والحساب ورفض عقيدة الثواب والعقاب، وكان لدى

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ ج١

اليهود اعتقاد راسخ بأنهم سيحكمون العالم باعتبارهم وكلاء عن يهوذا، وبصفتهم بأنهم شعب الله المختار الذى كان مسيحاً يقودهم ليعيد إليهم مملكة داود وسليمان على الأرض أى يترقبون قدوم مسيح ملك يصطبغ بصبغة دنيوية، إلا أنهم وجدوا مسيحاً آخر يقول أن مملكته فى السماء، مسيحاً غير دنيوى يزين لهم {ملكوت السماوات} ، فأنكروه، وآذوه ونالوا منه . مما دفع رسل المسيح فى الخروج وأنهم سيعانون من الاضطهاد فيقول متى ولكن احذروا من الناس، لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون . لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين بن روح أبيكم الذى يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت . والأب ولده، ويقومون الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتى إبن الإنسان}[1] . أما عن قول متى فى الإنجيل{فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس} فهو فى الغالب قول مضاف على هذا الإنجيل الذى تفرد به دون الأناجيل الثلاثة لأن عملية إضافة الروح القدس فى التثليث لم تكن موجودة فى ذلك الوقت الزمنى . فكان القرار بالانسلاخ عن اليهودية والخروج من عباءتها، والتبشير {للأميين} وجاء التحول وكأنه إنقلاب كامل فى الفكر المسيحى وقضايا اللاهوت . وكان لابد من خلط أو مزج الفكر الوثنى الرومانى بكل فلسفاته بروح المسيحية التى نادى بها المسيح وحتى لا تهتز أركان تلك الإمبراطورية بكل ما فيها من فلسفات وأرباب، أضف إلى ذلك اليهود الذين تصدوا منذ بارئ الأمر لهذه الرسالة .

فى هذا يقول الدكتور رأفت عبد الحميد: {لقد جاءت المسيحية أصلاً دعوة روحية للمحبة والسلام والطهارة ولم تأت بنظرية جديدة أو فكر فلسفى، ولم يُرد المسيح لرسله أن يحتلوا كراسى الأستاذية فى المدارس الفلسفية المختلفة، وإنما بعث بهم مبشرين إلى من جاءت المسيحية أصلاً من أجل خلاصهم، وعلّمهم أن المسيحية هى طريقهم إلى الله، وليست مدرسة فلسفية تضاف إلى المدارس الفلسفية العديدة فى العالم القديم، وقد ظل هذا

(١) متى ١٠/١٩ - ٢٣

قائما طالما كانت الرسالة موجهة منذ البداية إلى اليهود، ومن ثم كان الهجوم الموجه إليهم من جانب هؤلاء لاهوتياً وليس فلسفياً، ولما مضوا إلى طريق أمم، وحملوا دعوتهم إلى الأميين، كان عليهم أن يسلكوا طريقاً آخر مغايراً تماماً . لقد أصبح لزاماً على آباء الكنيسة أن يستخدموا الفلسفة سلاحاً يدافعون به عن عقيدتهم ضد هجمات أعدائهم من الوثنيين، وقد ظهرت بالفعل فى كتابات الآباء الأول، كإنجيل يوحنا فى مقدمته، ورسائل بولس إلى اليونان، بعض الجوانب الفلسفية،وإن كانت المسائل اللاهوتية لا يزال لها الأولوية، ولكن الأمور تغيرت بعد ذلك تماماً، وأصبحت الفلسفة لها الغلبة فى الردود المسيحية، وإذاكانت دراسة الفلسفة من جانب آباء الكنيسة جاء نتيجة لسبب خارجى هو هجوم أعدائها الوثنيين عليها، فإن سبباً داخلياً أيضا كان دافعاً لذلك أيضاً، يتمثل فى أن خاصة المثقفين المسيحيين كانوا يرغبون فى الوقوف ـ مادام فى صالحهم ومتاحاً لهم، على تلك الثقافة ليكونوا فكرة عقلية عن العالم والحياة الإنسانية فى ضوء الإيمان . فقد كان من الطبيعى العودة الى الفلسفة السائدة فى العالم الرومانى . لقد كان الهدف من ذلك تقديم العقيدة المسيحية فى مفهوم أكثر أتساعاً وعقلانية . بحيث يكون فى المقام الأول لاهوتيا، وإن كان يحتوى فى الوقت ذاته على عناصر فلسفية، ولم يميز الأباء المسيحيون الذين ساروا فى هذا الطريق بين اللاهوت والفلسفة، بحيث أمسى من الصعب تماماً على أى باحث مدقق أن يفصل بين المسيحية والفلسفة[1] .

وعلى هذا يؤكد الدكتور على هذا التزاوج الذى حدث بين النسيج الفلسفى الوثنى والمسيحى .

وأعتقد أن إضافة الفلسفة الوثنية أحدث نوع من التضارب الفكرى بين الأساقفة فى الكنائس المختلفة فمنهم من إتبع هذا الفكر ومنهم من تصدى له ومنهم من هُدد بإتخاذ سلاح الهرطقة ضده فأثر السلامة وتقبل هذا على مضض . ونحن نسوق للقارئ أحد الأساقفة المعارضين وهو {لوقيانوس} والذى تولى أسقفية أنطاكية {٢٦٠م ـ ٢٦٨م} وهو الذى جهر بأن المسيح مجرد بشر عادى وأنه مخلوق شأن سائر المخلوقات وأنكر الوهيته . وقد أدين لوقيانوس فى مجمع أنطاكية الثالث ٢٦٨م مع الأخذ فى الإعتبار أن

---

(١) الفكر المصرى فى العصر المسيحى د. رأفت عبد الحميد

لوقيانوس تشّبع بهذه الآراء من {بولس السمساطى} الذى يقال أن أريوس قد أخذ منهما هذه الآراء[١] .

فماذا عن الأناجيل وكيف تم إختيارها من قبل الكنيسة؟ تقول موسوعة تاريخ الكنيسة: بدأت الكنيسة تقبل كتبها القانونية المقدسة بالإتفاق العام بين كل الكنائس . وعلى مدى سنوات الخبرة الطويلة والمقارنة أدرك المسيحيون القيم التى ميزت الكتب الموحاة من الكتب الأخرى التى لم تكن سوى كتب نافعة للأعضاء فى قراءتها . وكان أهم الكتب المقدسة هو صلتها بالرسل {مثل بولس ويوحنا وبطرس} أو بتلاميذ مرافقين للرسل {مثل مرقس ولوقا}، ومن الطبيعى ألا تعترف الكنيسة بكل الكتب التى نسبت إلى تلميذ من التلاميذ أو رسول من الرسل . والسبب فى ذلك هو ظهور عديد من الكتب أدّعت لنفسها هذه النسبة ولكن ثبت أن ادعاءها ذلك كان كذباً وهكذا صار الرسل أساساً لقانونية الكتب المقدسة، كما كانوا أساس السلطان الأسقفى .

تعقيب:

إن التاريخ الكنسى لا يؤيد هذه المقولات فإن هذا التاريخ يجزم أن أختيار الأربعة أناجيل وقد تم إضافتها إلى رسائل بولس ورفضت رؤيا يوحنا إلا أنها قُبلت بعد ذلك أما لماذا رفضت ولم قبلت فلا نعلم عنه شيئاً . ومع هذا فإنه بعد إضافتها كان الإدعاء بأنها وحى من عند الله وأنها مقدسة !! .

والتساؤل هنا من الذى وضع نسبة هذه الأناجيل إلى الرسل، فهل مجرد وضع إسم الحوارى على غلاف كتاب يؤكد أن كاتبه هو هذا الحوارى إن الأسماء الأربعة التى ذكرتها الموسوعة لم يكن فيها من الأثنى عشر سوى بطرس وهو الذى كان ملازماً للمسيح فلا بولس ولا مرقس ولا لوقا كانوا من المعاينين لحياة المسيح أو موته . ومع هذا فإن إنجيل بطرس لم يؤخذ قانوناً وأعتبر من الأناجيل الغير قانونية . وأن بولس مثلاً لم يحضر المسيح بل وكان عدواً للمسيحية، وأن لوقا كان انجيله مجرد رسائل يقص فيها قصة حياة المسيح لصديق له {ثاوفليس} ولم يكن هو نفسه يعلم أن رسائله هذه ستتحول إلى إنجيل مقدس بل وليضيفوا على هذه الرسائل أنها كتبت بوحى من الله ولا حول ولا

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ـ أسورستم

قوة إلا بالله . وحتى إذا كانت رسائل بولس هى أقدم الوثائق، وبالرغم من القول: أن عبارة {العهد الجديد} يعود فى جوهره إلى اللاهوتيين الأوائل رأوا ما ذهب إليه القديس بولس فى رسالته إلى أهل كورنثوس . ومع هذا فهناك رسائل لبولس قد رفضت ولم يعترفْ بها كرسائل قانونية .

والطريف هو قول الموسوعة بأن الأختيار لهذا العهد الجديد قد تم بالإتفاق العام بين الكنائس ـ أدرك المسيحيون القيم التى ميّزت الكتب الموحاة من الكتب الأُخرى .

فهل كان رسولنا ﷺ يعلم بهذا الإتفاق الذى تم بين الكنائس أو حتى إدراك التلاميذ الأوائل علمهم بالكتب الموحاة من غيرها إن أختيار الأربعة أناجيل لم يقل به المسيح أو تلاميذه والدكتور مينس يعلم هذا جيداً، فهو إختيار بشرى وليس وحياً كما تدعى الموسوعة التى تقول أن الاباء الأولون عرفوا وميّزوا الكتب الموحى بها من غيرها، فما هى المعايير التى أدركوها والدلائل التى إستندوا عليها للتمييز واستنباط بين أكثر من مائة إنجيل هؤلاء الأربعة وكيف تتحول مثلاً رسائل إلى إنجيل مقدس بل وكيف ينكر إنجيل مثل إنجيل يوحنا ثم يعاد ليتقرر أنه إنجيل مقدس ويضاف إلى الأربعة أناجيل، إذن المسألة لا تخرج عن إصرار الكنائس على وجود عهد جديد مماثلاً للعهد القديم لإثبات الإستقلال عن الدين اليهودى، وأعود فاكرر أن تلك الوقائع لم يعلم رسولنا الكريم ﷺ عنها شيئاً .

ومع هذا فقد أنزلت الآيات القاطعة فى القرآن الذى وإن كان لا يعترف به الدكتور مينس إلا أنها الحقيقة التى لا لبس فيها .

يقول الله ﷻ:

١} ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠] .

٢} ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤] .

٣} ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ *وَكَذَلِكَ مَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرف:٢٢ :٢٣] .

أليس هذا ما حدث يا دكتور منيس؟ ألم يكن اتفاق الكنائس للأربعة أناجيل هو إتفاقاً بشرياً . ولا تقل لى أن هذا وحياً أوحى الله به لأباء الكنائس الأولين لأن الله ﷻ ذكر فى قرأنه بهذا وفى سورة البقرة آية ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] .

فنرى النسخة الإنجيلية ثم النسخة العربية المشتركة ثم النسخة الأرثوذكسية . ألخ .

ولعل ما يثبت من نقوله عن كثرة تنوع وتعدد الكتاب المقدس أن التوراه والأناجيل كانت متداولة شفوياً ردحاً من الزمن، وكما إعترفت بذلك موسوعة جون لويمر، أن القرآن أثبت هذا وبما لا يدع مجالاً للشك فتقول الآية ٧٥ من سورة البقرة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] .

هنا جاءت الأية بالسماع فإن التحريف واقعاً دون شك . والكلام هنا موجه لليهود والنصارى على السواء . لسبب بسيط أنه لم يكن هناك دين منفصل بذاته عن اليهودية وكما سبق القول بل هو مكمل له حسب قول الأناجيل وعلى لسان المسيح نفسه، أبعد هذا يا دكتور منيس هناك حُجة تدحض قولنا هذا، ورجاء لا تدخل الروح القدس فى مجالاتك وكما حدث فى الأناجيل أو رسائل بولس أو رؤيا يوحنا فأنت ودون كبر تعلم تماماً أن مسألة الروح القدس التر زرعها أو قالوا بها الآباء الأوليين وحشروها للهروب . من أى تفسيرات قد تضعهم فى حرج لا يستطيعون الإجابة عليها لأن القرآن أثبت الروح القدس فى موقفين خاص بالنصرانية ففى سورة البقرة الآية ٨٧وفى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣] .

وهذه أحد المعجزات الإلهية التى أعطاها الله ﷻ للمسيح هو تأييده بروح القدس، وأقول أن المعجزة كانت لعيسى فقط} .

أما الآية الثانية فهى الآية {١١١} من سورة المائدة ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١] .

وهنا وحى من الله للحواريين . أما ما تمتلئ به الأناجيل وما تبعها من مصطلح {إمتلئ بالروح القدس، سواء هذا أو ذاك فتلك من الأساطير التى تداولتها الألسنة عبر تناول التوراة والإنجيل فى فترة عدم وجود الكتابات التى تنتمى لذلك .

ومع ذلك يعترف جون لويمر فى موسوعته بقوله: لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التى أعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية، وذلك لندرة الكتابات التى بقيت من تلك الحقبة . كما أشار يوسالبيوس فى كتابه إلى شخص يدعى بابياس ١٣٠م الذى كتب عن الأناجيل ورسالة بطرس أما تاشيان السورى ١٨٠م فقد قام بجمع الأناجيل الأربعة فى كتاب واحد أسماه {الديا تسارون} وهو فى شكل قصة متكاملة ترجم إلى اللاتينية والعربيه وهو يستعمل فى الكنيسة السريانية حتى يومنا هذا . أما القائمة الكاملة فى القائمة {الموارتورية} ويرجعها تاريخها الى عام ٢٠٠م وتحتوى على ٢٤ سفراً فترجع الى عام ٣٦٧م فى خطاب للقديس أثناسيوس أسقف الأسكندرية إذن وكما سبق التأكيد أن مسألة إختيار العهد الجديد ظلّت فى تخبط حتى عام ٣٦٧م، شيئ يضاف وشيئ يحذف، حتى نجدهم وبعد أن إستقر الأمر فى نهاية القرن الرابع يعلنون أن هذا هو العهد الجديد وهو مقدس ووحى من الله ! !

بعد وفاة قسطنطنيوس جاء الأمبراطور يوليانوس وإن كان أعلن إرتداده عن المسيحية والعوده إلى الوثنية وإعلانه التسامح مع المسيحيين إلا أن عصره كانت أحيانا تشوبه بعض القسوة عليهم مثل أن نقول أنه جعلهم مواطنين من الدرجة الثانية بسبب الألهة الوثنية وعودته إليها مرة أخرى . إلا أن فكره فى هذا كان وكما أعتقد له من الأسباب وكما أعلنها جون لويمر فى موسوعته وحيث يقول: قدّم {يوليانوس} العديد من الحجج ضد المسيحيين . فأبرز التناقضات بين العهد القديم والعهد الجديد . ففى رأيه أن المسيحيين تحولوا عن ناموس موسى {فالجليليون} ـ ويقصد بهم المسيحيين ـ مثل دودة العلق، أمتصوا أردأ الدماء من ذلك المصدر وتركوا الأنقى ـ وكانت ألوهية المسيح بالنسبة له أمر لا يصدق ـ كما أعتقد أن المسيحيين أدخلوا بدعاً ليست موجوده أصلاً حتى فى كتبهم المقدسة، مثل تبجيل القديسن {الرؤوس المتعفنة من الأحماض ـ والعظام النتنة ـ صارت

الآلهة الجديدة للشعب الرومانى} أنهم مراءون ومنافقون لأنهم يبشرون بإنجيل المحبة، ومع ذلك يضطهدون خاصتهم من الشعب مثال ذلك الأريوسيين والارثوذوكس} .

أخيراً إن خلاصة وجوهر المعرفة اللاهوتية لديهم تقلّصت إلى أمرين: يصفرون لطرد الشياطين ويرسمون علامة الصليب على جباههم . ولا تعليق لدى !! .

نأتى بعد ذلك إلى فترة إمتدت من النصف الثانى من القرن الخامس عشر إلى أوائل القرن السادس، وهى فترة إنحطت الكنيسة إلى الدرك الأسفل منت رسالتها الروحية والخلقية إلى حالة من السعار الدينيوى من جمع المال وكما زعمت الموسوعة لتاريخ الكنيسة وساطرحها للقارئ كما هى ولو أن الموسوعة ألقت بالمسئولية فقط على البابا إلا أننى أقول أنها فترة تقع مسئوليتها على الكنيسة ومن يمثلها فتقول الموسوعة ! هناك إتهامات كثيرة ضد البابوية، لكن التهمة الأكثر إنتشاراً كان الإستغلال المالى . حتى ضج الناس بالشكوى من أعلى حاكم إلى أدنى قروى وبأن الكنيسة عاشت للمال، ومن داخل الكنيسة ضغط البابا على الأساقفة الذين ضغطوا على الكهنة الذين هم بدورهم ضغطوا على الشعب، حتى أن مواطنا أسبانياً كان يقول: أرى أننا نادراً ما نحصل على شيئ من خدام المسيح إلا بالمال} .

فالعماد بالمال، الزواج بالمال، الاعتراف بالمال، حتى سر المسحة الأخيرة بالمال، ودق الأجراس بالمال، حتى أنه كان هناك محصّلون خصوصيون من قبل البابا يسافرون إلى الأرياف، كانوا يطالبون بعشر دخل الكاهن، وبالطبع كانت الوظائف الكنيسية كانت لمن يدفع أكثر، حتى أنه يقال أن الكنيسة فى فرنسا والمانيا استولت على ما يتراوح من ثلث إلى نصف كل أملاك الدولة، وفى إنجلترا تلقت الكنيسة ٢٥٪ من الدخل القومى . وحتى ظهر مشروع بيع صكوك الغفران لجلب المال .

وهكذا كانت نشأة الكنيسة عند النصارى والتى بدأها بولس ولتكون رمزاً لهم وتؤكد إنفصالهم عن المعبد اليهودى وقيام دين جديد بعيد ومستقلُ عن اليهودية وحتى بعيده عن المسيحية التى نادى بها المسيح وأصبحت لها الطقوس والشعائر الخاصة بها والتى زرعها بولس، وأخذت صفة التدرج حتى ظهرت فى ثوب مستقل تماماً عن مسيحية المسيح .

شبهات
أعمال الرسل

شبهات أعمال الرسل

من الكلمات الأولى فى أعمال الرسل ندرك أن الكاتب هو لوقا لأن شخصية {ثاوفليس} هى الت ارتبطت بلوقا فى بدايات إنجيله، وهو الوحيد من بين الأناجيل الأربعة الذى أراد لأن يكمل الأحداث بعد رفع المسيح غير بقية الأناجيل التى أنتهت بإنتهاء قيام المسيح . فيقول لوقا فى أعمال الرسل:

{الكلام الأول الذى أنشأته يا يا ثاوفليس عن جميع ما تبدأ يسوع يفعله ويعّلم به،إلى اليد، الذى إرتفع منِه . بعد ما أوحى بالروح القدس الذين اختارهم}[1].

{وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يرجوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى، لأن يوحنا عمّد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير، أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب، هل فى هذا الوقت تَرُدّ المُلك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه، لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم،وتكونوا لى شهوراً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض[2] .

تعقيب:

قبل أن أبدأ فى التعقيب على هذه الجزئية أرجو من القارئ أن يفتح الإنجيل على فهرست المعلومات وسيدهش من الأتى:

١ـ هناك بعض الموضوعات التى تأخذ صفة الأحداث الهامة فى حياة المسيح تكلمت عنها الأناجيل على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ الهرب إلى مصر

ب ـ شهادة يوحنا المعمدان للمسيح

ج ـ اقامة لعازر

د ـ سكب الطيب على يسوع

---

(١) أعمال الرسل: ١/٢ .

(٢) أعمال الرسل: ٤/٨ .

هـ ـ الوعد بالروح بالقدس　　　　　　و ـ يهوذا يشنق نفسه

هذه بعض الأمثلة، فإذا أحصينا عددها سنجد أن هناك ٥٤ موضوعاً تكلمت عنها الأناجيل ولم يتكلم لوقا عنها فنجد فى إنجيل متى هناك ثلاثين موضوعاً لم يتكلم عنها لوقا وستة عشر موضوعاً فى إنجيل مرقس لم يتكلم عنها لوقا فى إنجيله ثم سبعة وثلاثين موضوعاً فى يوحنا أيضاً لم يتكلم عنها لوقا فى إنجيله مما يؤكد لنا فى النهاية أن لوقا عندما قال فى إنجيله فى إصحاحه اللأول: {إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندمنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة[1] .

هذا معناه أن لوقا لم يقابل أى أحد من أصحاب الأناجيل الثلاثة سواء متى أو مرقس أو يوحنا أو حتى من الأثنى عشر هذا فى حالة مصداقية لوقا فى أعمال الرسل، عندما أوحى المسيح التلاميذ بعدم مغادرة أورشليم وكما بدأنا الإصحاح الأول من أعمال الرسل، فمن هم الذين ذكرهم لوقا وكانوا معاينيين وخداماً للكلمة؟

إلا أن لوقا يعود فينقض تفسير فى نفس الإصحاح وفى قوله على لسان المسيح وبعد أن أوصاهم بعدم ترك أورشليم يقول لهم: {متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوراً فى أوشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض} ويُضرب بعرض الحائط كلمة المسيح: لم أبعث إلا لخراف بنى إسؤرائيل الضالة} وكلمات كثيره تجب ما ردده لوقا فغالبا أن قال له ذلك هو بولس والذى ذكره فى أحد رسائله كما سبق القول الرسل} وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين فقال: أيها الرجال الإخوة، كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بضم داود عن يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع . اذا كان معدوداً بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة . فإن هذا أقتنى حقلاً من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤهع كلها . وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم} .

تلك كانت قصة لوقا على ما رواه بطرس ولكن لو ذهبنا إلى إنجيل متى الاصحاح

---

(١) لوقا: ١/٢ .

٢٧ العدد ٣/٥، لوجدنا القصة تختلف تماماً فيقول إنجيل متى: {حيّنئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا: قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، فقالوا: ماذا علينا أنت أبصر، فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ثم مضى وخسنق نفسه} .

هذا ما ورد عن موت يهوذا فى العهد الجديد كله . قصتان مختلفتان تماماً الأولى بحسب متى والتى نقض نفسه تماماً، ففى الوقت الذى ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، يعود فيطرح الثلاثين فضة فى الهيكل، فهل أعطاها للشيوخ أم طرحها فى الهيكل .

وفى مقارنة بسيطة بين قصة متى وقصة لوقا يؤكد متى أن يهوذا شنق نفسه ويقص لوقا على لسان بطرس أنه سقط وإنشق من الوسط وإنسكبت أحشاؤه، والمفروض أن كل هذا بإلهام الر وح القدس الذى أملى القصد على متى ثم على لوقا والواضح أنه لا متى ولا لوقا ولا بطرس يعلموا ماذا حدث ليهوذا لسببين:

١} ما جاء بالقرآن الكريم وفى سورة النساء ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء:١٥٧] .

٢} ما جاء فى إنجيل يهوذا الأصلى والمكتشف حديثا: {وفى الفقرة الثالثة: {فنادى يسوع بصوت مرتفع: إلهى . يا من أعالى السماوات . اسمع صوتى، وأشفق على، ونجنى من الشرير، انظر الى ما سمعنى، لأننى وحدى فى ارض خالية، فلينيونى الآن مالا يمكن النطق به . بعد ذلك كان الشيطان يستعد ليتملك بعض تلاميذ يسوع .

وقال يهوذا ليسوع: لكن لن يستريح هؤلاء الذين يطهرهم أسمك، فنطق يسوع: لابد أن تكون هناك كراهية أولا . ثم يتطهرون .

وقال يسوع: وستصبح أنت التلميذ الذى يلعنه الآخرون، وستلعنك الأجيال الأخرى، أنت يا يهوذا من سيضحى برداء الإنسان الذى يغلّف جسدى . ستصبح أنت الثالث عشر وستعود لتسودهم جميعاً .

٣} هل يعقل أن حدثاً مثل هذا . قتل أحد التلاميذ الأثنى عشر نفسه وغدره بالمسيح فى أن يوشي به للكهنه لا تذكره ثلاثة أناجيل؟! .

وكما سبق القول أن هناك علامة إستفهام كبيرة فى مسأله يهوذا مما يدل لنا يقينا أن من يملي على لوقا بداية من أحداث إنجيله وحت أعمال الرسل لم يكن من تلاميذ المسيح الأثنى عشر ةلا يعلم شيئاً عن قتل يهوذا لنفسه لأنه لم يسمع بها ولم يراها وبالتالى لم يقصها .

إن تصميم لوقا على إتخاذ بطرس عميدا لرسائله إلى ثاوفليس، يضع كل ما يكتبه فى شك وريب، وربما ليوحى أن بطرس هو ما كان يملي عليه هذه الأحداث، فنجده فى الإصحاح الثانى يروى عن حضور الجميع وحيث صار بغتة من السماء صوت مثل هبوب الرياح، ملأ كل البيت وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار وإستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنه أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا !!

وعلى الرغم أن الألسنة قد استقرت على كل واحد منهم، وعلى الرغم من أن الجميع امتلأ بالروح القدس . إلا أن هناك من لم يكن له حظ فى ذلك ودار بينهم الحوار التالى: فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض: ما عسى أن يكون هذا؟ وكان آخرون يستهزئون قائلين: انهم قد امتلأوا سلافه[1] .

هناك أدخل لوقا بطرس مرة ثانيه وحيث وقف بطرس مع الأحد عشر تلميذا ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون فى أورشليم أجمعون . ليكن هذا معلوماً عندكم وأصغوا إلى كلامى، لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون ـ {هؤلاء من المرتابين أم المستهزئين؟ والكل فى بيت واحد}[2] ـ لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون، {لماذا}، لأنها الساعة الثالثة من النهار بل هذا ما قيل بيوئيل النبى . يقول الله: ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر {ولم تكن الأيام الأخيرة ولم يكن كل البشر} فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم

---

(١) سلافة ـ خمر .

(٢) تعقيب المؤلف سيكون بين قوسين { } .

أحلاما . وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون ـ {لم يحدث هذا} . ويستمر بطرس فى كلامه حتى يصل إلى القول: {فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً ـ ثم يقول بطرس: {توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعد . كل من يدعوه الرب إلهنا} ـ فقبلوا كلامه بفرح، وإعتمدوا، وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس !! .

والمسألة قد تطول فى أحداث أعمال الرسل، ويقص علينا لوقا تطورات الأحداث وحشر لوقا للقول بمصطلح {امتلأ بالروح القدس} وكأنه شيئ يمكن إستدعاؤه فى أى وقت وأى مكان ومن شخص واحد إلى جموع من الحضور حسب الظروف والملابسات إلى أن ظهر نجم جديد فى الأفق وهو شاؤول {بولس} وعلى الرغم أن التلاميذ الأثنى عشر طلبوا انتخاب سبعة رجال مملوئين من الروح القدس فإختاروا سبعة رجالاً منهم {إستفانوس} والذى كان مملوأً من الايمان والروح القدس ـ {وبسبب هذا الإمتلاء من الروح القدس ـ يقول لوقا: وأما! إستفانوس فإذ كان مملوا إيماناً وقوة، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب كان استغلال الروح القدس استغلالاً ورقة لعب بها لوقا فى أعمال الرسل حتى أنه جعل من معجزات السيد المسيح وكأنها وكما نقول {كارت محروق} وعلى سبيل المثال:

١} نبدأ بانجيل لوقا نفسه وفى الاصحاح ١٩:٦ والخاصة برئيس العشارين {زكا} فى أن المسيح أثناء مروره رأى زكا. {وقال له يا زكا اسرع وانزل، لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك} فأسرع ونزل وقبلّه فرحاً . فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين: إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ . فوقف زكا وقال للرب: ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أردُ أربعة أضعاف . فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا البيت}[1] .

فماذا قال لوقا فى أعمال الرسل وتحت موضوع {حنانيا وسفيرة}

(١) انجيل لوقا ـ ١٩: ٦/٩ .

{ورجل اسمه حنانيا، وامرأته سفيرا، باع ملكا، واختلس من الثمن {ولا أدرى كيف يختلس رجلاً من ثمن ملكاً له} وامرأته لها خبر بذلك، وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل، فقال بطرس: يا حنانيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل؟ أليس وهو باق كان يبقى لك؟ ولما بيع ألم يكن فى سلطانك؟

فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟ أنت لم تكذب على الناس بل الله . فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات !!

ثم حدث بعد مدّة نحو ثلاث ساعات، أن امرأته دخلت، وليس لها خبر ما جرى . فأجابها بطرس: قولى لى: أبهذا المقدار بعتما الحقل؟ فقالت: نعم بهذا المقدار، فقال لها بطرس: ما بالكما اتفقتما على تجربة الروح القدس؟ هو ذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب، وسيحملونك خارجا . فوقعت فى الحال عند رجليه وماتت[1] .

تعقيب:

١} يا دكتور منيس أيأخذ المسيح نفسه نصف ما تبرع زكا العشا ويقول له: اليوم حصل خلاص لهذا البيت ومع العلم أن العشار كانت له نسبة على جمع وجباية الضرائب . ثم يتهم رجلاً بالإختلاس لأنه أخذ من مال حقله الذى جاء به متبرعاً عن طيب خاطر ثم تكون نتيجة ذلك أن يوبخه بطرس فيموت . ثم تأتى زوجته فيفعل بطرس ما فعله من قبل مع زوجها لتقع وتموت هى الأخرى .

٢} كان بطرس يشفى المرضى بظله! على الرغم من أن المسيح نفسه لم يفعل ذلك فيقول الإصحاح ٥ العدد ١٥: {حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح بخسة وكانوا يبرأون جميعهم .

٣} بطرس يحي الموتى!! الأصحاح العدد ٣٦: {وكان فى يافا تلميذة أسمها طابيثا الذى ترجمته غزالة . هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها .

(١) أعمال الرسل: ٥/١-١ .

وحدث فى تلك الأيام أنها مرضت وماتت، فغسلوها ووضعوها فى عليّة وإذ كانت لدة قريبة من يافا}

وسمع التلاميذ أن بطرس فيها، أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى عن أن يجتاز إليهم . فقام بطرس وجاء معهما . فلما وصل صعدوا به إلى العلية، فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرّين أقمصة وثياباً مما كانت تعمل غزالة وهى معهن . فأخرج بطرس الجميع خارجاً، وجثا على ركبتيه وصلى، ثم إلتفت إلى الجسد وقال: { يا طابيثا قومى! ففتحت عينيها، ولما أبصرت بطرس جلست، فناولها يده وأقامها ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حيّة فصار ذلك معلوماً فى يافا كلها} .

٤} بطرس ينكر ما أنكره هو من قبل: فنجد فى الإصحاح ٣ العدد ١٣: {إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ـ{أسقط إسماعيل} ـ إله آبائنا مجدّ فتاهُ يسوع، الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه . ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار}

هكذا كتب لوقا عن هذه الفقرة فإذا عدنا إلى إنجيل لوقا نفسه الإصحاح: ٢٢ العدد ٣١: وقال الرب: سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة! ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك . وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك فقال له: يارب إنى مستعد أن أمضى معك حتى الى السجن وإلى الموت! فقال: أقول لك يا بطرس: لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفنى .

وهكذا تنبأ المسيح بما سيفعله بطرس فماذا حدث؟ فى نفس الأصحاح العدد ٥٤ وبعد القبض على المسيح: {فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة، وأما بطرس فتبعه من بعيد . ولما أخذوه إلى بيت رئيس الكهنة، وأما بطرس فتبعه من بعيد ولما أضرموا ناراً فى سط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم . فرآته جارية جالساً عند النار فتفرسّت فيه وقالت: هذا كان معه! فأنكره قائلاً: لست أعرفه يا إمرأة . وبعد قليل رآه آخر وقال: وأنت منهم، فقال بطرس: يا إنسان لست أنا! . ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا: بالحق إن هذا أيضاً كان معه لأنه جليلى أيضا . فقال بطرس: يا إنسان لست أعرف ما تقول وفى الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب } .

نفس الإنكار الذى فعله بطرس هو ما إتهم به اليهود وكأنه لم يقع فى نفس الخطأ من قبل . يا دكتور مينس أين المصداقية والتحرى فيما يكتب وأنت تعلم أن قضيه إنكار بطرس فى الأناجيل اتفقت عليها الأربعة أناجيل من خمسة عشر موضوعاً فقط . واعتقد أن أعمال الرسل لم يكتبها لوقا منفرداً، وأنا أزعم أن بداية من الأصحاح {١٣} كان كاتب آخر، فقد تحول التركيز من بطرس وما فعله ومعجزاته والتى قد تشبهنا بمعجزات المسيح قد تحولت إلى بولس الذى سيصبح بطل الدعوة بعد ذلك عندما طلب الروح القدس فى كنيسة أنطاكية بولس وبرنابا للدعوة {ترك الروح القدس كل تلاميذ المسيح الأثنى عشر، وإختار بولس وبرنابا !! وبنفس النظام والسيناريو صنع بولس معجزات بمجرد امتلاءه بالروح القدس والذى أصبح يُستدعى فى الوقت والزمان والمكان وكأنه زجاجة من {البارفان} يشمها من أراد فتكون له القدرة على فعل المعجزات والعجائب، حتى بولس بمجرد أختياره وذهابه إلى قبرص مع برنابا ومقابلته لساحر اسمه {عليم} فامتلئ بولس بالروح القدس وحوّله إلى إنسان لا يبصر !!!

الأستعانة بالروح القدس فى العهد الجديد

بنفس الكيفية التى كتبها لوقا عن بطرس كتبت أيضاً عن بولس لذا فأنا أكاد أجزم أن الكاتب الذى كان يركز على بطرس ليس هو نفس الكاتب الذى ركز على قصص بولس، إلا أن المشترك فى الجزئين كان يستدعى الروح القدس ربما ليخرج من مأزق ما، أو ليفعل شيئاً أراد الكاتب توضيحه حتى أن القارئ يجد كل من بطرس وبولس قد فعلا من المعجزات ما يفوق معجزات المسيح نفسه .

لقد جاء مصطلح الروح القدس فى غابيته فى أعمال الرسل، لى تذكر تقريبا فى الأناجيل الأربعة الا أن المصطلح جاء فى إنجيل متى مرتين وفى انجيل يوحنا مرتين، أما فى أعمال الرسل فقد المصطلح جاء المصطلح فى حوالى ثلاثين مرة، ونأخذ امثلة فى ذلك:-

١} وفيه يبعث لوقا لنفس الصديق {ثاوفليس} مذكراً إياه برسائله الأولى {الأنجيل} ثم يكمل فيقول: {الكلام الأول أنشأته باثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعّلم به، إلى اليوم الذى ارتفع فيه، بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم .

ولعلى أسأل الدكتور منيس: ألا ترى معى أن {الباء} هنا تضع تساؤلات فى كلمة {بالروح} لأن الباء هنا تفيد أن المسيح أوصى الرسل الذين إختارهم بالروح القدس، ونظراً لأن الروح القدس فى عقيدة النصارى هى إله من الثلاثة آلهة، إذن فقد أوصى الرسل بالإله، وهذا لا يجوز فكيف يمكن أن يوصي بشر بإله، المفروض العكس يا دكتور مينس، أن يوصى الإله بالبشر حتى ولو كانوا رسلاً .

٢} فى الإصحاح الثانى وفى اليوم الخمسين يقول العدد ٣: {وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار وإستقرت على كل واحد منهم . وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .

والتساؤل أيضاً للدكتور مينس عن اللغات التى تكلموا بها . فحسب مقولة الإنجيل كانت الجنسيات المتواجدة خمسة عشر جنسيه أو خمسة عشر لغة فهل حدد المتواجدون هذه الألسنة، بمعنى أن المتواجدون قد فهموا هذه الألسنة لأنهم قالوا {نسمعهم يتكلمون بعظائم الله!} أى أنهم قد فهموا ما تقوله هذه الألسنة المختلفة، أما من لم يفهم فقالوا أنهم امتلأوا خمراً . وأيضاً هنا . واضح بأن الذين لم يفهموا لم يروا الألسنة المنقسمة وكأنها من نار والتى إستقرت على كل واحد منهم رغم أن البيت كله جاء فيه صوت كأنها ريح عاصف !!!

٣} فى الإصحاح السادس العدد ٢: {فدعا الاثنى عشر جمهور التلاميذ وقالوا: {لا يرضى أن لا نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد . فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم، مشهوراً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجه .} .

المهم أن جمهور التلاميذ اختاروا سبعة على رأسهم إستفانوس والذى قبض عليه لأن كان يضيع عجائب وآيات عظيمة .

مما دفع اليهود على رجمه لأنه حسب ما إدعوه على إستفانوس كان يجدف على موسى والناموس . ومات استفانوس وبحضور شاؤل {بولس} . وإنى أسأل الدكتور مينس <u>هل كان السبعة فى حالة دائمة من الإمتلاء بالروح القدس</u>، مع العلم بأن الروح القدس كانت تستدعى فى وقت ما ولظرف معين، ولكن وحتى لا يكون موت إستفانوس دون فائدة تم حشر الروح القدس ليصنع هذه الأيات والعجائب ثم يرجم ؟ .

وعلى الرغم أن الوعد بالروح القدس والتى لم يتكلم عنها سوى إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ العدد ١٥: {إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد} وفى الإصحاح ١٦ العدد ٥ يقول يوحنا: {وأما ألان فأنا ماض إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى: أين تمضى؟ لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم، لكنى أقول لكم الحق: أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إذا ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة} .

والمعنى واضح يا دكتور مينس فإنه سيأتى بعد المسيح وهو الرسول ﷺ سيؤكد رسالته التى كانت بين من لم يؤمنوا من اليهود وكما قال يوحنا فى الإصحاح ١٧ العدد ٣ يثبت أن بها رسالة عيسى وأنه رسول الله: {وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته} .

أما عن مشكلة كلمة المعزى فهى فى الأصل وكما يعرف الجميع {باركييتوس} وفى النسخة اليونانية {Hepikahtoz}، والمعنى أحمد وأما تحوير البطاركة والآباء الأولين فتلك قضية أخرى . وقد وردت الإشارة إلى الرسول ﷺ فى طباعة لندن ١٨٢١، ١٨٣١، ١٨٤٤ بمعنى {فارقليط} . وجاءت كلمة {المنحمنا} ومعناها الحرفى باللغة السريانية محمد . وأيضا ورد الأسم فى الزبور ومن شاء مزيداً من التفاصيل فليعد إلى كتاب المستشار محمد عزت طهطاوى[1] .

٤} الاصحاح ١٠ العدد ٤٤ من أعمال الرسل: {فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة . فإندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد إنسكبت على الأمم أيضاً} وأننى أسأل العزيز الدكتور مينس تفسير معنى موهبة الروح القدس حتى شملت الأمم أيضاً؟ فى الوقت الذى يقول فيه صاحب الرسالة نفسه} روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم . فإذا كان روح القدس قد حلّ على بطرس، وربما يعلم أن روح القدس قد

(١) محمد نبى الإسلام فى التوارة والإنجيل ـ محمد عزت طهطاوى .

حلّ عليه أثناء كلامه دون أن يستدعيه كما أستدعاه من قبل بطرس ويوحنا {الاصحاح ٨:١٥} . إلا أن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم . والروح القدس قد ادخل مع الثلاثة، أقانيم كإله من الثلاث آلهة يا دكتور مينس، فهل ينسكب الإله على الأمم؟

٥} نتحول الآن إلى الروح القدس وبولس . وهنا يختلف الأمر ففى السابق كان الروح القدس صامتاً لا يتكلم بل مجرد أمتلاء لفعل معجزة ما أو أن يُستدعى الروح القدس فيمتلئ بعد أن يحل عليه ثم ليفعل ما يريد أن يفعله سواء موعظة وحكمه أو آيات أو عجائب .

إلا إننا هنا نجد الروح القدس يتكلم !! . ففى الأصحاح١٣ العدد١: {وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلّمون: برنابا، وسمعان الذى يدعى نيجر، ولوكيوس القيروانى، ومناين الذى تربّى مع هيردوس رئيس الربع، وشاول . وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه }

وأعود لأسأل الدكتور مينس لماذا يتكلم الروح القدس فى هذه الفترة ؟ الغالب فى الأمر أن المسألة لا تعدو إعلان واضح وصريح ببداية رسولية بولس وصك منه حتى يستطيع بولس أن يباشر مهمه وهو مؤيد تماماً كرسول من قبل الروح القدس وكما سيظهر ذلك فى رسائله بعد ذلك . وطالما أن بولس {شاول} مؤيداً بالروح القدس إذن نلتبدأ أولى معجزاته فوراً ففى نفس الإصحاح العدد ٩ وأثناء وجود بولس فى قبرص: { وأما شاول الذى هو بولس أيضاً، فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه، وقال: أيها المتلئ كل غش وكل خبث! يا إبن إبليس يا عدو كل برّ، ألا تزال تفسر فى سبل الله المستقيمة، فالأن هو ذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين . ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده . فالوالى حينئذ لما رأى ما جرى، آمن مندهشاً من تعليم الرب} .

وهكذا تحول بولس إلى صاحب معجزات وعجائب بصك إفراز الروح القدس له . وأحياناً كان بولس لا يستدعى الروح القدس ليقوم بمعجزة ما، أو كما حدث فى {لسترة} الإصحاح ١٤ العدد٨: {وكان يجلس فى {لسترة} رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه، ولم يمش قط . هذا كان يسمع بولس يتكلم فشخص إليه، وإذ رأى أن له

إيماناً ليشفى، فقال بصوت عظيم . قم على رجليك منتصباً . فوثب وصار يمشى . هنا فعل بولس المعجزة دون حاجته للروح القدس !! .

هذا وسوف نتطرق إلى عجائب بولس فى فصل كامل عنه . لقد فعل الروح القدس مع أتباع عيسى بعد ذلك ما لم يفعله عيسى نفسه فبطرس أحيا الموتى وبولس أحيا الموتى وفعل التلاميذ وأتباعهم وتفوقوا على معلمهم بواسطة الروح القدس .

لذلك كان لابد من وضع الروح القدس فى الثلاثية مع الأب والإبن فأصبح يصدر مع ركنى التثليث بصورة دائمة وأبدية، والعجيب أن مجمع القسطنطينية ٣٨١م كان أساس انعقاده هو محاكمة أصحاب البدع والخارجين عن إجماع الكنيبسة، فيقول زكى شنوده صاحب كتاب تاريخ الأقباط: كان الغرض من عقد هذا المجمع محاكمة أصحاب البدع ومنهم {مقدونيوس}، {يوسابيوس} ، {ابوليناريوس} حيث أنكر الأول لاهوت الروح القدس، إذ قال بأنه مخلوق كسائر المخلوقات . المهم أن المجمع إنتهى بإضافة على قانون نيقية ٣٢٥م ووثيقة الإيمان وحيث أقر المجمع الوهية الروح القدس فى شركة الثالوث، وحيث يقول ابن البطريق فى هذا: {زادوا فى الأمانه التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين إجتمعوا فى نيقيه: {الإيمان بروح القدس الرب المحى المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والإبن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الأب والأبن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص، وحدّيه فى تثبيث، وتثليث فى وحدية}[1] .

وعن الرأى العلمى لى شخصياً أتحدى أن يفسر لى أحد من فلاسفة اللاهوت هذا السر واللغز المبهم الذى لا نفهم له حديثا . وأكرر السؤال للعزيز الدكتور مينس: هل الله ﷻ محتاج للإعلان عن وحدانيته فى الغاز لا يعلم عنها بشر من العامة، لقد قالها الله ﷻ لموسى صراحة {أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب}[2] . ألم يقل المسيح فى تجربته مع الشيطان: { إذهب عنى يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد}[3] . ألم يعظ المسيح التلاميذ فى قوله: وأما أنتم فلا تدعوا

(١) تاريخ الأقباط ـ زكى شنودة .
(٢) الخروج: ٦/٣ .
(٣) متى: ١٠/٤ .

سيدى . لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة . ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذى فى السماوات }[١] .

هذا التوحيد يا دكتور مينس لا يحتاج لألغاز . فالله يثبت وحدانيته يا دكتور مينس لا يحتاج لإلغاز . فالله يثبت وحدانيته فى أديانه لا يحتاج فيها لا شريك ولا غيره . ألم تكن الوصايا العشرة وفى أوائل هذه الوصايا والتى أعطاها الرب لموسى وكما تقول التوراة {لا تكن لك آلهة أخرى أمامى} فكيف يتم إلغاء كل ذلك فتتحول وحدانية الله ﷻ إلى شراكة تضم ثلاثة آلهة رغم قول الله لنبيه إبراهيم حتى موسى وحتى عيسى ؟ ومع ذلك فماذا تم مع الروح القدس .

يقول المذهب الأورثوذكسى: الروح القدس هو الرب المحي المنبثق من الأب {يو ٥: ٢٦} يعمل فى المؤمنين لتجديدهم وتقديسهم وإرشادهم بمواهبهم . .

ومثل ذلك يقول المذهب الكاثوليكى أن الروح القدس منبثق من الأب والابن، ويذهب البروتوستانت نفس مقولة الكاثوليك أما السبتيين {الأدفنتست} فيقول: هو سفير يمثل المسيح على الأرض أما عجائب شهود يهوة فيقول: ليس أقنوماً بل هو من تعليم البشر وقد إنتهت مواهبه بوفاة الرسل إذ كان ريحاً غير منظورة[٢] .

بل المسألة تعدت هذه الشركة الثلاثية لنصل إلى مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م: والذى عقد لمحاكمة {نسطور} الذى نادى بأن يسوع المسيح لم يكن إلهاً فى حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله لم يرتكب خطيه فما كان من هذا المجمع إلا أن أصدر قراره بتأليه مريم العذراء وذلك رداً على نسطور الذى قال بأن مريم لم تلد الإله . ويتحدث عن هذا جون لويمر فى كتابه تاريخ الكنيسة فيقول:

أنه بعد سنتين من هذا المجمع بذلت المساعى لرأب الصدع بين أنطاكية والإسكندرية، وفى الواقع، فإنه طوال هذه المناقشات الخاصة بالعقيدة فى المسيح لم تكن اللاهوتية لكنيستين بعيدة تماماً . فقد أرسل يوحنا وثيودورت الأنطاكى صياغة جديدة للعقيدة إلى كيرلس هذا نصها: {لذلك نحن نعترف بربنا يسوع المسيح إلهاً كاملاً وإنسانا

---

(١) متى: ٢٣/٨-٩

(٢) الفروق العقيدية: القس إبراهيم عبد السيد .

كاملاً . وبأنه تم إتحاد بين الطبيعتين، لذلك نقر بالمسيح الواحد . وأن القديسة العذراء هى أم الله {ثيوتوكوس} لأن الله الكلمة تجسد وصار إنسانا، وفى صلبها إتحد هو نفسه مع الهيكل الذى أخذه منها[1] .

وأنا أترك للقارئ التعليق على هذا .

(١) تاريخ الكنيسة ج٣ ـ جون لويمر .

الطقوس والشعائر

الطقوس والشعائر

١} الصلاة

يقول الأب عبد الأحد: إذا سألتم راهباً مسيحياً ما هو اللكوت؟ يجيبكم فوراً هو الكنيسة، ولكن لم يكن قد تشكل فى زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة، فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون {السناغوغا} المسمى {كنشت كنيس}، كسائر اليهود ويصلون ويتعبدون، ولم يخطر على فكره أحداث مذهب جديد أو جماعة جديدة وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله فى زمن عيسى ﷺ .

علم المسيح تلاميذه صلاة بشكل الفاتحه وهى ـ بالرغم من وقوع تحريف أو تحريفيين فيها ـ صلاة بليغة مهمة جداً من جهتين، أولاً فلآنها تبين عقيدة التوحيد بكل إحترام وبكمال العزة، ثانياً فلأنها تحتوى على عبارة {ليأت ملكوتك} خطاباً لله تعالى؛ لأن كل صلاة حقيقية تحتوى على مادتين: الأولى أداء فرض التحية والكلمات الناطقة بالتعظيم والعبوديه للخالق والسجود له، والأخرى عبارة عن طلبنا الأسعاف ورجائنا قضاء الحاجه من الله تعالى .

فالكنيسة الصارخة بضع مرات كل يوم {ليأت ملكوتك} منذ أكثر من ألفين سنة لم تكن الجماعة غير العيسويه وهو ينتظرون {ليأت ملكوتك} .

٢} الختان

إذا رجعنا إلى العهد القديم وفى سفر التكوين وفى الإصحاح {١٧} العدد الأول أقر الله ﷻ فريضة الختان مع نبيه إبراهيم: {ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنه ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملاً، فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيراً جداً .

فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدى معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يُدعى اسمك بعد اليوم أبرام بل يكون اسمك إبراهيم، لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً . وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون}

العدد {٩} وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدى، أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم عزلتكم، فيكون علامة بينى وبينكم، إبن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم: وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك . يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدى فى لحكمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم عزلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه نكث عهدى} .

العدد ٢٣: فأخذ إبراهيم إسماعيل إبنه، وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت إبراهيم، وختن لهم عزلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم عزلته . فى ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل إبنه . وكل رجال بيته ولدان البيت والبتاعين بفضه من ابن الغريب ختنوا معه .

لذلك نرى فى الأناجيل أن المسيح قد ختن وهو ابن ثمانية أيام .

إذن فالختان كعهد من الله كان بداية من نبى الله إبراهيم حتى نبى الله عيسى عقيدة ثابتة راسخة سار عليها أنبياء الله جميعاً من بعد ابراهيم وحيث صار البعض من الطوائف النصرانيه ثم أخذت بعدها الأمة الإسلاميه كلها بعد ذلك .

أما الصلاة فكما قلنا من قبل أن المسيح ﷺ قد علمهم وكما جاءت به الأناجيل كيفية الصلاة . فيقول متى فى موعظة المسيح على الجبل الإصحاح {٦} العدد ٥/١٥: ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يُصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع، لكى يظهروا للناس . الحق أقول لكم: إنهم قد إستوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت {فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك . وصلّ إلى أبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية . وحينما تصلّون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم . فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم . فلا تتشبهوا بهم . لأن أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه . فصلّوا أنتم هكذا: {أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض

خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك، والقوة، والمجد إلى الأبد ، آمين .

هذه هي الصلاة التي كتبها متى في إنجيله . أي أن مسأله الكنيسة التي تجمع الناس للصلاة لم يفرضها المسيح، بل أنه أصر أن تكون الصلاة منفردة في غرفة النوم . وليس كما يحدث الآن .

إن عيسى لم يفكر مطلقاً في أي تنظيم دينيوى لأتباعه أو بمن يتبعه من بعد فإنه كان يهودياً خالصاً ولم يكن في فكره ما يسمى بالكنيسة يقول شارك جنيبر: إن عيسى لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما نسميه الكنيسة، وإذا ما قلنا بأن المسيح صرح للحواريين الأثنى عشر بسلطة ما ـ وهذا محل جدل حتى اليوم ـ مما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتى هو من سلطان في التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله، ولم يصنع منهم {قساوسة} حيث لم يكن في حاجه لذلك . وعلى أى حال فأننا عندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال، لا نجد أنهم فكروا في إنشاء الكنيسة . إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضا بأن المستقبل لملكة الله وليس لكنيسة ما . والنصوص الإنجلية لم تنسب قط إلى المسيح مثل {كنيستى }[1] أو كنيسة الأب} إلا في مناسبة واحدة نقرأ فيها: إنك أنت لبطرس ـ {بطرس ـ صخرة}، وعلى هذه الصخرة سوف أبنى كنيستى} — ولكن هذا الحديث المشهور، والذى أستغل أقصى الاستغلال، لا يمكن بحال من الأحوال الإعتماد على صحته، إلا أعلنا أن المسيح، في ساعة من ساعات الغفله والتيه قد تنكر لتعاليه، ولعمله، ولرسالته، بل ولذاته أيضاً ـ وأن النصوص والأحداث، في تسلسلها، لتدل دلالة قاطعة لا تقبل الشئ والجدل على أن أسبقية بطرس الحوارى ـ التي يقال في إنجيل متى أن عيسى قد صرح بها ـ لم يكن لها أى حظ من الواقع ولم توجد قط[2].

وعلى أن الأتباع الذين تجمعوا حوله وحول يوحنا ويعقوب بم يقدروه ولم ينصتوا إليه إلا باعتباره رجلاً شرف بثقة الأستاذ وبمودته[3] .

---

(١) متى ١٦: ١٨/١٩ ..

(٢) أسبقية بطرس ورحلته إلى روما .. شارل جينبر ١٩٠٩

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارك جنير

المهم أن رغبة الأباء الأولين فى الإنفصال عن الدين اليهودى وأستقلاله لذلك كان لابد من الإستقلال عن المعابد اليهودية وأن تكون لمسيحية لها المبنى الخاص بها مثلهم مثل أى ديانة سابقه عليهم سواء يهودية أو مجوسية أو مصرية . ألخ وهذا ما كان .

٣} التعميد

التعميد طقس من الطقوس الدينية السابقة على عيسى وقد جاء ذكرها فى الكتابات الإنجيلية بداية من يوحنا حتى أنه أطلق عليه {يوحنا المعمدان} ، وكان يوحنا يعمد اليهود المؤمنين، وفى إنجيل متى ٣:١٣ـ ١٦: {حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً:

أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتى إلىّ فأجاب يسوع وقال له اسمع الآن لأنه هكذا يليق بنا نكمل كل بر ـ وهذا يدل على أن التعميد كان طقساً يهودياً قديماً وحيث أن يوحنا سبق يسوع فى الأنبياء فقد كان من اللائق أن يعتمد يسوع من يوحنا . حينئذ سمح له . فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء .

أما إنجيل مرقس ١: ٤ ـ ٥ : {كان يوحنا يعّمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم وإعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم .

مرقس: ١:٩ وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل وإعتمد من يوحنا فى الأردن .

إلا أن تاريخ الكنيسة يؤكد هنا أن المعمودية كانت من الطقوس التى ميّزت المسيحيين!! فيقول جون لويمر: {هناك أيضا بعض القيم التى كانت تميز المسيحيين دون غيرهم منها: ضرورة سكنى الروح القدس ثم المعمودية التى رغم أنها نبتت من معمودية يوحنا المعمدان . لكنها صارت اجراء ضرورياً للدخول فى الشركة المسيحية ثم ينتقل لويمر لتنظيم مراسم التعميد فيقول: لا يوجد خارج أى نوع من العقائد الرسمية سوى فى كتاب الديداك {DidAche} وهو كتاب تعليم الأثنى عشر، الذى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الأول الميلادى .. وفى هذا الكتاب جاءت بعض التعاليم عن المعمودية: أما بخصوص المعمودية فعّمد بالكيفية الآتية: بعد إتمام كل هذه الأمور ـ هناك

فقرة ساقطة تفيد كل هذه الأمور ـ عمد باسم الأب والإبن والروح القدس فى ماء جار ..، ان لم يتيسر لك الماء الجارى فعمد فى أى ماء .. واذا لم تستطع فى ماء بارد، فعمد فى ماء ساخن واذا لم تجد ماء كافياً فاسكب الماء ثلاث مرات على الرأس فى ١سم .. وقبل المعمودية يجب أن يصوم المعمد والمعمد ومعهما آخرون أن أمكن ذلك[1] .

لكن الطريف فى الأمر هو ما تم به تطوير التعميد فى القرن الثالث وكأننا نطوّر التعليم مثلا أو نطور الطب مثلا ولا نطّور طقس يطلقون عليه السر الثانى من الشعائر فيقول لويمر: تطور طقس المعمودية إلى ممارسات معقدة . فكان على المعمد أن يخلع ملابسه الخارجية ـ كان يوحنا المعمدان يعمد وهو يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه[2] ـ والنساء يرخين شعروهن ويخلعن حليهن . ثم يجحدون الشيطان وكل أعماله . وكان يفضل المعمودية فى مياه باردة ويغطس المعتمد ثلاث مرات فى الماء باسم الأب والأبن والروح القدس . وكان السكب مسموحاً به ولكن لم يكن هو العادة المتبعة . وعند خروج المعتمد من المعمودية كان يذوق شيئا من الشهر واللبن علاقة قبوله الولادة الجديدة فى المسيح ثم يتجه نحو الغرب ويدهنه الكاهن بالزيت ويضع رأسه بجانب رأسه على قبوله الروح القدس .

أما عن الفروق العقيدية بين الطوائف المختلفة فإن البروتوستانت والأدفنتست وشهود يهوه فيقولون أن التعميد لا أهمية له .

التثليث

كما شرحنا من قبل أن قضية التثليث أخذت أكثر من خمسة قرون وأكثر من ثلاثين مجمعاً مسكونياً أو غير مسكونى المهم عندنا أن قضية التثليث هذه فرقت التوحيد المسيحى وجعلتهم شيعاً وملل كل له فكره وكل طائفة تعتقد أنها على الحق والباقى على الباطل .

إن الوثائق تقول: إن الذى دس فى فكر الكنيسة فكرة {الأبوة والنبوة} الإلهية هو الخصى الكوسج المصرى خادم الرهبان المسمى {أوريفين} وهو راهب أعزب عالم عارف باللغات عاش فى القرن الثانى وترجم كتب التوراة إلى ست لغات وله مؤلفات

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ جون لويمر ج١ ..

(٢) مرقس: ٦/١ ..

كثيرة . وهو الذى نادى بولادة عيسى الأزلية ـ ومن المعلوم أنه لما وضع الفيلسوف أرسطو مقولاته، وضع بمقابل ذلك مفر الفيلسوف {فورفور} الكليات الخمسة وكانت عبارة عن :

١} الجنس ٢} النوع ٣} الفصل

٤} العرض العام ٥} العرض الخاص .

ولابد لكل الموجودات القابلة التصور والتى صنفها أرسطو فى المقالات العشر، أن تكون واحدة من هذه الكليات الخمس، إلا أن علم المنطق أثبت أن الله تعالى ليس بجنس ولا نوع ولا فصل ولا عرض عام ولا عرض خاص، وبالنسبة للمقولات العشر لأرسطو فهو ليس بكم أى أنه ليس متعدداً أى لا يكون أثنين أو ثلاثة أو أكثر ـ وليس بكيف أى ليس متصفاً بإحدى الصفات النفسانية أو الجسمانية . وليس بفاعل بالطبع أى لا يلد . وليس بمفتعل أى لم يولد من غيره ـ وليس زمانى بمعنى أنه كان فى الزمان الفلانى أو لم يكن فى الزمان الفلانى أو لم يكن فى الزمان الفلانى ـ وليس بمكانى أى لا يقال أن الله فوق كذا أو تحته أو على يمين كذا أو يساره أو فى الشرق أو الغرب ـ وليس له وضع، أى لا يقال وجهه فى الطرف الفلانى وظهره فى الجهة الفلانية .

أليس كل ذلك وأكثر فى قوله تعالى فى كتابه الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُورى:١١] .

لذلك فإن الكليات الخمس التى صنفها فورنور . مثلاً اذا سألت من هذا الرجل؟ فالأجوبة التى تعطى . هذا الرجل رسّام ماهر أو جاء من تركيا، او هو يصلى، وكلها مغايرة للمنطق لأن السؤال عائد إلى الرجل . ربما أن الرجل عائد إلى مقولة الجوهر فالفكر يصعد حالاً إلى الجوهر . والجوهر إما وجود مطلق أو مقيد {ذو روح، حيوان، إنسان}[١]

وحتى لا نغوص فى علم الفلسفة والمنطق . نقول أنهم إنتهوا فى النهاية أن المسيح من عين جوهر الله . اى أنهم قاسوا المحدود على غير المحدود، ونعوذ بالله من هذا، إلا أنهم ألقوها فى مجمع نيقيه وجعلوا بشيئ من السذاجة المحدود مساو لغير المحدود

(١) الأب عبد الأحد الأشورى .. الكنيسة والصليب

وكان ذلك إعتداء صارخاً على العقل والفلسفة ما يقول به المنطق .

وأسأل العزيز الدكتور منيس: لقد أتى عيسى ﷺ بمعجزات وعجائب كثيرة حتى أنه أحى الموتى وشفا المرضى، فلماذا كان يصرخ وهو على الصليب وينادى الله: إلهى . إلهى لماذا تركتنى؟ وفى قول آخر: ونادى بصوت عظيم وقال: يا أبتاه، فى يديك أستودع روحى ولما قال هذا أسلم الروح . فهل يستغيث إله بإله وهل ورغم كل هذه المعجزات كان لا يستطيع أن ينقذ نفسه مع الأخذ فى الاعتبار أن لإنجيل متى ولوقا ومرقس يذكر أن المسيح ناجى الله قائلا وهو يصلى: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت، وكرر هذا الطلب أكثر من مرة . فأى إله يطلب من إله أن ينقذه من الموت ثم يصرخ على الصليب لماذا تركه ثم يموت؟ وأين موقف الإله الثالث وهو الروح القدس من كل هذا؟

وعسى الدكتور منيس أن يحسب أن هذه مسألة إزدراء للأديان وكما يحلو للكثير أن يتشدقوا بتلك المصطلحات وسوف نتناول مسأله إزدراء الأديان فيما بعد إن شاء الله وكما سوف نستفيض فى مسألة التثليث أيضاً مع الفصل الخاص ببولس الرسول صاحب الدعامة القوية فى عملية التثليث هذه .

شبهات حول بولس الرسول

شبهات حول بولس الرسول

وصف بولس أو شاول أنه إنحرف بالدين الأصلى للمسيح وما نادى به الحواريون إنحرافاً شديداً . حتى أخرج المسيحية الحقيقية من ثوبها الحقيقى وحوّلها إلى مسخ بلا هوية بعد أن أهدر ما نادى به المسيح وبعد أن ألغى الشريعة اليهودية تماماً ولنبدأ بترجمة سريعة عن بولس ومن واقع الأناجيل ليحكم القارئ على إنسان أراد أن ينشئ ديناً خاصاً به فأدخل الوثنية ومزج بها اليهودية المسيحية ولينشأ هذا الدين الذى سار عليه بعد ذلك ملايين الأتباع .

لم يتم ذكر بولس فى الأناجيل الأربعة نهائيا، إلا أن بداية ذكره كانت فيما يسمى بأعمال الرسل، بل ذكر بالتحديد فى أواخر الإصحاح السابع ومع رجم {إستفانوس} .

أصحاح ٧: العدد ٥٨: وأخرجوه ـ إستفانوس ـ خارج المدينة ورجموه . والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاؤل فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع أقبل روحى . ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية ، وإذ قال هذا وقد . وكان شاؤل راضياً بقتله .

ويكمل الإصحاح ٨ القصة: وحدث فى ذلك اليوم إضطهاد عظيم على الكنيسة ـ أى كنيسة؟ فلا وجود لأى كنائس فى هذا الزمن ـ التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة، ماعدا الرسل . وحمل رجال أتقياء أستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة . وأما شاؤل فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن .

تعقيب:

ستفيد الوثائق أنه فى هذا الزمان لم يكن هناك كنيسة لأن الجميع . من تنصروا، أو الرسل كانوا يتعبدون فى الهيكل أو أى مكان خفى يتعبدون فيه حتى لا يقبض عليهم اليهود أو الرومان .

١} القصة الأولى لتوبة شاؤل

{أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق، رجالاً أو نساء، يسوقهم موثقين إلى أورشليم وفى ذهابه حدث أنه إقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤل شاؤل! لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس[1] فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وأدخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل. **وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين. يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً.** فنهض شاؤل عن الأرض. وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر. فلم يأكل ولم يبصر.

٢} القصة الثانية يرويها بولس فى أورشليم للشعب[2]

فحدث لى وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار، بغتة ابرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض، وسمعت صوتاً قائلاً لى: شاؤل شاؤل: لماذا تضطهدنى؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده. **والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** فقلت: ماذا أفعل يارب؟ فقال لى الرب: قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقادنى بيدى الذين كانوا معى. فجئت الى دمشق.

٣} القصة الثالثة لبولس أمام أغريباس[3]

ولما كنت ذاهباً فى ذلك إلى دمشق، بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت فى نصف النهار فى الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق حولى

---

(١) ترفس مناخس: أى تضرب بعصا إلى الوراء

(٢) الاصحاح ٢٢ العدد ٦

(٣) أعمال الرسل: ٢٦-١٢

وحول الذاهبين معى . فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمنى ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدنى صعب عليك أن ترفس مناخس، فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك به، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيبنا مع المقدسين .

تعقيب:

يعتقد الكثير ممن تتبعوا آثار بولس الرسول وقصصه أنه كان صنيعة يهودية، وقد أراد اليهود تخريب الدين المسيحى من الداخل فلم يجدوا أمامهم غير خطة {حصان طروادة} ولم يجدوا أنفع من بولس تتوافر فيه شروط اليهودى الشديد اليهودية لدينه، وكانت الخطة هى الإيعاز للوثنيين الرومان بكل التسهيلات المقاربة من الديانة الوثنية مع إلغاء كامل لشريعة موسى . وأترك الحكم للقارئ ليحدد الغث من السمين .

وبادئ ذى بدء آخذ القارئ معى إلى أحد القصص التى تشبه قصص ألف ليلة وليلة والتى وضع السيناريو الدرامى لها وأخرجها الأستاذ حبيب سعيد الذى كتب ترجمة بولس فجاءة إلى الدخول فى النصرانية، بل ويصبح مبشراً بها مع العلم أن بولس لم تقبله أو تقبل كرازته أى مدينه يهودية، يقول حبيب سعيد:

{ونحن الآن فى صيف سنة ٣١ ب.م على ما يقول المؤرخون، وفى صبيحة يوم نرى شاؤل يمتطى جواداً أو يركب جملاً، ويغادر مع رفاق له مدينة أورشليم من باب دمشق، الباب الذى جرّ منه {استفانوس} قبل أسابيع قلال إلى مكان الرجم والاعدام . ولعله سار على مقربة من البقعة عينها التى وقف عندها يحرس ثياب الراجمين، فهل أستعاد شاؤل إلى مخيلته شبح أستفانوس المائث؟ وهل فكر فيما قال به الشهيد الباسل عن المخلّص الذى قام من الأموات ؟ وهل ساورته ريبة فى أنه قد يكون مخطئا ومعانداً لله؟ لست أدرى ! كان عليه أن يقطع نحواً من مائة وخمسين ميلاً فى طريق حافل بروائع الأحداث، والذكريات التاريخية، والمناظر الخلابة، ولكن شاؤل لم يحفل بالطبيعة وجمالها، وكان هذا على نقيض السيد المسيح الذى افتتن بالطبيعة . وتغنى

بجمال زنابق الحقل النامية، وروعة مغيب الشمس الحمراء القانية . والأطيار الصادحة فوق الأعواد والحقول الزاهية وقد أبيضت للحصاد .

كان شاؤل من أهل الحضر . وأنت لست واجداً فى كتابته أى تلميح إلى الطبيعة . وفضلا عن هذا فإنه الآن مثقل النفس بمهمه ملكت عليه كل أحاسيسه، وسلبته كل مزاج يستمتع الوان الجمال الرائع فى الطبيعة الفاتنة .

وكانت الطريق إلى دمشق مكتظة بالغادين والرائحين، لقى فيها شاؤل كل صنوف البشر . من كبار رجال الجندية فى الإمبراطورية الرومانية بمركباتهم يحف بها الحراس والعبيد، وسيدات من ربات الخدور فى هوادج يحملها عبيد أرقاء قد تدربوا على التبختر فى المشى . وتجار من ميناء صيدا يحملون أكداس أوراق البردى وجرار الحنطة المستوردة من مصر، وتجار من أورشليم صاعدين إلى انطاكية للإتصال بعملائهم ـ وكل من هؤلاء يسوق أمامه الإبل والعبيد . وبين الفينة والفينة كان المسافرون وأبلهم وجيادهم ينتحون جانبا لإفساح الطريق لمرور رسل القيصر ينهبون الأرض نهباً حاملين أوامر العاهل الرومانى إلى أقاصى الإمبراطورية أو لمرور شرذمة من الجند تسير سراعاً إلى جهة معينة، ووقعت أنظار شاؤل على بحيرة الجليل حيث اجتمع يسوع مراراً إلى حوارييه، ولعله أستراح من وعثاء السفر فى كفر ناحوم التى كان بين أهليها من أبرأ المسيح أو صابهم، وأنقذ الحفر حياتهم . ولكن بولس لم يعبأ بكل هذا، فهو فى شغل شاغل، مغرق التفكير فى دمشق وما ينويه فيها من البطش بأتباع الناصرى، والإمعان فى إيذائهم واذلالهم، ثم حل اليوم الذى أوشك فيه المسافران أن يبلغ أطراف دمشق، وكان التلاميذ هناك قد وقفوا على ما أتاه شاؤل بزملائهم فى أورشليم، وما يضمره لهم فى دمشق فرفعوا أكف الضراعة لربهم لبقيهم أمناء بلا عثرة عند إلقاء القبض عليهم .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث . ولم يلق القبض على أحد ذلك اليوم وشاعت أنباء مستغربة ان شاؤل قد جاء إلى المدينة فاقد الإبصار، وأن غشاوة قد طمست عينه قبيل دخوله المدينة . فإقتاده بالأيدى كشحاذ ضرير إلى بيت إنسان يدعى يهوذا فى زقاق يدعى المستقيم حيث ألقى هناك عاجزاً ذليلاً لا حول له ولا طول[1] .

---

(١) سيرة بولس الرسول .. حبيب سعيد ..

هل رأى القارئ هذا الفيلم وكيف أن المؤلف تخيل فى لحظة نوم أو يقظه أو لعله هو الأخر قد إمتلئ بالروح القدس . ليقص علينا كيف إفتتن المسيح بالطبيعة وتغنى بجمال زنابق الحقل النامية، وروعة مغيب الشمس القانية، والأطيار الصادحة .

وهل رأى القارئ ووصفه للطريق الذى لا يخلو من الذاهب والآتى وأصناف البشر، وهل رأى القارئ ما يصفه شاول بحيرة الجليل وكيف كان يجتمع يسوع مع الأثنى عشر أو تلاميذه، مع العلم بأن شاؤول لم يعاين المسيح مطلقاً، ما هذه الخزعبلات . إن القارئ لو قارن بين القصص الثلاثة التى رواها بولس بنفسه وبين هذا الفيلم لكان السؤال واضحاً أمامه . من أين جاء مؤلف هذه السيرة والتى لابد أن تنتهج المصداقية فى كتابتها أو أن يكون هناك توثيق بها . ولكن هذه هى العادة إدخال مصطلح {أو ـ ولعله ـ وربما} لكن المؤلف حتى طريقة مشى الرجال أمام الهوداج كانت بطريقة التبختر، وحتى أصناف التجارة، ،اننى أؤكد أن المؤلف وضع هذا التصور فور خروجه من فيلم من أفلام الرومان القديمة .

التناقض فى قصص بولس الثلاثة:

القصة الأولى

أولاً: فى القصة الأولى حدثت فى الطريق إلى دمشق وكما رواها فى القصتين الأخريتين إلا أنه فى هذه القصة أنه سقط وحده على الأرض وهذا أمر طبيعى لأن النور الذى رآه لم يره من كان معه إلا أنهم سمعوا صوتا يقول: شاؤل لما تضطهدنى وعندما سأل عن الصوت قال له الصوت أنا يسوع الذى أنت تضطهده ثم قال شاؤل له بإستسلام غريب على أيدلوجية بولس ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له يسوع: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه ـ لم يذكر العدد ـ فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً أى أن الرجال المرافقين له سمعوا ولم يروا شيئاً .

ثانياً: أعلن بولس نتيجة هذه القصة تنصره وعاد إلى أورشليم وبدء يكرز بالمسيح {أن هذا هو ابن الله} فلم يقبله اليهود وتآمروا على قتله، وإلى أن جاءت اللحظة الفاصلة حيث أفرز {إختار} الروح القدس بولس وبرنابا للعمل فى الدعوة مع الأخذ فى العلم أن برنابا هو من قدم بولس للإثنى عشر وصحب بولس ووثق به حتى دب الخلاف

بينهم فإنفصلا . وإختيار الروح القدس لبرنابا وبولس له مغزى فهما صديقان ويطمئن كلا منهما للأخر .

ويذهب بولس وبرنابا إلى قبرص ليواجه ساحراً وجعله أعمى وسافر إلى أنطاكية ليواجه اليهود بها وحيث رفضه اليهود رغم أنه تكلم عن ناموس موسى ثم ارتحلوا إلى إيقونية ثم أتى بآيات وعجائب . لم تكتب ـ وأراد اليهود أن يرجموهما فهربا إلى لسترة ودربة ورأى بولس رجلاً عاجزا فقال له بصوت عظيم } قم على رجليك منتصبا فوثب وصار يمشي . ثم عادوا إلى أنطاكية . لينتخبوا لهم قسوساً في كل كنيسة {لم يقل المسيح بهذا} ثم ذهبا إلى أورشليم . وبدأ بولس في المعارضة لعملية الختان والتى كان بسببها أن حدثت منازعة بينهما أرادوا أن يذهبوا بها إلى الرسل، إلا أن الرسل رفضت الفكرة رغم أن أعمال الرسل ادعَت غير هذا لأن مقولة المسيح: {لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم: إلى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل فمن نقص إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا، يدعى أصغر فى ملكوت السماوات . وأما من عمل وعلّم، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السماوات[1]} .

والختان ليست وصية صغرى بل هى إحدى العقائد الأساسية منذ عهد إبراهيم وكما ذكرنا من قبل، فهل يعقل أن يوافق الرسل على إلغاء عقيدة من العقائد الأساسية؟ سؤال موجه للعزيز الدكتور مينس .

المهم أن بولس إرتحل هنا وهناك حتى أنه أقام الموتى وكان يأتى بالمعجزات فى كل بلد يحل بها، وحتى عاد إلى أورشليم فإستقبله الأخوة ـ من هم، لم يذكر هذا ـ إلا أن اليوم الثاني إجتمع معه الرسل وقص عليهم ما حدث أثناء رحلاته المتعددة .

ونقتبس مكن أعمال الرسل الاصحاح ٢١ العدد ١٩ قول الرسل لبولس: {فبعد ما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته . فلما سمعوا كان يمجدون الرب . وقالوا له: أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوه من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورين للناموس . وقد أخبروك عنك أنك تعلم جميع اليهود

---

(١) متى: ٥ـ١٧ /٢٠

الذين بين الأمم الإرتداد عن موسى: قائلاً ألا يختتنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد فإذا ماذا يكون؟ لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور . لأنهم سيسمعون أنك قد جئت . فإفعل هذا الذى نقول لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذر . خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤسهم . فيعلم الجميع أن ليس شيئا مما أخبروا عنك . بل تسألك أنت أيضاً حافظاً للناموس وأما من جهة الذين آمنوا من الأمم، فأرسلنا نحن إليهم وحكمنا أن لا يحفظوا شيئاً مثل ذلك، سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما ذبح للأصنام، ومن الدم، والمخنوق، الزنا، حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد، وتطهر معهم ودخل الهيكل، مخبراً بكمال أيام التطهير، إلى أن يقرّب عن كل واحد منهم القربان .

ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم . رآه اليهود الذين من أسيا فى الهيكل، فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادى صارخين: يا أيها الرجال الإسرائيليين، أعينوا! هذا هو الرجل الذى يعّلم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع ـ {الهيكل} ـ حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل . فهاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجروّه خارج الهيكل وللوقت أغلقت الأبواب . وبينما هم يطلبون أن يقتلوه . نما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد إضطربت ـ وتم القبض عليه . وأستأذن بولس بعد أن إعترف إلى أمير الكتيبة بقوله: أنه رجل يهودى طرسوسى من مدينة كليكية . وأنه يرغب أن يكلم الشعب فأذن له أمير الكتيبة .

عودة للقصة الثانية

وقف بولس على الدرج وأشار بيده للشعب فصار سكوت عظيم .

تكلم بولس أمام الشعب قائلا لهم أنه رجل يهودى . الخ وأنه كان يضطهد الذين كانوا يتبعون المسيح ويسلمهم الى السجون حتى أخذ رسالة للأهوه إلى دمشق ليأتى بمن تبعوا المسيح ويعود بهم إلى أورشليم .

{فحدث لى وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار، بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض . وسمعت صوتا قائلا لى: شاؤل، شاؤل ! لماذا تضطهدنى؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال لى: أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده . والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى

. فقلت: يارب ماذا أفعل فقال لى الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب أن تفعل} .

تعقيب:

الدكتور مينس يعلم تماماً أن من يأخذ فى تأليف قصة ما قد لا يستطيع أن يكرر التأليف بنفس الصيغة وقد تعتمد النيابة على مثل هذا الأسلوب مع المتهم فتكرر سؤاله أكثر من مرة ويسقط المتهم فى شراكها وتختلف القصة الأولى عن الثانية أو الثالثة وأعتقد أن هذا ما حدث لبولس تماماً فإختلفت القصة الأولى عن الثانية وستختلف عن الثالثة أيضا وكما يقول المثل المصرى {الكذب مالوش رجلين}، فجاء الإختلاف فاضحاً . فالقصة الأولى تفيد أن من كان مع بولس وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، وفى القصة الثانيه شاهدوا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت .

ومرة أخرى رفض بولس من أهالى أورشليم وكما رفض من المدن قبل ذلك . ولعل الحواريين أرادوا أن يبرهوا لبولس خطأ ما يفعله . إلا أمير المعسكر رأى أن يقفز بولس من براثن اليهود فأخذه وقرر ترحيله حدثت خلالها أحداث قد لا تهم القارئ الأن إلا أنه تم ترحيل بولس إلى الملك أغريباس فى قيصرية .

عودة للقصة الثالثة

وفى هذا القصة يتم محاكمة بولس أمام الملك أغريباس، فيقول الأصحاح ٢٥ العدد ٢٣: { ففى الغد لما جاء أغريباس وبرنيكى فى احتفال عظيم ودخلا إلى دار الاستماع مع الأمراء ورجال المدينة المقدّمين، أمر فستوس فأتى ببولس فقال فستوس: أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون . أنتم تنظرون هذا الذى توسّل إلىّ من جهته كل جمهور اليهود فى أورشليم وهنا، صارخين أنه لا ينبغى أن يعيش بعد . وأما أنا فلما وجدت أنه لم يفعل شيئا يستحق الموت، وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس عزمت أن أرسله . لذلك أتيت به لديكم .

ثم يقص بولس على الملك قصته وماذا كان يفعل بمن تبعوا يسوع الناصرى إلى أن جاء إلى قصة تحوله إلى المسيحية فيقول: {ولما كنت ذاهباً فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصيته من رؤساء الكهنة رأيت فى نصف النهار فى الطريق، أيها الملك، نوراً فى

السماء أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق حولى وحول الذاهبين معي . فلما سقطنا جميعنا على الأرض . سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية: شاؤك ، شاؤل، لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده . ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به . منقذا إياك من الشعب . ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك اليهم، لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله . حتى ينالوا يبالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسيين} .

تعقيب:

القصة تختلف تماماً، ففى القصتين الأولى والثانيه لم يسقط سوى بولس خاصة القصة التى أكد فيها بولس أن الذين سمعوا لكنهم لم يروا شيئاً، فالطبع أنهم لن يسقطوا على الأرض على شيئ لم يروه . أما فى قصة الملك أغريباس فالجميع سقطوا بما فيهم بولس، ثم إدعاء بولس أن المسيح كلمه بالعبرية والمسيح كان يتكلم باللغة السامرية . ثالثا الحديث الطويل الذى زعمه بولس أن المسيح تحدث به معه وهو لم يذكره فى أى من القصص السابقة بل إن كل ما قاله المسيح أدخل دمشق فيقال لك ماذا تفعل، حسب زعم بولس . فأى القصص نصدق سوى أن المسألة كلها من زعم بولس ولا زيادة عن ذلك .

ماذا قالوا عن بولس؟

١} يقول جون لويمر: وتذكر بعض السجلات اللاحقة أن الكنيسة[1] أو جزء منها قد تحول إلى ما عرف بالكنيسة الأبيونية {بمعنى فقير} وقد تغيرت عقيدتهم الأولى: فقد سمّوا أنفسهم مسيحيين مع أنهم أنكروا ميلاد المسيح العذراوى ولم يقبلوا إلا إنجيل متى من الأناجيل الأربعة، وأنكروا بشدة كتابات الرسول بولس .

٢} يقول ماكجفرت: {يوجد فى تعاليم الغنوسية بعض التشابه[2] مع تعاليم بولس ويوحنا وحتى مع بعض أقوال يسوع نفسه[3] .

---

(١) تاريخ الكنيسة . جون لويمر ج١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبر

٣} يقول شارل جينبير: إن الشيئ الذى يبدو لنا غير قابل للجدل هو: أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس، وأن مذهبه لم ينشأ من الإتصال بالحواريين الأثنى عشر . ولم يخرج الكاتب الألمانى {هايتمولير} عن جادة الحق عندما كتب فى مقال عن بولس وعلاقته بعيسى: أن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحى الأول، ولكن الأثر أنتقل إليه بواسطة حلقة أخرى من حلقات من سلسلة المتوارثات التى يمكن ربطها كما يلى: عيسى ـ المجتمع المسيحى الأول ـ المسيحية الهيلينستيه ـ بولس .

ولم يكن بولس بمؤسس المجتمع المسيحى الأول فى المهجر . {أعمال الرسل ١٩/١١} تشير إقامة بعض الطوائف من الذين اعتنقوا دين عيسى بين الجاليات اليهودية بفينيقيا وقبرص وأنطاكيا ولا تدين هذه الطوائف بشيئ لبولس . كذلك لم يكن له أى فضل فى تأسيس الكنيسة الأولى بروما .

٤} ويقول القاضى عبد الجبار الهمزانى ٤١٥هـ نقلاً عن كتاب يعرف {إفراسكس}[1]، أن قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام، فدعوا الناس إلى سنّة التوراة، وتحريم ذبائح من ليس من أهلها، وإلى الختان، وإقامة السبت، وإلى تحريم لحم الخنزير . وأن ذلك شق على الأمم، فإجتمع النصارى فى بيت المقدس، وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم، ليجيبوهم ويطيعوهم، فأوجب رأيهم مداخلة الأمم والترخص لهم، وترك مخالفتهم والإختلاط بهم والأكل من ذبائحهم، وقد قال بولس فى الكتاب الذى يسمونه {السليح} وهو كتاب يتألف من ٢٤ رسالة ذكر فيه: {أنا قلت لهم إلى كم تهودون الناس وقال فى {السليحيين} كتاب آخر لبولس: كنت مع اليهودى يهودياً ومع الرومى رومياً، ومع الإرمانى إرمانياً[2] .

٥} يقول جينى بير: بعد دخول بولس فى المسيحية بدأ يبعث برسائله إلى بلدان كثيرة فكتب أربعة عشر رسالة، ومن خلال هذه الرسائل التى نسبت إليه نستطيع التعرف على عقيدته اللاهوتية . ومن الواضح أن هذه العقيدة تختلف تماماً عن عقيدة النصارى التى جاء بها المسيح ﷺ .

(١) يذكر إبن النديم: كتاب الحواريين يعرف {فراكسيس} بتقديم الكاف علىّ السين .
(٢) الإرمانى هو الذى يعبد الكواكب والأوثان .

٦} يقول المؤرخ {ول ديورانت}: ولقد أنشا بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح . أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل إبن أنثى يرث خطيئة آدم، ولا شيئ ينجيه من العذاب الأبدى إلا موت . ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته .

وفكرة الخطيئة الموروثة لم يكن اليهود يعرفونها، وجاء بها بولس من الفلسفات الوثنية، يقول الأستاذ {جينى بير}: كانت ألقاب مثل سوتر {المنقذ}، واليوثريوس {المنجى} تطلق على آلهة الوثنيين، وكان لفظ كريوس {الرب، الذى سمّى به بولس المسيح، تطلقه الطقوس الوثنية السورية على {الميت المفدّى} .

ولم يكن فى وسع اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا المسيح بجسده أن يؤمنوا إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين[1] .

٧} أجمل تقريباً الدكتور محمد أحمد الحاج إضافات بولس إلى المسيحية فى أربعة نقاط:

أـ جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم، ولو أدى ذلك إلى تساهله فى بعض التشريعات التى كانت تضايق الوثنيين كالختان، السبت، تحريم الخنزير/ فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعى ليوم الأحد {SUNDAY} ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير .

ب ـ إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليونانى .

ج ـ أدخل فكرة الخطيبئة الموروثة وهى أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعتبر وارثا خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم .

د ـ أدخل بولس عقيدة الكلمة {اللوجوس} التى نادى بها {فيلون} اليهودى بالإسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد، وعقيدة الخلق بالكلمة من أقدم العقائد ويمكن الرجوع بها إلى كهنة ممفيس .

---

(١) قصة الحضارة: ول ديورانت ج١١/٢٦٤ .

٨} يقول بيرى فى كتابه الأديان العالمية: لقد كوّن شاؤل المسيحية على حساب عيسى، فهو فى الحقيقة مؤسس المسيحية . وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه أتباعاً من اليونان، وعيسى اصبح أبن الله، حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا {حورس} و {أوزيريس} ووضعتا فى كل الكنائس .

رسالة بولس إلى أهل غلاطية

فى الرأى الشخصى فإننى أزعم أن رسالة بولس إلى أهل غلاطية هى من أخطر رسائل بولس: فإن غلاطية تقع فى الشمال من آسيا وهو لم يذهب إليها كما توضح خرائط الأناجيل، ولكن وكما يبدو من أن هناك أناساً .

دعوا للعودة إلى سنه التوراة وهم من النصارى، وهى تحريم الذبائح من ليس من أهلها وإلى الختان وعودة السبت، وتحريم أكل لحم الخنزير فبعث بولس هذه الرسالة إلى أهل غلاطية يلومهم أنهم تحولوا إلى إنجيل آخر . بالرغم من أنه بشّر بإنجيله الذى إخترعه هو {أنه ليس بحسب إنسان، لأنى لم أقبله من عند إنسان . وعُلمته . بل بإعلان يسوع المسيح[١]}

وحاول بولس كعادته أن يتحايل بالكلمات لإقناع الآخرين أنه يقول الحق فيقول بولس لهم {ولكن لما سَر الله الذى أفرزنى من بطن أمى، ودعانى بنعمته، أن يعلن إبنه فىّ لأبشر بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ودماً ولا صعدت أورشليم إلى الرسل الذين من قبلى[٢]، بل إنطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى أورشليم لأتعرف ببطرس . فمكثت عنده خمسة عشر يوماً . ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب} والذى كتب به إليكم هوذا قُدام الله أنى لست اكذب فيه . وبعد ذلك جئت إلى اقاليم سورية وكيليكية . ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح[٣]} .

---

(١) غل: ١١-١٢

(٢) ذهب بولس إلى أورشليم وقابل الحواريين ووضع فى محاكمة مع أمير العسكر واليهود وكادوا أن يقتلوه لولا أمير العسكر الذى أنقذه وفى النهاية تمثل أمام الملك أغريباس .

(٣) غ: ٢٢/١٥ .

ثم لينتقل بولس بعد ذلك ليضع فترة طويلة لا يتكلم فى الغالب عنها لأنها فترة رفض بولس فى أغلب البلاد التى زارها فيقول فى الإصحاح التالى مباشرة: ثم بعد أربعة عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا، آخذا معى تيطس أيضاً . وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم . ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً . لكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خُفية، الذين دخلوا إختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل وأما المعتبرون أنهم شيئ ـ مهما كانوا، لا فرق عندى، الله لا يأخذ بوجه إنسان ـ فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشيئ، بل بالعكس، إذ رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان . فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضاص فى الأمم[1] .

نرى فى هذه الفقره كيف تعمد بولس عدم ذكر أى أسماء فيقول الإخوة الكذبة ولا ندرى من هم، ولعلهم أن يكونوا اليهود المتنصرين إلا أن فى قصة ألف ليلة وليلة لم يذكر حبيب سعيد شيئاً عن هذه الرسالة بل ذكر أن بولس بنفسه سافر إلى غلاطية مع الخرائط التى رسمها سيلاحظ القارئ معى الفرق بين الرحله الأولى والثانية والثالثة التى ألغى فيها حبيب سعيد مدينه غلاطية ووضع مدينة جديدة {أنطاكية بسيديه} لكنه وكما قلنا هو أسلوب من القصص المنمق الذى يُشعر القارئ أنه يقرأ قصص ألف ليله وليله فلا يمل منها ومع هذا فإن بولس يقول أن يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان ! ! !

وأعتقد جازماً أنه حشر يعقوب ويوحنا حشراً للإيحاء أن هناك من وافقه من الحواريين لما يدعو له وذلك للأسباب الآتية:

١ـ كلمته {وأما المعتبرون أنهم شيئ ـ مهما كانوا، لا فرق عندى فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشيئ}

طبعاً بولس لا يستطيع أن يذكر أسماء من هم هؤلاء هم المعتبرين أيا من كانوا لأن

---

(١) غلا: ٢/١ـ٨

فى ذكره لهم لأهل غلاطية هدم كامل لما دعا إليه على مر سنوات فى محاولة لتزاوج الوثنية مع المسيحية وتبيان الحقيقة لما قاله المسيح .

٢ـ فى مواجهة بولس مع بطرس والذى قال عنه بولس أنه يعمل بإنجيل الختان يقول بولس: { ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً . لأنه قبلما أتى {جاء} قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم . ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه . خائفا من الذين هم من الختان . وراءى معه باقى اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضا إنقاد إلى ريائهم! لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون بإستقامة حسب حق الانجيل، قلت لبطرس قدام الجميع: إذ كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟ نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم الخطاة . إذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر فى المسيح، نوجد نحن أنفسنا خطاة، أفالمسيح خادم للخطية؟ حاشا ! فإنى أن كنت أبنى أيضا هذا الذى قد هدمته، فإنى أظهر نفسى متعدياً . لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله . مع المسيح صُلبت، لأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ، فما أحياهُ الآن فى الجسد، فإنما أحياه فى الايمان، إيمان إبن الله، الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى . لست أبطل نعمة الله . لأنه إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذا مات بلا سبب[١] .

هنا يواجه بولس بطرس كبير الحواريين الذى لم يفعل شيئاً سوى أنه كان يأكل مع الرومان والذى قال بسببها الموعظة التى أراد بها أن يبعث بها إلى أهل غلاطية منتهزا فرصة لإلغاء الناموس كاملاً، ورأى وكما يبدو أن بطرس قد سبقه ليأخذ الزبائن قبله . وأن هدف بطرس الأساسى هو محاولة تنصير هؤلاء الأميين . إلا أن بولس كان يريد أن يشيع دينه الجديد الذى يتكلم عنه كثيراً ويحشر فيه المسيح من آن لآخر .

لذا كانت مقدمة الدكتور / أحمد حجازى السقا فى إنجيل برنابا لقد قام بولس بآرائه عقب إنطلاق المسيح من أورشليم، وقام الحواريون بردها فى حياة بولس نفسه . وتعددت كتب الحواريين، وتعددت كتب المنحرفين، وأختلط الحق بالباطل ، لكن لا

(١) غ: ١١ ـ ٢١ .

على اليهود الراسخين في العلم، إذ أسفار موسى نفسها تمنع قيام المماثل لموسى من نبي إسرائيل . ومن الأناجيل التي نددت ببولس مع برنابا: الإنجيل الأغنطسي؛ فإن مقدمته تندد ببولس هي وخاتمته، كما ندد يعقوب ببولس في رسالته، فإنه لما قال بولس إن الأعمال لا تفيد مع الإيمان، رد عليه بأن الأعمال بلا إيمان كجسد بلا روح، وكل من يعلم التوراة حق العلم، ويعلم بآراء بولس؛ فإنه يندد به ويصفه بالكفر .

الطقوس ..
الأسرار السبعة

الطقوس .. الأسرار السبعة

لا أعلم لماذا الإصرار فى كل كتب النصارى على مصطلح {الأسرار} رغم أنها معلومة ومكتوبة ومقروءة .

ولقد لخصها الأنبا أبرام فى كتابه العقائد القبطية بأن الأسرار السبعة هى تلك الوسائط الخلاصية التى رسمها يسوع المسيح لنيل نعم الفداء الغير منظور تحت علامات منظورة، وهى: العماد ـ الميرون ـ التناول ـ مسحة المرضى ـ الزيجة ـ الكهنوت

وهذه الأسرار المقدسة ليست مجرد علامات ظاهرة تميز المسيحى عن غيره، أو مجموعه طقوس كنسيّة أو تذكارات للمواعيد الإلهية إنما هى تلك الوسائط لنوال بركات الفداء ومواهب الروح القدس لتطهير النفس وتجديدها بالنعمة ولذلك فهى لازمة للخلاص لأرث ملكوت السماوات .

ويشترط لإتمام سرّ من الأسرار السبعة وجود الكاهن الذى يقوم بخدمة وإتمام هذه الصلاة التى رتبها الآباء لتقديس السر وحلول الروح القدس ومنحة نعمة الفاعلية بالنفس

ماء للعماد ـ ميرون للتثبيت ـ خبز وعصير الكرمة فى الأفخارستيا ـ الزيت فى مسحة المرضى ـ وضع اليد فى الكهنوت .

الكهنوت

وهو السر السابع من أسرار كنيستنا القبطية وقد سبق أن أختار المجد ١٢ رسولاً . ومنذ أن رسم الرب قسمة إلى ٣ درجات هى:

الأسقفية ـ القسوسية ـ الشمامسة

تعقيب:

بالطبع أن هذه الأسرار السبعة لم تكن بين عشية وضحاها، بل جاءت متطورة تدريجياً . فالتعميد جاء فى إنجيل متى: {تقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض، فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوّهم باسم الأب والإبن

والروح القدس، والتساؤل هنا عن مسألة التعميد . هل تعمّد الحواريون من المسيح؟ لأنه لم يرد نص حرفى سوى بتعميد يوحنا المعمدان للمسيح . فهل تم تعميد الحواريين الأثنى عشر من يوحنا المعمدان فإن كان كذلك فإن كثير من الطوائف لا تعترف إلا بقبول بتعميد جديد عدا طائفة الأورثوذكس، وحتى بولس لم تذكر الأناجيل {أعمال الرسل ـ رسائله} عن تعميده هو شخصياً أسوة بمعلمهم المسيح .

وجاءت صيغة التعميد فى القرن الثانى الميلادى وكما ذكره جون لويمر[1]:

هل تؤمن بالله الأب القادر على كل شيئ؟

هل تؤمن بيسوع المسيح ابن الله الذى ولد بالروح القدس من مريم العذراء، والذى صلب فى عهد بيلاطس النبطى ومات وقام حياً فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وسيأتى ليدين الأحياء والأموات؟

هل تؤمن بالروح القدس والكنيسة المقدسة وقيامة الأموات؟

هذه الصيغة تعرف باسم الصيغة الرومانية أو الرموز الرومانية { أى كلمة السر أو علاقة وإختيار للعضوية فى الكنيسة} والتى أنتشرت فى القرن الثانى الميلادى .

ومع القرن الثالث ينقلنا جون لويمر فى الجزء الثالث من موسوعة ليتكلم مرة أخرى عن التعميد فيقول: التعميد ثانى أهم سر مقدس وكان فى العاده يتم للبالغين فقط . ولو أنه أحياناً يقدم للطفل الذى يتوقعون ألا يعيش طويلا . كان الكبار دائماً ما يؤجلون العماد حتى اللحظات . الأخيرة فى حياتهم إعتقاداً منهم أنه مع الفرصة المحدودة لإرتكاب الخطية يتأكد الخلاص . وكان الكهنة يفحصون بعناية فائقة المتقدمين للعمودية ثم يثقفوهم بالمعرفة العقائدية الشاملة . وكانت المراسم تتم عادة فى عيد القيامة، وأيضاً فى عيد الغطاس وعيد الميلاد . وكان فى الكنائس أحواض تعميد كبيرة حيث يدخل فيها طالبو العماد ويسكب عليهم الماء ولا يتم تغطيسهم بالكامل ثم يخرجونهم ويمسحونهم بالزيت ويرحب بهم شعب الكنيسة ويشتركوا فى سر عشاء الرب .

---

(١) موسوعة تاريخ الكنيسة ـ جون لويمر ج١

تعقيب:

سؤال بسيط للدكتور منيس . هل أمر المسيح بكل هذا ؟

سر الأفخارستيا

تعتبر فكرة سر الأفخارسيا أو عشاء الرب أحد أهم العقائد فى الدين المسيحى مما ورد فى إنجيلى مرقس ولوقا فيقول مرقس: { وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر فأعطاهم وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدى، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم: هذا هو دمى الذى للعهد الجديد، الذى يُسفك من أجل كثيرين} .

وعلى نفس المنوال تقريبا سار لوقا عدا أنه قدم الخمر على الخبز .

وأما بولس فكانت له رؤية خاصة به فيقول فى رسالته إلى أهل كورنثوس: إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها نفسه أخذ خبزاً فكسر وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا للذكرى، كذلك ذكر الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى هذا كلما شربتم لذكرى، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ .

ومن هذه النصوص ثبتت عقيدة العشاء الربانى كسر من الأسرار السبعة .

تعقيب:

هل العشاء الربانى هو من قبيل الذكرى أم أن المسيح ﷺ أراد فعلاً أن يكون أحد العبادات الكنسية، وإذا كان قد وضع فعلاً كأحد الطقوس الكنسية . فهل يأمر المسيح تلاميذه ومن هم بعدهم بشرب الخمر؟ ومعنى ذلك أن الخمر قد أبيح شربها بأمر المسيح . إلا أننى سأخذ القارئ معى فى رحلة عبر نصوص العهد القديم والجديد لنرى هل الخمر حقاً أبيحت أم لا .

١} {الخمر مستهزئة} ، المسكر عجاج، ومن يترنح بها فليس بحكيم} الأمثال ١/٢٠ .

٢} لمن الويل، لمن الشقاوة، لمن المخاصمات، لمن الكرب، لمن الجروح بلا سبب، لمن إذمهرار العينين، للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون فى طلب الشراب المموج . لا تنظر إلى الخمر ـ إذا أحمرت حين تظهر حبابها فى الكأس، وساغت مرقرقة . وفى الآخر تلسع كالحية، وتلدغ كالافعوان ـ يقول خربونى ولم أتوجع متى إستيقظت أعود طلبها . الأمثال ٣٣: ٢٩ ـ ٣٦ .

٣} ولكن هؤلاء أيضاً ضلّوا بالخمر ـ وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر، تاها من السكر، ضلا فى الرؤيا، قلقا فى القضاء، فإن جميع الموائد امتلأت قيئاً وقذراً} سفر أشعياء ٢٨/ ٧/٨ .

٤} الزنى والخمر ة السلافة تخلب القلب} سفر هوشع ٤: ١١

٥} {وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير ليتنذر للرب فعن الخمر والميسر يفتزر ولا يشرب خمر الخل ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنبا رطباً ولا يابساً . سفر العدد ٦: ١ ـ ٤ .

٦} لا تكن بين شريبى الخمر، بين المتلفين أجسادهم، لأن سكير الخمر والمسرف يفتقدان} سفر الأمثال ٢٣: ٢٠ ـ ٢١ .

٧} {وأما الأن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شقاقا أو سكيراً أو خاطفا أن لا تخالطوا ولا تؤكلوا مثل هذا} رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ٥ : ١١ .

٨} لا تضلوا، لا زناق، ولا عبدة أوثان، ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله} رسالة بولس الادلى إلى أهل لورنثوس ٦: ٩/١٠ .

٩} {وأعمال الجسد الظاهرة التى هى: زنى نجاسة وعادة عباده أوثان سحر عداوة . خصام غير سخط، تخرب غير شقاق، بدعة حسد، قتل ، سكر وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا إن اللذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله} رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٩: ٥

١٠} {ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح} رساله بولس إلى أهل أفسس} : ٥: ١٨

والغريب بعد كل هذا فيما نراه فى إنجيل يوحنا أن المسيح حوّل الماء إلى خمر ويصف بها يوحنا أنها أحد معجزات المسيح التى جعلتهم يؤمنون به .

بل أن إنجيل لوقا الإصحاح ٧: ٢٣ ، ٢٤ يقول: {لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان . جاء إبن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أبول وشريب خمر .

تعقيب:

السؤال حقاً هل أمر المسيح بشرب الخمر كما يدعّون عليه باطلاً . إن القرآن الكريم وصف هذا النبى الكريم بصورة لم تصفها أناجيلهم الأربعة:

١} ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] .

٢} ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا*وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا*وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣٢] .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصَّف:٦] .

هذا ما وصف به قرآننا الكريم نبى الله عيسى بن مريم فماذا قالت الأناجيل فى هذا.

بالنسبة للأية الأولى:

إتهمت الأناجيل المسيح بشرب الخمر وإحلاله لها وجعلها أحد طقوس العشاء الربانى وتحويل الماء إلى خمر، رغم قول القرآن ومن الصالحين، ومن يشرب الخمر ليس بصالح وهذا لا يجوز على نبى الله عيسى .

بالنسبة للآية الثانية:

{عندما يقول وبراً بوالدتي أي أنه صالح ويخفض لها جناح الرحمة . فماذا قالت الناجيل عن بر المسيح بوالدته .

يقول إنجيل متى: وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وأخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه . فقال له واحد: هوذا أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك . فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي ومن هم إخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي . لأن من يصنع مشيئة أبي الذى في السماوات هو أخي وأختي وأمي[1]

وهكذا ألصقوا بعيسى عدم بره بأمه حتى أن لوقا قال على لسان عيسى صراحة: {وكان جموع كثيرة سائرين معه، فالتفت وقال لهم: إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته . حتى نفسه ايضاً . فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً[2] .

هكذا قالت الأناجيل وكثير غير هذا؟ وهكذا قال القرآن الكريم عن عيسى ﷺ .

الكتاب المقدس الذى حكم على لوط بزنى المحارم وحكم على سليمان بالكفر ووضعهم القرآن فى مكانهم الصحيح لخلق الأنبياء هكذا قاموا ومازالوا يقومون بالتقليل من شأن أنبيائهم حتى أنهم يستهزئون بالمسيح ﷺ فى معقل الفاتيكان ـ إيطاليا .

إن الحقائق عن هؤلاء الأنبياء الأبرار وضعها القرآن وأمرنا القرآن ألا نفرّق بين أحد منهم .

أيأمر المسيح ﷺ بالبغض والكراهية لكل من لا يتبعه ولمن للأب والأم والأخوة؟ أهذه هي تعاليم الأناجيل؟ أهكذا أم السهل عليكم إلصاق التهم جزافاً على رسول كان اساس رسالته الخلق القويم والروحانية الحقة حتى أنه يطلب من الناس مسامحة المخطئ: { حينئذ تقدم إليه بطرس وقال: يارب كم مرة يخطئ إليّ وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع

(١) متى: ١٢: ٤٦/٥٠

(٢) لوقا: ٢٥/٢٦ .

مرات[١]} هل المسيح الذى طالب بهذا هو المسيح الذى قال: إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً . فلا يقدر أن يكون تلميذا لى[٢] . وهو نفس المسيح الذى قال: {جئت لألقى ناراً على الأرض، فماذا أريد لو أضطرمت؟ ولى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكتمل؟ أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض؟ كلا، أقول لكم بل إنقساماً لأنه يكون من الأن خمسة فى بيت واحد منقسمين: ثلاثة على أثنين، وأثنين على ثلاثة، فينقسم الأب على الابن، والإبن على الأب، والأم على البنت والبنت على الأم، والحماة على كنتها، والكنة على حماتها[٣] .

أهذه هى مواعظ المسيح التى الصقت على لسانه، ثم تدعون أن الأناجيل لم تحرف . بل ويخرج من يتبجح ليدّعى تحريف القرآن!! فى الوقت الذى سار النسق القرآنى كوحدة واحدة، إيمانية صلبة شديدة القوة فيصف الرسول ﷺ بقوله:

١} ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

٢} ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] .

أما عن البغض الذى زرعه لوقا ومتى فإن القرآن الكريم يرد ببساطه عليهم فى هذا

١} ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩] .

٢} ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

٣} ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] .

أما عن بر الوالدين والتى ألصقها لوقا سواء برفض المسيح رؤية أمه واخوته عندما

---

(١) متى: ٢١ :١٨ .

(٢) لوقا: ١٤ : ٢٦/٢٧ .

(٣) لوقا: ١٢ : ٤٩/٥٣

طلبوا ذلك، ثم أنه سيعطى إنقساماً لا سلاماً، فإن النسق القرآنى جاء بعكس ذلك فى آيات عديدة .

١} ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦] .

٢} ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١] .

٣} ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] .

وعندما يوصى لقمان ابنه يقول له فى موعظته:

٤} ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ*وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٣ :١٤] .

وكثير من الآيات تحمل معانى الرحمة والبر، فهل يدعو المسيح ﷺ إلى البغض والانقسام كما تقول الأناجيل، أم أن هذا يؤكد تحريف وتبديل هذه الأناجيل؟

ولنعود مرة أخرى إلى إتهام المسلمين بإهانه المسيح وإننى أتحدى أن يكون هناك مسلم واحد قد أهان هذا الرسول المعجز فى ولادته والذى رفضه قومه هم، وأهانوه حتى أخرجوا فيلم من إيطاليا {عاصمة الكنائس} ومحتضنة الفاتيكان هذا الفيلم {٧كيلو من أورشليم} . إلا إننا نترك كل هذا ولنعود مرة أخرى إلى {سر الشكر، العشاء الربانى، سر الأفخارستيا} . وللقارئ أن يختار أى مصطلح يشاء .

تقول موسوعة تاريخ الكنيسة: لقد تحددت بعض الاتجاهات التى كانت قد ظهرت فى عهد جاستن الشهيد، وإيرناوس وهذه الاتجاهات تتخلص فى:-

١} أن العشاء الربانى هو سّر فيه يحل المسيح حقيقة {ولكن كيفية هذا الحلول لم تناقش لسنوات عديدة} وفيه يشترك المؤمن فى الجسد والدم! .

٢} وهو ذبيحة يقدمها الكاهن {الكاهن وليس شخص آخر} ويطلب من الله

النعمة للأحياء والأموات . ويقدم {سيبريان} شرحاً جيداً لذلك فيقول: لأنه إذا كان المسيح يسوع ربنا وإلهنا هو نفسه رئيس كهنة الله الأب . قد قدم نفسه ذبيحة لله الأب، ثم أمر أن يعمل هذا الأمر نفسه لذكره، فهذا الكاهن يحل محل المسيح ويقلد ما فعله المسيح فيقدم ذبيحة حقيقية وكاملة فى الكنيسة وعندها يكون كمن رأى المسيح نفسه يقدمها[1] . وكانت الكنيسة تقدم العشاء الربانى كل يوم أحد، ولكن كانت هناك بعض الإجتماعات الأخرى، فكان هناك إجتماع خاص كل يوم للتعليم وإجتماع آخر نسائى، وعندما كانت تضاء المصابيح يتقدم الأسقف أو الشيخ ليشكر الله على عطايا اليوم كله .

تعقيب:

لو عدنا إلى نصوص ما قاله السيد المسيح عن العشاء الربانى فلن نرى سوى مرقس ولوقا هما اللذان كتبا عن هذا ولم يذكر متى أو يوحنا أى شيئ خاص بهذا .

فيقول مرقس الأصحاح ١٤ العدد ٢٦/٢٤: {وفيما هم يأكلون . أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدى . ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم . وقال لهم: هذا هو دمى الذى للعهد الجديد، الذى يسفك من أجل كثيرون . الحق أقول لكم: إنى لا أشرب بعد من من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا فى ملكوت الله .

أما إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ العدد ٢٠/١٤: { ولما كانت الساعة اتكأ والأثنا عشر رسولا معه . وقال لهم: شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأنى أقول لكم: إنى لا آكل منه بعد حتى يكمل ملكوت الله . ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم لأنى أقول لكم: إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله . وأخذ خبزاً وشكر وكسّر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى . وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم} .

---

(١) الرسل: ١٤: ٦٢/٦٣

هذا هو سر العشاء الربانى فكلا الإنجليين لم يطلب المسيح فيهما أن يتحول هذا العشاء إلى طقس من الطقوس العبادية حتى أن إنجيل مرقس يصرح بأن مسألة الحلول هذه لم تعرف على مدى سنوات طويلة . حتى خرج {سيبديان} مفلسفاً المعنى فى مسألة الحلول هذه قياساً بين الكاهن والمسيح كرئيس للكهنة . ومع ذلك فإن الكثير من علماء النصارى وقف ضد هذا الطقس، رغم علمهم أن بولس هو من أحيا هذا الطقس خشية من أن يتحول الى عشاء عادى . ومع ذلك فإن موسوعة تاريخ الكنيسة لجون لويمر قد شرح أو تدرج فى مسألة سر العشاء الربانى هذه وعرض بأمانه ما قاله علماء النصارى فيها أو وجهة نظرهم فتحت عنوان تطور الأفخارستيا يقول: أصبحت عبادة الكنيسة ـ القرن الرابع ـ أكثر تطوراً فى هذه الحقبة، وإذ كان فكر الناس عن الكنيسة أنها نفسها جسد المسيح السرى، نمت صورة الليتورجية لتعضد هذه الفكرة، نظروا إلى الكنيسة كمجتمع أفخارستى تصان حياته بالمشاركة المستمرة والأمنية فى الجسد والدم السريين الأقدسين للمسيح كان المذبح داخل الكنيسة يزداد بعداً ويغطى أحياناً بستارة أصبحت فيما بعد حجاب الأيقونات فى الكنائس الشرقية وكما وصفه {يوحنا فم الذهب} مائدة الرب، مكان الرعب والقشعريرة} يجب ألا تنظرها الأعين البخسة الشريرة، هذا هو السر الأعظم قدس الأقداس، الحقيقية المركزية لحياة الكنيسة .

وفى القرن الرابع عشر ظهر {جون ويكليف} ، {جون هس} وكان ويكليف مستشار الملك فى إنجلترا وهاجم الموقف الكاثوليكى بالنسبه لسر الأفخارستيا ووضع ما يسمى الاستحالة الجوهرية إن الخبز والخمر يتحولان فعلاً إلى جسد الرب ودمه .

ويعلن مارتن لوثر ١٥١٨ إنكاره صلاحية كل الأسرار بإستثناء عشاء الرب والمعمودية، وأثار أسئلة ثلاثة حول الأفخارستيا حيث أنه ليس بحسب الكتاب أن تحبس الكنائس تناول الكناس عن العلمانية وأن الخبز والخمر يجب أن يناولها الجميع ثم شكك فى مبدأ الأستحالة الجوهرية ـ وتحت الخبز والخمر لم يكن هناك تغيير مادى فى العناصر .

{ويعلن زوينجلى} إن جسد يسوع يفيد كثيراً جدا فى كل مكان، نعم، ولكن كمن مات . لا كمن يؤكل . كونه مات فهذا ينقذنا من الموت كونه يؤكل فهذا لا يفيد شيئاً البته، فى رأى زوينجلى يجب أن تفهم الكلمات فى النص على النحو التالى: هذا

أى شيئ الذى أقدمه لكم للأكل هو رمز جسدى، مقدم لأجلكم، وهذا الذى أعمله الأن يجب أن تعملوه أنتم مستقبلا لذكرى . مثل عيد الفصح عند اليهود يكون عشاء الرب عيد الذكرى العظيم للفداء .

وفى سنة ١٥٣٧ يعلن كالفن قوله: {يقدم لنا المسيح فى سمات الخبز والخمر مشاركة حقيقية فى جسده ودمه . لكن هذا لا يعنى الحلول الموضعى {أى مادة الجسد الفعلية} التى نحرم منها بسبب صعود المسيح بالجسد . إن روحه القدوس ليس محدوداً فى نشاطه بأى شكل . إنه رباط مشاركتنا وتغذيتنا بمادة جسد المسيح ودمه .

المناظرة بين لوثر وزوينجلى

وهى من المناظرات التى حوتها موسوعة تاريخ الكنيسة الجزء الرابع

{ فى سنة ١٥٢٦ كان لوثر وزوينجلى { وآخرون كثيرون} ينشرون حججهم عن الأفخارسيتا . وتركز الحوار على إمكان حضور جسد المسيح فى الخبز والخمر، لوثر جادل بأنه حتى مع أن المسيح صعد إلى السماء بجسده، فقد كان فى إمكان ذلك الجسد أن يكون فى كل مكان . وفى أى مكان بطريقة معجزية . واحتج زوينجلى بأن هذه مناقضة منطقية . المسيح فى كل مكان أى نعم، ولكن جسده لا يمكن أن يكون فى كل مكان دون توقف كيونته جسداً . علاوة على ذلك ليس ضرورياً للجسد أن يكون حاضراً حقيقة بالروح أثناء المشاركة فى الأفخارسيتا . هذا الحوار يتزايد بروح مريرة خصوصا من جهة لوثر . كان مريضاً ومكتئباً وهو يرى الشيطان يهاجمه بطرق عديدة .

تعقيب:

لعلى أزعم بأن القائل بإستحالة الزعم بمسألة الحلول . فكيف لن يدعى التعقل حلول خبز يؤخذ من قمح ثم يطحن وربما هذه الكمية من الدقيق يصنع بها خبزاً يذهب به إلى عائلة لتأمله ثم فجأه يؤخذ هذا الخبز الى الكنيسة ليتحول إلى خبز مقدس الذى يتحول إلى جسد للمسيح، ولا يقول لى أحد أنه يصنع خصيصاً لذلك . فإن النص الحرفى لأناجيل مرقس ولوقا لا يقول ذلك بل إنه كان عشاء الرب لعيد الفصح اليهودى . وليس عيداً خاصاً للنصارى فالمسألة فى حالة زعمنا بصحة الأناجيل أو التصديق بها لا تعدو مسألة ذكرى لماذا ذكرى؟ لأن رسالة المسيح كانت قصيرة جدا بحيث أراد من تلاميذه

عدم النسيان وأنه فى خلال ساعات سيسلم وتنتهى تلك المواضيع برمتها، فأراد الا ينسوا ذكراه ومواعظه فكنت المناسبه عيد الفصح عند اليهود ثم أخذهم الخبز والخمر وتلك أمور مشكوك فيها لأنها لم تذكر فى الأناجيل الأربعة . فكيف يتم إقرار مثل هذا الطقس ولا يتكلم عنه متى أو يوحنا .

﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

[الصَّف:٦]


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

ومبشراً برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد

جاء الإسلام كدين يضع العقل فى مرتبة سامية . واضعاً العلم والتأمل مع النص الإلهى فى نغمة وسياق لا وسيلة لإختراقه أو تضاده مهما إنحرفت الأقلام، لذلك كان الإسلام هو ختام الرسالات قاطبة، وقد تكفل الله بحفظه لأنه يعلم أن الإنسان تملؤه الأهواء فترك له الرسالات السابقة فلم يحافظ عليها . وتدخلت الأهواء فيها فأضاعوها أو بدلوها ثم جاءوا بكتب من عندياتهم وقالوا هذه من عند الله وما هى من عند الله وصبغوها بقدسية وبلغ بهم الأمر قولهم أنها موحى بها من عند الله .

لم تعرف كلمة إنجيل إلا فى وقت متأخر بعد رفع المسيح . بل كان لكل من يريد أن يكتب أن يكتب متى شاء ومتى أراد . فالبعض أطلق عليها {مذكرات الرسل}، والبعض أطلق عليها {كاروزيتا} إلا أن من نقل هذه المذكرات من العبرانية أو الآرامية إلى اليونانية هو من وضع مصطلح إنجيل .

وردت كلمة إنجيل فى المعجم الوسيط بأنها كتاب الله المنزّل على عيسى ﷺ، وهى كلمة يونانية معناها البشارة والجمع أناجيل .

فأى بشارة تلك التى يعترف بها المسلمون والنصارى على حد سواء .

تقول النصارى أن البشارة هى الخلاص أى أن عيسى ﷺ جاء ليفدى البشر عن خطاياهم بصلبه على الصليب وكما يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ١ : ٨ {إذا لا شيئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح . لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد اعتقنى من ناموس الخطية والموت . لأنه ما كان الناموس عاجزا عنه أفى ما كان ضعيفا بالجسد . فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية فى الجسد، لكى يتم حكم الناموس فينا} .

ويمتلئ العهد الجديد بمثل هذا المضمون، إلا أننى أتساءل بنوع من التعقل: أليس الله بقادر على أن يغفر الذنوب للناس جميعاً؟ وكما يقول الله ﷻ فى القرآن ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] .

إن الله ﷻ ليس فى حاجة إلى وسيط من البشر ليصلب فداء عن خطايا وذنوب البشر، وإذا كان ميلاد المسيح جاء معجزة فإنه آية من آيات الله حتى يتعظ بها اليهود ومثل آيات موسى، ولعل معجزة خلق آدم كمعجزة أقوى من معجزة خلق أو دعنا نقول معجزة ولادة المسيح فآدم خلقه الله رجلاً كاملاً دون أب أو أم، اما المسيح فقد ولد طفلاً من مريم ونما بين الناس وترعرع بينهم، حتى أن إنجيل لوقا: {ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنه، وهو على ما كان يظن إبن يوسف، بن هالى[1]} . فهل حقاً كان عيسى إلى أن بلغ الثلاثين كان لا يعرف أن ميلاده معجزة بدون أب؟! .

أعتقد وكما قال موسى لبنى إسرائيل قبل وفاته ـ {خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم . لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم . قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى . إجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق سامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض، لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به[2] .

وكما يقول إنجيل متى: {حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلا: يقترب إلى هذا الشعب بفمه، ويكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً . وباطلاً يعبدوننى، وهم يعلّمون تعاليم هى وصايا الناس[3]} .

ويضع المسيح القول الفصل فى إنجيل متى أيضا:ليس كل من يقول لى: يارب، يارب! يدخل ملكوت السماوات بل الذى يفعل إرادة أى الذى فى السماوات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: يارب، يارب! أليس بإسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرخ لهم: إنى لم أعرفكم قط! إذهبوا

(١) لوقا: ٣ـ ٢٣ .
(٢) تثنية: ٣١: ٢٦/٢٩ .
(٣) ١٥: ٧/٩ .

عنى يا فاعلى الإثم!(١) .

وهنا نقف قليلاً أى إثم فعله هؤلاء الذين يقصدهم المسيح فى الوقت الذى فعلوا كل المعجزات بإسمه، وكما قال أثناء حياته: {فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا، فمنعناه لأنه ليس يتبعنا، فقال يسوع: لا تمنعوه لأنه ليس أحد يصنع قوة بإسمى ويستطيع سريعاً أن يقول على شراً . لأن من ليس علينا فهو معنا(٢)} .

إذا لو قارنا بين مقولة المسيح الأولى والثانية وهى فى إنجيل واحد {متى} لوجدنا أن المسألة تتعدى مسألة صنع المعجزات بإسم المسيح حتى وإن لم يكن مع المسيح . فأى إثم إذن فعله أو سيفعله الذين ينكرهم المسيح، . إنها مسألة التثليث لأن التوحيد نادى به المسيح فى أكثر من مكان فى الأربعة أناجيل نأتى للنقطة الثانية وهى التى ترددت كثير فى عودة المسيح ليدين الأحياء والأموات، وهى تعكس تماماً مسألة النداء والخلاص . إذن ما معنى قولهم إنجيل . أى البشارة ؟ البشارة بماذا؟ للفداء؟ غير صحيح لقول المسيح نفسه أنه سيدين الأحياء والأموات . ولا يخرج علينا أحد ليقول نعم سيدين لكل من هو غير مسيحى . فهذا لا يجوز . لأن المسيح نفسه رفض تغيير حرف أو نقطة من ناموس اليهود، ولم يعلم أنه كان سيخرج بدين جديد، . إذن البشارة كانت بشارة لمن سيأتى من بعده من الرسل وليؤكد حقيقة رسالة المسيح، وكثيراً تناولوا هذه الجزئية سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد والتى أوردها الله تعالى فى قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] . إلا إننا نعود إلى جزئية الإدعاء بأن الله ﷻ أراد وسيطاً وفادياً حتى يغفر خطايا البشر، ولتكون المحصلة النهائية صلب أحد رسله كما يزعم الكثير من أنبياء بنى أسرائيل كانت نهايتها قطع رأس يوحنا المعمدان . فلماذا المسيح بالذات الذى يقتل لغفران خطايا البشر؟ . لماذا هذه الإتهامات، لماذا نسقط الأدب مع الله ﷻ؟ ما هذا . أيفدى الله البشر ويغفر الخطايا بقتل أحد رسله بحيث يهان ثم يصلب ليموت ثم يقبر . بأى نظرة ينظر هؤلاء إلى الله ﷻ . ثم بعد ذلك تقام المناقشات والمجادلات على مدى

(١) متى: ٧/ ٢١- ٢٣ .
(٢) متى: ٩/ ٣٨ - ٤٠ .

أربعة قرون لإثبات جوهر المسيح فمنهم القائل هو مماثل لجوهر الله وكأنه راى الله وعرف جوهره ومنهم القائل بل هو منبثق عن الله ما هذا؟ . إله يقتل إله؟ حتى يتم غفران خطايا البشر . إن رسالة المسيح على أقصى حد لم تتعدى الثلاث سنوات وكان دائم الترحال يدعو ويبشر . بماذا؟ التبشير برسول سيأتى من بعده . كانت هذه فترة الثلاث سنوات، وقد تناول الكثير والكثير من الباحثين مسألة التبشير هذه سواء فى العهد القديم أو العهد اللجديد . إلا أننى هنا سأكتفى بجزئية العهد الجديد . لأن الترجمات تعددت فى نقل هذه الأناجيل وتدخل العنصر الدينى المتشدد أو العنصر السياسى فى ترجمة هذه الأناجيل وبالتالى تعددت التفاسير تبعاً لذلك .

وقد تفرد إنجيل يوحنا بهذا التوضيح .

يقول يوحنا: { إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً . الذى يشهد لى هو آخر . وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق[1] }

وفى الأصحاح١٤: { وإن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد[2] }

وفى نفس الإصحاح: {بهذا كلمتكم وأنا عنكم . وأما العزى، الروح القدسالذى سيرسله الأب باسمى، فهو يعلمكم كل شيئ ويذكركم بكل ما قلت[3] .

إلا أن يوحنا وعلى لسان عيسى يكشف القليل مما قاله عيسى لتلاميذه ولكنه واضح وضوح الشمس وسوف نعلل هذا فيما بعد .

يقول يوحنا الإصحاح ١٦: {وأما الآن فأنا ما حق إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى: أين تمضى؟ لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى الحق أقول لكم: إنه خير لكم أن أنطلق، لإنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزى} ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيّه وعلى برّ وعلى دينونة: أما على

---

(١) يوحنا: ٥: ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) يوحنا: ١٤/ ١٥ ـ ١٦ .

(٣) يوحنا ١٤: ٢٥/ ٢٦

خطية فلأنهم لا يؤمنون لى . وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى لا تروننى أيضا . وأما على دينونة فلأن ورئيس هذا العالم قد دين .

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا*بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧/١٥٨] .

هل يجد القارئ اختلافاً بين ما قيل على لسان عيسى وبين آيات القرآن الكريم فى سورة النساء؟ .

إلا إننا نعود إلى بقية الأصحاح فى إنجيل يوحنا: إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتيه، ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . كل ما للأب هو لى لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم . بعد قليل لا تبصروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى، لأنى ذاهب إلى الأب[١] .

هذا ما قاله إنجيل يوحنا، ولا يخرج علينا أحد ليقول لنا أن المقصود بالمعزى هو الروح القدس فهذا مردود عليه فى إنجيل لوقا وفى قوله: {ومتى قدموك إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون، لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه[٢] .

إن عيسى عليه السلام كان هدف بشارته هو الرسول ﷺ . لأن الروح القدس كان معه أثناء معموديته من يوحنا . وإمتلأت وكما قلنا من قبل فقد إمتلأت بها اعمال الرسل وغير الرسل، وكما قال يوحنا عنه {هو سيعمدكم بالروح القدس ونار[٣] .

فالمقصود بالمُعزى بعد محاولات من قبل المترجمين لا تعنى سوى محمد ﷺ . فماذا قال الباحثون عن ذلك:

---

(١) يوحنا: ١٦: ٥/١٦ .

(٢) لوقا: ١٢: ١٢/١١ .

(٣) متى: ٣: ١١ .

١} عاتب المسيح ﷺ علماء اليهود بقوله: {ويل لكم أيها الناموسيين لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم} كما هو مصرح به فى الباب الحادى عشر من إنجيل لوقا . وعلى مذاق المسيحيين قد يبقى خفياً على الأنبياء فضلاً عن العلماء، بل قد يبقى خفياً على النبى المخبر عنه على زعمهم فى الباب الأول من إنجيل يوحنا هكذا: {١٩} وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت {٢٠} فإعترف ولم ينكر وأقرّ أنى لست أنا المسيح {٢١} فسألوه من أنت إذاً؟ أنت إيلياء؟ فقال لست أنا إلياء، فسألوه أنت النبى؟ فقال لا {٢٢} فقالوا له من أنت لنعطى جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك {٢٣} قال أنا صوت صارخ فى البرية قوّموا طريق الرب كما قال أشعيا النبى{٢٤} وكان المرسلون من الفريسيين {٢٥} فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى} والألف واللام فى لفظ النبى الواقع فى الآية{٢٥،٢١} للعهد . والمراد النبى المعهود الذى أخبر عنه موسى ﷺ فى الباب الثامن عشر من سفر التثنية، على ما صرح به العلماء المسيحية .

٢} إدعاء أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيا آخر غير المسيح وايلياء، إدعاء باطل لا أصل له، بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضا، لما عرفت فى الأمر الثالث أنهم كانوا منتظرين . لغيرهما أيضاً، لما علمت فى الأمر الثانى أن علماء اليهود المعاصرين لعيسى بن مريم ﷺ سألوا يحي ﷺ أولاً: أنت المسيح؟ ولما أنكر سألوه: أنت إيلياء؟ ولما أنكر سألوه: أنت النبى أى النبى المعهود الذى أخبر به موسى؟ فعلم أن هذا النبى كان منتظراً مثل المسيح وإيلياء، وكان مشهوداً بحيث ما كان محتاجاً إلى ذكر الإسم بل الإشارة إليه كانت كافية، وفى الباب السابع من إنجيل يوحنا بعد نقل قول عيسى ﷺ هكذا: {فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى، وآخرون قالوا هذا هو المسيح، وظهر من هذا الكلام أيضاً أن النبى المعهود عندهم كان غير المسيح، ولذلك قابلوا المسيح .

٣} مؤلفو العهد الجديد باعتقاد المسيحيين ذوو إلهام، وقد نقلوا الإخبارات فى حق عيسى ﷺ . فيكون هذا النقل، على زعمهم بالإلهام . فأذكر نبذاً منها بطريق الأنموذج ليقيس المخاطب حال هذه الاخبارات بالاخبارات التى أنقلها فى هذا المسلك

في حق محمد ﷺ، وان سلك أحد من القسيسين وتصدى لتأويل الاخبارات التي نقدها مؤلفو العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام، ليظهر للمنصف اللبيب حال الاخبارات التي نقدها الجانبان ويقابلهما باعتبار القوة والضعف . وان غمض النظر عن توجيه الأخبارات المحمدية التي أنقلها في هذا المسلك يكون محمولاً على عجزه وتعصبه . لأنك قد علمت في الأمر أن المعاند له مجال واسع للتأويل في أمثال هذه الأخبارات . وإنما أكتفيت على نبذ مما نقله مؤلفو العهد الجديد، لأنه إذا ظهر أن البعض منها غلط يقينا، والبعض منها محرّف، والبعض منها لا يصدق على عيسى عليه السلام إلا بالادعاء البحت، والتحكم الصرف، ظهر أن حال الاخبارات الأخر التي نقلها المسيحيون الذين ليسوا ذوى الهام ووحي يكون أسوأ فلا حاجة لنقلها .

الخبر الأول

ما هو المنقول في الباب الأول من إنجيل متى وقد عرفت في بيان الغلط الخمسين في الفصل الثالث من الباب الأول أنه غلط . على أن كون مريم عذراء وقت الحبل غير مسلم عند اليهود والمنكرين . ولا يتم عليهم حجة . لأنها قبل ولادة عيسى عليه السلام كانت في نكاح يوسف النجار على تصريح الإنجيل . واليهود المعاصرون لعيسى عليه السلام أنه ولد يوسف النجار . كما هو مصرح به في الآية ٥٥ من الباب ١٣ من إنجيل متى، والاية ٤٥ من الباب ١ ، والآية ٤٢ من الباب السادس من إنجيل يوحنا وإلى الآن يقولون هكذا، بن أشنع منه، والعلامة الأخرى المختصة بعيسى عليه السلام غير مذكورة في هذا الخبر .

الخبر الثاني

ما هو المنقول في الآية السادسة من الباب الثاني من إنجيل متى، وهو إشارة إلى الآية الثانية من الباب الخامس من كتاب {ميخا} . ولا تطابق عبارة متى عباره ميخا واحداهما محرّفة . وقد عرفت في الشاهد الثالث والعشرين من المقصد الأول من الباب الثاني أن محققيهم اختاروا عبارة ميخا . لكن إدعاءهم هذا لأجل محافظة الإنجيل فقط، وعند المخالف باطل .

الخبر الثالث

ما هو المنقول فى الآية الخامسة عشر من الباب المذكور .

الخبر الرابع

ما هو منقول فى الآية ١٧، ١٨ من الباب المذكور .

الخبر الخامس

ما هو المنقول فى الآية الثالثة والعشرين من الباب المذكور . وهذه الأخبار غلط، كما عرفت فى الفصل الثالث من الباب الأول .

الخبر السادس

الآية التاسعة من الباب السابع والعشرين من إنجيل متى . وقد عرفت فى الشاهد التاسع والعشرين من المقصد الثانى من الباب الثانى أنه غلط . على أن هذا الحال يوجد فى الباب الحادى عشر من كتاب زكريا ولا مناسبه له بالقصة التى نقلها متى[1] .

إلا إننا نكتفى الآن بالأخطاء التى ذكرت لأنها طويلة وكثيرة وليس لها تقريباً صله سوى إثبات الإقتباس والأنحراف الذى تم فى العهد الجديد، وننتقل إلى الجزئية التى تهمنا فى هذا الباب .

بشارات محمد ﷺ :

لن نتكلم أيضا عن البشارات التى وردت فى التوراة والتى تمثل اثنتى عشر بشارة بل سنبدأ بالعهد الجديد والذى يحتوى على خمس بشارات .

البشارة الأولى

فى الباب الثالث من إنجيل متى: وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السماوات .

وفى الباب الرابع من إنجيل متى: ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم أنصرف إلى

(١) إظهار الحق ـ رحمه الله هندى ج٢ .

الجليل . من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه أقترب ملكوت السماوات ما وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت . الخ . وفى الباب السادس من إنجيل متى فى بيان الصلاة التى علمها عيسى ﷺ تلاميذه {ليأت ملكوتك} ولما أرسل الحواريين إلى البلاد الإسرائيلية للدعوة والوعظ، وصاهم منها هذه الوصية ايضاً: وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين أنه قد أقترب ملكوت السماوات . كما هو مصرّح به فى الباب العاشر من إنجيل متى، ووقع فى الباب التاسع من إنجيل لوقا هكذا: ودعا تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، يشفوا المرضى .

وفى الباب العاشر من إنجيل لوقا: وبعد ذلك عيّن الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم . الخ وقال لهم: وأية مدينة دخلتموها وقبلولكم فكلوا مما يقدم لكم واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله، وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا: حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا هذا أنه قد خرج منكم ملكوت الله .

فظهر أن كلاً من يوحنا وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السماوات، وبشر عيسى ﷺ بالالفاظ التى بشر بها يوحنا . فعُلم أن هذا الملكوت، كما لم يظهر فى عهد يوحنا، فكذلك لم يظهر فى عهد عيسى ﷺ ولا فى عهد الحواريين والسبعين، بل كل منهم مبشر به، ومخبر عن فضله . فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة عيسى ﷺ، وإلا لما قاله عيسى والحواريون والسبعون، أن ملكوت السماوات قد إقترب . ولما علّم التلاميذ أن يقولوا فى الصلاة {وليأت ملكوتك} لأن هذه الطريقة قد ظهرت بعد ادعاء عيسى النبوة بشريعته، فهو عبارة عن طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة محمد ﷺ . فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة . فلفظ ملكوت السماوات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون فى صورة السلطنة لا فى صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه من المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنى قوانينه لابد أن يكون كتاباً سماوياً . وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية . وما قال العلماء المسيحيون أن المراد بهذا الملكوت شيوع الملة

المسيحية فى جميع العالم واحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى ﷺ . فتأويل ضعيف خلاف الظاهر، ويرده التمثيلات المنقولة عن عيسى

وفي إنجيل متى الباب الثالث عشر يقول: يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله، وفى فقرة أخرى: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله، وقال: يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ـ فشبه ملكوت السماوات بإنسان زارع لا بنمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبه لا باختمار جميع الدقيق . وكذا يرد هذا التأويل قول عيسى ﷺ بعد التمثيل المنقول في الباب الحادى والعشرين من إنجيل متى هكذا: لذلك أقول أن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره . فان هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها فى جميع العالم واطاحتها به . وإلا لا معنى لنزع الشيوع والاحاطة لقوم آخرين . فالحق أن المراد بهذا الملكوت هى المملكة التى اخبر عنها دانيال ﷺ فى الباب الثانى من كتابه . فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة بقوة محمد عليه الصلاة والسلام، والله أعلم .

البشارة الثانيه

يقول متى فى الباب العشرين: فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج من الصبح ليستأجر فعلة لكرمة، فإتفق مع العملة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمته، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى السوق بطالين، فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا، فخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك ثم نحو الساعة الحادية عشر ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟ قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم . فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة واعطهم الأجرة مبتدئا الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشر ديناراً ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا وفيم هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة

واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين إحتملنا ثقل النهار والحر، وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك أما إتفقت معى على دينار فخذ الذى لك واذهب فانى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى، أم عينيك شريرة لأنى أنا صالح . هكذا يكون الآخرون أولين والأولين آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليليين ينتخبون فالآخرون أمة محمد ﷺ فهم يقدمون فى الأجر وهم الاخرون الأولون، كما قال الرسول ﷺ نحن الآخرون السابقون، وقال إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها . وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى .

والأمثلة كثيرة على ذلك .

البشارة الثالثة

وهذه البشارة واقعة فى آخر إنجيل يوحنا، وينقل عن التراجم العربية ١٨٢١، ١٨٣١، ١٨٤٤، فى لندن ففى الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا: إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب فيعطيكم {فارقليط} آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم . والفارقليط روح القدس الذى يرسله الأب بإسمى هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم والأن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون} .

وفى الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنا يقول: فأما اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذى من الأب ينبثق هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء .

وفى الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا: لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق، لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فاما إن أنطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيه وعلى بر وعلى حكم، أما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بى، وأما على البر ملأنى منطلق إلى الأب ولستم تروننى بعد وأما على الحكم فان أركون هذا العالم قد دين. وإن لى كلاماً كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الأن .

واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده، بل

يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى، وهو يمجدنى لأن يأخذ مما هو لى ويخبركم، جميع ما هو للأب فهو لى . فمن أجل هذا قلت ان مما هو لى ياخذ ويخبركم .

وبيان الإستدلال بهذه العبادات أمران:

الأمر الأول

وهى كلمة موجهه للدكتور منيس أنه يعلم أن أهل الكتاب كانت عاداتهم أن يترجموا غالب الأسماء، وأن عيسى ﷺ كان يتكلم باللسان العبرانى أو السريانى ولم يتكلم لاباللسان اليونانى . فإذا لا يبقى شك فى أن إنجيل يوحنا ترجم اسم المبشر به باليونانى بحسب عاداتهم . ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليونانى بفارقليط، وقد وصلت إلى رسالة صغيرة فى لسان أردو { اللغة الهندية} من رسائل القسيسين فى سنه ١٢٦٨هـ وكانت الرسالة طبعت فى {كلاكتا بالهند} وكانت تحقيقا فى لفظ فارقليط معرّب من اللفظ اليونانى . فان قلنا أن هذا اللفظ اليونانى الأصل {بيركلو طوس} يكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل

فإن قلنا أن اللفظ فى الأصل {بيركلوطوس} يكون قريبا من معنى محمد وأحمد . فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطوس . ومعناه قريب من معنى محمد واحمد . فادعى أن عيسى ﷺ أخبر بمحمد أو أحمد . لكن الصحيح أنه {ياراكلى طوس} . انتهى ملخصاً من كلامه، فالتفاوت بين اللفظين يسير جدا .

الأمر الثانى

أن البعض ادعى قبل ظهور محمد عليه الصلاة والسلام فى أنهم مصدقون لفظ فارقليط . مثل {فتننس} المسيحى الذى كان فى القرن الميلادى الثانى وكان ذو مكانة وتقياً وله أتباع كثيرة، ادعى عام ١٧٧ ميلادياً وفى أسيا الصغرى بأنه هو الفارقليط الموعود به الذى قال بمجيئه عيسى ﷺ .

وذكر {وليم مور} ذلك، فعلُم أن انتظار الفارقليط كانت فى القرون الأولى المسيحية .

وقال صاحب لب التواريخ: إن اليهود والمسيحيين من معاصرى محمد ﷺ كانوا منتظرين لنبى يبعث فى زمان النبى ﷺ، وهو الحق لأن النجاشي ملك الحبشة، لما وصل اليه كتاب محمد ﷺ فقال: أشهد بالله أنه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب . وكتب الجواب: أشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً، وقد بايعتك وبايعت إبن عمك {جعفر بن ابى طالب}، وأسلمت على يديه لله رب العالمين . {صلى عليه الرسول صلاة الجنازة عند وفاته} . وهذا النجاشى قبل الإسلام كان نصرانياً .

وكتب المقوقس ملك القبط فى رسالة إلى الرسول ﷺ يقول: من المقوقس عظيم القبط إلى محمد بن عبد الله، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أيضاً أن نبياً قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك .

والمقوقس هذا وإن لم يسلم لكنه أقر فى كتابه أنه قد علم أن نبياً قد بقى . وهذا يدل على أن هذين الملكين لم يكونا يخافا من محمد ﷺ لأجل شوكته الدنيوية إلا أنهما علما يقينا أن هناك نبيا قد تبقى وهو نبى آخر الزمان . وجاء الجارود بن العلاء فى قومه إلى رسول الله ﷺ فقال: والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق . والذى بعثك بالحق نبياً، لقد وجدت وصفك فى الإنجيل وبشر بك بن البتول، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين ولاشك بعد يقين، مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله . ثم آمن قومه .

وهذا الجارود كان من علماء النصارى . وقد أقر بانه قد بشر به ابن البتول أى عيسى ﷺ . وهذا يثبت أن النصارى كانوا منتظرون لخروج نبى بشر به عيسى ﷺ فإذا علمت ذلك عزيزى الدكتور منيس . فأقول لك أن اللفظ العبرانى الذى قاله عيسى ﷺ مفقود . واللفظ اليونانى الموجود مجرد ترجمة . إلا أن اللفظ اليونانى الأصل {بيركلو طوس} هو بشارة المسيح بحق محمد ﷺ بلفظ هو قريب من محمد أو أحمد وإذا كان هذا اللفظ اليونانى فى معنى {باراكلى طوس}

فهو معناه المعزى والمعين والوكيل على ما يبين صاحب الرسالة أو الشافع كما يوجد فى الترجمة العربية ١٨٦، وكل هذه المعانى تصدق على محمد ﷺ .

إلا أن العالم رحمه الله بن خليل الرحمن الهندى يستطرد فيقول: إن عيسى ﷺ قال: {هو يشهد لأجلى} . وهذا الروح ما شهد لأجله بين يدى أحد ـ المقصود به الروح القدس ـ لأن تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين إلى الشهادة لأنهم كانوا يعرفون المسيح ﷺ حق المعرفة قبل نزوله أيضا . فلا فائدة إذن للشهادة بين أيديهم . بخلاف محمد ﷺ، فإنه شهد لأجل المسيح ﷺ وصدقه وبرأه عن ادعاء الألوهية .

أن عيسى ﷺ قال: { وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء} وهذه الآية فى الترجمة العربية المطبوعة ١٨١٦ تقول: {وتشهدون أنتم أيضا لأنكم كنتم معى من الابتداء}

وفى الترجمة العربية المطبوعة ١٨٦٠: {وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء} . فيوجد فى هذه التراجم الثلاث لفظ {أيضا} وكذا يوجد فى التراجم الفارسية المطبوعة ١٨١٦، ١٨٢٨، ١٨٤١، وفى ترجمة أردو المطبوعة ١٨١٤ ترجمة لفظ {أيضا} فلفظ أيضا سقط من التراجم التى نقلت عنها عبارة يوحنا سهواً أو قصداً . فهو قول يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط .

لذلك يقول عيسى ﷺ: إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط . فأما أن انطلقت أرسلته لكم . {فعلقٌ بمجيئه بذهابه . وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين فى حضوره لما أرسلهم إلى البلاد الاسرائيلية . فنزوله ليس مشروط بذهابه . فلا يكون مراراً بفارقليط، بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده، وكان مجيئة موقوفاً على ذهاب عيسى ﷺ .

ان عيسى ﷺ يقول عن محمد ﷺ: {ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع} هذال يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو إسرائيل . فاحتاج عيسى ﷺ أن يقرر حال صدقه، فقال هذا القول، ولا مجال لمظنة التكذيب فى حق الروح النازل يوم الدار، على أن هذا الروح عين الله فلا معنى لقوله بل يتكلم بما يسمع .

هذا غير ما جاء فى التوراة ومن شاء فلينظر إلى كتاب محمد نبى الأسلام فى التوراة والإنجيل للمستشار محمد عزت طهطاوى .

فإذا أضفنا نصوص إنجيل برنابا الذى لم تعترف به الكنيسة سواء الشرقية أو

الغربية لأسباب الجميع يعلمها وحيث يصرح بعدم صلب المسيح والأنباء عن الرسول القادم ﷺ . لتأكدنا مالا يدع مجالاً للشك ولو للحظة واحدة صدق القرآن الكريم . ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف:٦] .

نصف آية أوردها القرآن الكريم جمعت بإختصار حياة المسيح بداية من بعثه برسالته ثم فحوى دعواه . وفى تكملة الأية موقف بنى إسرائيل منه . وأن هذه الدعوة التى جاء بها عيسى كانت لبنى إسرائيل ولم تكن دعوة عالمية وكما يحلو للبعض أن يقول ذلك .

ويضع الدكتور موريس بوكاى النقط على الحروف لإنهاء هذا الجدل الذى تحاول فيه النصارى مداراته أو غض البصر عنه، فيقول: {إن يوحنا هو المبشر الوحيد الذى سرد ما حدث فى نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه، أى آخر أحاديثه مع الحواريين، وينتهى هذا الحدث بخطبة طويلة .

فإنجيل يوحنا يفرد أربع أصحاحات {من ١٤ ـ ١٧} لتلك الرواية التى لا نجد لها أثراً فى الأناجيل الأخرى . ومع ذلك فهذه الإصحاحات من إنجيل يوحنا تعالج مسائل أساسية وآفاق مستقبل ذات أهمية بالغة وهى معروضة بكامل العظمة والجلال الذين بميزان هذا المشهد لو داع السيد لتلاميذه .

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل متى ومرقس ولوقا لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى: هل كان النص موجوداً أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد؟ ولماذا؟ ولنقل فوراً إنه لا يمكن الإتيان بأية إجابه .

فاللغز مستغلق تماماً بالنسبه لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين

إن ما يسود الرواية ـ وهذا مفهوم فى حديث أخير ـ هو مستقبل البشر الذى يتحدث عنه المسيح واهتمام السيد بالتوجه إلى تلامذته وإلى الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه . إن نص إنجيل يوحنا ـ وهذا النص وحده ـ يسمى بشكل صريح هذا المرشد

باسم يونانى هو {parakletos} الذى أصبح فى الفرنسية {paraciet } . وها هى الفقرات الجوهرية من هذه الخطبة حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

{إذا كنتم تحبوننى فستعملون على اتباع أوامرى . وسأصلى للأب الذى سيعطيكم {paraclet} آخر{ ١٤، ١٥، ١٦} .

ما معنى هذه الكلمة {paraclet} ؟ إن النص الذى نملك حالياً لإنجيل يوحنا يشرح معناها بالألفاظ التالية . :

{الـ paraciet} الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى سيبلغكم كل شيئ وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم {١٤، ٢٦} {هو نفسه سيشهد بى {١٥، ٢٦} .

{رحيلى فائدة لكم، لأننى إذا لم أرحل فالـ {paraclet} لن يأتى إليكم، وعلى العكس فإذا رحلت فسأبعث به إليكم وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم . {١٦ـ ٧ـ ٨} .

{وعندما سيأتى روح الحقيقة، فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها، لأنه لن يتكلم بإرادته وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى . وسيمجدنى . } {١٦، ١٣ ـ ١٤}

{ويلاحظ أن الفقرات التى لم تذكر هنا من الاصحاحات ١٤ إلى ١٧ من إنجيل يوحنا لا تعدّل مطلقا من المعنى العام للفقرات المذكورة} .

وإذا قرأنا بسرعة فإن النص الذى يثبت تطابق حكمه {parakletos} اليونانية على الروح القدس لا يجذب الإنتباه فى كثير من الأحيان وخاصة أن العناوين الثانوية للنص المستخدمة عموماً فى الترجمات بالإضافة إلى الفاظ التعليقات المقدمة فى كتب التعليم العام .

نوجه القارئ نحو المعنى الذى تريد الروح التقليدية إعطاءه لهذه الفقرات . وإن حدث وصادف القارئ أقل صعوبة فى الفهم، فالتحديدات موجودة كتلك التى يعطيها {المعجم الصغير للعهد الجديد . للأب {تريكو} وهى تعطى كل التوضيحات فتحت عنوان {paraclet} كتب المعلق: {هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية إلى

الفرنسية غير مستخدم فى العهد الجديد إلا فى إنجيل يوحنا . فهو يذكر الكلمة أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد العشاء الأخير {١٤،١٦،١٦،٢٦،١٦،٧} ومرة واحده فى رسالته الأولى {٢،١} . إن الكلمة فى إنجيل يوحنا تنطبق على الروح القدس، أما فى الرسالة فهى تنطبق على المسيح . لقد كانت كلمة {paraclet} سائدة لدى اليهود الهللنستيين فى القرن الأول بمعنى الوسيط .

والمدافع . فالمسيح يعلن أن الروح سيرسل بالأب والإبن فى دوره الإنقاذى الذى يؤديه فى أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلامذته . إن الروح يتدخل ويعمل كبديل للمسيح بإعتباره {paraclet} . أو وسيط قادر على كل شيئ .

إذن فهذا التعليق يجعل من الروح القدس مرشداً أسمى للبشر بعد إختفاء المسيح، فهل يتفق مع نص يوحنا؟

لابد من طرح المشكلة . فمبدئيا يبدو غريباً أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة المذكورة أعلاه والتى تقول: { لن يتكلم بإرادته وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى .

يبدو أن من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان أن يتحدث وأن يقول ما يسمع . وفى علمى أن هذه المسألة التى يوصى المنطق بطرحها ليست عموماً موضوع أى تعليقات .

ولكى تكون لنا فكرة صحيحة عن المشكلة يجب الرجوع إلى النص اليونانى والأساسى وهذا أمر يساوى فى أهميته الإعتراف بأن يوحنا قد كتب باليونانية وليس بلغة أخرى . إن النص اليونانى الذى رجعنا إليه هو نص { Novum Testamntum Graece} طبعه نستلى والأند {١٩٧١} .

إن أى نقد جاء للنصوص يبدأ بالبحث عن الإختلافات النصية . ويظهر هنا أن ليس فى مجموع المخطوطات المعروفة لإنجيل يوحنا نص آخر مختلف من شانه أن يحرّف المعنى سوى تلك الفقرة {١٤،٢٦}من المخطوطة السريانية الشهيرة المسماة بـ {pahmpseste} {وهى مخطوطة كتبت فى القرن الرابع أو الخامس واكتشفها {أنيس س لويس} ١٨١٢ بدير سيناء. وتحمل المخطوطة هذا الأسم لأن النص الأول كان مغطى

بنص آخر وعندما مُسح هذا الأخير ظهر النص الأول} وفي هذه المخطوطه لا تشير إلى الروح فقط وإنما إلى الروح القدس . فهل هذا مجرد نسيان من قبل الناسخ أو أنه لم يجرؤ على كتابه ما بدا له أنه أمر غير معقول في مواجهة هذه الملاحظة وبعض الإختلافات النحوية التي لا تغير شيئاً من المعنى العام للنص، ليس هناك مجال للإصرار على إختلافات نصية أخرى . وما يهم هو أن المعروض هنا عن الدلالة المحددة لفعلى {يسمع} و{يتحدث} يسرى على كل مخطوطات إنجيل يوحنا ومن ضمنها الحالة المعنية هنا .

إن النقط القادمة أو السطور القادمة أرى أنها أهم نقطة علمية في الجزئية في كتاب بوكاى لأنها نقطة علمية لم يصل إليها باحث من قبل، لا تقبل جدل أو فلسفة، لأن الطبيعى أن العلم يتعارض مع الفلسفة . فيقول بوكاى: {فعل يسمع {entendre} في الترجمة الفرنسية هو فعل {Akouo} باليونانية ويعنى إستقبال أصوات . وقد أعطى الفعل اليونانى، على سبيل المثال، كلمة {Acoustique} بالفرنسية، {Acoustics} بالإنجليزية وتعنى علم الأصوات .

أما فعل {يتحدث Parler} في الترجمة الفرنسية فهو فعل {Laleo} باليونانية ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام، ويتكرر هذا الفعل كثيراً في النص اليونانى وذلك للإشارة إلى التصريح الجليل للمسيح في أثناء تبشيره . يبدو إذن أن الأتصال بالناس المقصود هنا لا يكمن مطلقاً في إلهام من عمل الروح القدس .

إنما هو ذو طابع مادى واضح، وذلك بسبب مفهوم إصدارات الصوت وهو المفهوم المرتبط بالكلمة اليونانية التي تعرفه .

الفعلان اليونانيان {Akouo، Laleo} يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام، وبالتالى فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن . إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا، كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية . غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه في تمامه من كلمتى {الروح القدس} في الآية ٢٦ من الإصحاح ١٤ وهى: {Paraclet} الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى ... الخ. إنها الجملة الوحيدة في إنجيل يوحنا التي تثبت تطابقاً بين {Paraclet} والروح القدس .

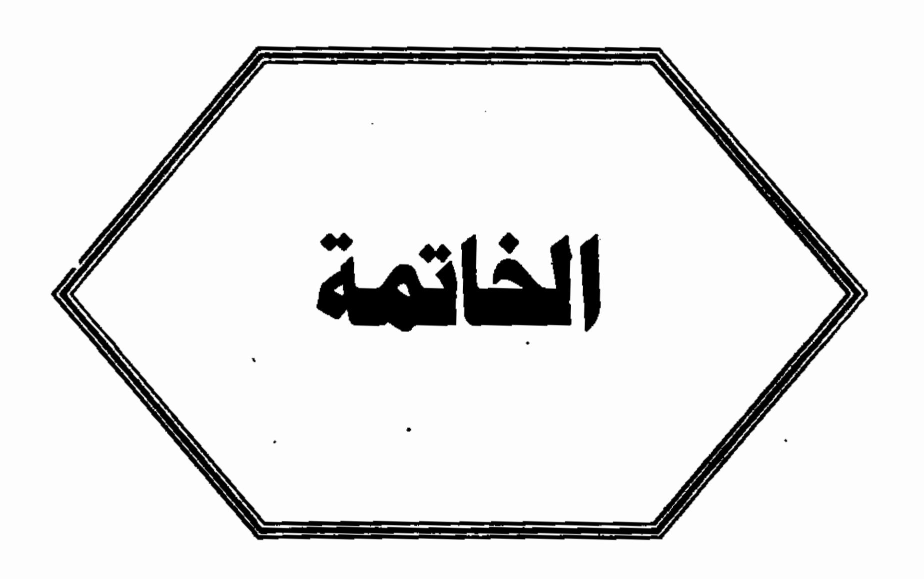
ولكن إذا حذفنا كلمتى الروح القدس {To Pneuma To Agion} من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح . ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا . وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم نفس هذه الكلمة Paraclet للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله .

وعندما يقول المسيح، حسب إنجيل يوحنا {١٦، ١٤} : {سأصلى لله وسيرسل لكم Paraclet آخر} ، فهو يريد بالفعل إنه سيرسل إلى البشر وسيطاً {آخر} كما هو وسيط لدى الله وفى صالح البشر فى أثناء حياته على الأرض .

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن فى Paraclet عند يوحنا كائناً بشرياً مثل صيح يتمتع بحاستى السمع والكلام . وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع . إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا ولنقل باختصار إنه دور نبى يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته .

إن وجود كلمتى {الروح القدس} فى النص الذى نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض، بإعلانها بمجئ نبى بعد المسيح، مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء .

إلا أن الدكتور بوكاى ربما لا يعلم إن إضافة أخرى قد حدثت فى الأناجيل المتداولة بين أيدينا الآن وهى كلمة {المعزى} . فلهم الحق فى الإضافة والحذف والتعديل والتبديل ثم يقولون هذا بإلهام الوحى .. أليس كذلك يا عزيزى الدكتور منيس؟


الخاتمة

الخاتمة

هكذا نصل بالقارئ إلى خاتمة الكتاب، أثبتانا فيها أن العهد الجديد لا أصل له ولا سند وكل ما كتب إنما هو مجرد مذكرات كتبها عشرات بعضها مجرد رسائل مثل إنجيل لوقا ورسائل بولس .. لو قورنت بما قاله السيد المسيح أو أمر به فكل في إتجاه يختلف عن الآخر مائة وثمانين درجة .. وإنى سائل الدكتور منيس . هل حقاً كان هناك في بدايات الدين وفي حياة الحواريين من هم موحدين حقاً؟ .

قلنا فيما سبق أن الحواريين لم يكونوا يعرفون مسألة التثليث حتى اخترعها بولس . إلا أننا إذا ذهبنا بعد ذلك إلى القرن التاسع عشر كما تعترف موسوعة تاريخ الكنيسة كانت ردود الأفعال ما بين الرفض الفورى أو الدراسة المتأنية كان هناك أمثال هكسلى الذين تركوا الكنيسة ببساطة لاعتقادهم أنه لم يعد بعد أساس منطقى للإيمان المسيحى . وظهرت طائفة تكونت فعلاً وهى طائفة المذهب العقلانى رفضوا عقيدة الثالوث وكان مذهب التوحيد هو التعليم الأساسى كذلك يعتبر أشهر الموحدين فى القرن السابع عشر فى انجلترا هو {جون بيدل} ١٦١٥ ـ ١٦٦٢، وبحلول القرن الثامن عشر كان مذهب التوحيد ـ تحت تأثير التنوير قد بدأ فى شن غارات إعلامية خطيرة بين طائفة المعمدانيين وطائفة المشخيين فى عام ١٧٧٣ انسحب {ثيوفيلوس ليندسى} من الكنيسة الانجليكانية ليؤسس كنيسة موحدة، وقد أرغم جوزيف بريستلى المشارك عن قرب ليندسى على الهجرة إلى أمريكا وبعد صراع طويل اعترف البرلمان الانجليزى أخيراً بالكنيسة الموحدة كطائفة فى ١٨١٣[1] .

وكان {وليم إيليرى شانينج} ١٧٨٠ ـ ١٨٤٢ من أبرز الموحدين من بوسطن، وكان واعظاً فى الكنيسة المستقلة وأنكر شانينج عقيدة الثالوث وأنكر عقيدة الخطيئة الموروثة[2] .

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ ج٥ .
(٢) المصدر السابق .

كاهن ينكر إيمانه

أثرت هذه الإنكارات على الحياة الدينية حتى فى فرنسا وكان واضحاً فى شهادة كاهن تخلى عن إيمانه قال: {هل يوجد فى الطبيعة إنسان تبلغ درجة قساوته أن يعذب وبوحشية أى كائن ذى حس مهما كان؟ إستنتجوا إذن أيها اللاهيوتيون أنه طبقاً لمبادئكم الخاصة يكون إلهكم أشر من أكثر الناس شراً بصورة لا نهائية، لقد جعل الكهنة من الله كائناً سيئ القصد مفترساً .. حتى أن قليلين من الناس فى العالم هم الذين يتمنون وجود {الله} . أى أخلاق تكون لنا إذا نحن اقتدينا بهذا الإله حقاً . إن فى العالم دلائل كثيرة على التخطيط الذكى . لكن فى المقابل ألا تكون علامات بنفس القدر على أن هذه العناية الإلهية . إذا كان لها وجود . قادرة على أعظم الإساءات الشيطانية . إنما أرى الجنس البشرى مشغولاً باستمرار فى حماية نفسه من شر أحابيل هذه {العناية الإلهية} التى يقال إنها مشغولة فى الإهتمام بسعادتهم[1] .

مجمع نيقية لم يتم تسجيله

يعتبر مجمع نيقية العمود الأساسى والمسيحيون لا يعترفون إلا بالتناقل الشفهى فهم لا يعترفون بالواقع !.. إن الجمهور فى البلاد اللاتينية لا يزال يعلل بهذه النظريات أغراضه عن دراسة أصول المسيحية والكنسية وجهله بمناهجها وبالمسائل التى تثيرها والنتائج التى تحققها . ولا تزال مواقف الهيئات المشرفة على التعليم تقوم حافزاً على سوء الظن . بهذه الدراسات . ففى فرنسا لا نجد إلا ثلاث كراسى لتدريس التاريخ المسيحى، ولا يمكن أن يتطور الأمر إلا بتطور الأفكار السائدة فى التعليم الثانوى، فشبابنا يصل إلى المرحلة الجامعية ولم ينبه تنبيهاً كاملاً إلى أهمية تلك المسائل التى وإن كانت تفرضها البرامج الدراسية ويحتمها الحياد العلمى فإن اتجاهات السلطات الرسمية والرغبة العامة لدى الأساتذة تؤدى إلى محاولة التستر عليها لا إلى بحثها .

إن أول الصعاب التى تواجه هذه المنهجية هى النصوص نفسها، تمتاز عن سائر النصوص الأخرى {بضعف السند} ـ لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة ـ هى تلك التى إحتواها {العهد الجديد} والتى استلزمت، قبل إمكان الإعتقاد عليها،

(١) تاريخ الكنيسة ـ ج٥ .

تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولاً بعد الإنتهاء منه، ولم يكن فى المقدور لفترة طويلة من الزمن أن نستخرج العناصر والأسانيد إلا منها . بحيث اضطر المفسرون ـ من أجل تفهمها ـ إلى ترتيب المعانى وتهيئة الحواشى والتعليقات، ولجأوا ـ حينما أرادوا التسامى بالفكر فوق النصوص ـ إلى النظريات والفروض . ويالها من ضرورة مؤسفة مازال هؤلاء المفسرون يخضعون لامتحانها فى الكثير من الظروف، بل نرى فئة كبيرة منهم تقبلها راضية، والتحقيق النقدى فى طريقه إلى الإثمار، أن يكتشف وثائق قاطعة فى المعانى المختلف عليها، أو تظهر نظريات وآراء جديدة فنرى مثلاً تفسيرات فى أناجيل الأروثوذكس قد حذفت فى تفسيرات الكاثوليك أو البروتوتسانت أو حذفت فى الطبعة الشعبية العامة، فيعود الباحث من حيث بدأ، مقيماً عمله النقدى على أسس مختلفه . ومثال ذلك نجد صلاة منسى النبى فى الأورتوذكس قد حذفت فى الكاثوليكية؛ لذا يقول شارل جنيبر فى كتابه: فى القرن الرابع، وعصر انتصار الكنيسة، كتب الكثير عنها أو ضدها، كتبه أعداؤها من المشركين أو من أنصار الفرق المختلفة . وأغلب هذه التآليف قد إندثر وضاع . ولم يبق منها سوى النذر اليسير الذى لا يدل إلا على عظم الخدمات التى كان يمكن أن تؤديها لو حفظت لنا . إن التاريخ المسيحى خلال هذه القرون الثلاثة التى تكونت فيها الكنيسة ـ إذا قورن بأى فرع من فروع التاريخ العام فى الفترة عينها ـ لا يحظى بأى نصيب من الأسس المكتوبة الثابتة: فهو يقتصر فى غالب الأمر على دراسة مؤلفات أهل الجدل أو الأنصار المتعصبين معتمداً على تصحيحها بروايات مشكوك فى أمرها، تريد أن تكون تاريخية، ولكنها فى الواقع قد حررت فى عهود تبعد كثيراً عن الأحداث التى تتناولها والتى لا يكاد الناس يفهمون تسلسلها[1] .

المفاجأة الخطيرة والتى أعتبر أن لها دلالة أخطر من :

إلا أننى أكتب وبتوفيق من الله ﷻ قوله: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران:٦٩] .

المفاجأة ذاتها هى أن كل ما قيل عن المجمع المسكونى الأول وهو ما يطلق عليه مجمع نيقية ٣٢٥م الذى عقد فى عهد قسطنطين والذى تحدد على أساسه عقائد

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارل جنيبر

الأناجيل والتثليث ومحاكمة آريوس لم توثق عنه كلمة واحدة!! وذلك باعتراف موسوعة تاريخ الكنيسة نفسه وحيث يقول جون لويمر: ليس لدينا سجل عما جرى فى جلسات مجمع نيقية . فقد دارت المساجلات لعدة أيام، بين آريوس ويوسابيوس أسقف نيقوميدية وأتباعه من طرف، واسكندر أسقف الأسكندرية ورفاقه من الطرف الآخر . وظهر فريق ثالث بقيادة يوسابيوس القيصرى أسقف قيصرية ومؤرخ الكنيسة[1] .

ولكن أى مشكلة فى هذا وأن هناك {١٩٠} نصاً فى الأربعة أناجيل اختلفت كل منها عن الأخرى ولم تتفق الأربعة أناجيل سوى فى {١٥} موضوعاً . بل إن غالبية أعمال الرسل خاصة ما يخص بولس وضعت على قواعد وهمية واختراعات كاذبة . وليعذرنى القارئ المسيحى فأنا لا أتكلم من عندياتى بل أنقل إليه نصوصاً من الكتاب المقدس ليعلم أى حشو يملؤن به عقله يتناقض مع نفسه ليقرأ ويتأمل ففى سفر أعمال الرسل الإصحاح ٢١ العدد ٣٠ وعند عودة بولس إلى أورشليم ودخوله المدينة حيث هاج عليه اليهود ولنذهب إلى النص: {فهاجت المدينة كلها، وتراكض الشعب وامسكوا بولس وجروه خارج الهيكل وللوقت أغلقت الأبواب . وبينما هم يطلبون أن يقتلوه، نما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد اضطربت . فللوقت أخذ عسكراً وقواد مئات وركض إليهم . فلما رأوا الأمير والعسكر كفوا عن ضرب بولس .

حينئذ اقترب الأمير وأمسكه ـ ثم يستطرد الإنجيل حتى نصل إلى العدد ٣٧ ـ: {وإذ قارب بولس أن يدخل المعسكر قال للأمير: أيجوز لى أن أقول لك شيئاً؟ فقال: أتعرف اليونانية؟ أفلست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة؟ وأخرج إلى البرية أربعة الألاف الرجل من القتلة؟ . فقال بولس: {أنا رجل طرطوسى . من أهل مدينة غير دنية من كيليكية والتمس منك أن تأذن لى أن أكلم الشعب . فلما أذن له، وقف بولس على الدرج وأشار بيده إلى الشعب . صار سكوت عظيم . فنادى باللغة العبرانية قائلاً: {أيها الرجال الإخوة والآباء . اسمعوا احتجاجى الآن لديكم} . فلما سمعوا أنه ينادى لهم باللغة العبرانية أعطوا سكوتاً أحرى . فقال: {أنا رجل يهودى ولدت فى طرطوس كيليكية، ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدباً عند رجلى غمالائيل على تحقيق

(١) تاريخ الكنيسة ج٣ ـ جون لويمر .

الناموس الأبوى . وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعاً الآن . واضطهدت لهذا الطريق حتى الموت . مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء، كما يشهد لى رئيس الكهنة وجميع المشيخة، الذين أخذت أيضاً منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ـ ثم يكمل بولس القصة وذهابه إلى وقصة تحوله بعد أن ظهر المسيح له فى الطريق وحتى نصل إلى العدد ٢٢ الإصحاح ٢٢: فسمعوا له حتى هذه الكلمة ثم رفعوا أصواتهم قائلين: خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لا يجوز أن يعيش . وإذ كانوا يصيحون ويطرحون ثيابهم ويرمون غباراً إلى الجو، أمر الأمير أن يذهب به إلى المعسكر، قائلاً أن يفحص بضربات، ـ {أى يضرب} ـ ليعلم لأى سبب كانوا يصرخون عليه هكذا .

فلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المئة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه؟ فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً: انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل؟ لأن هذا الرجل رومانى . فجاء الأمير: أما أنا فبمبلغ كبير إقتنيت هذه الدعوية . فقال بولس: أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه . واختشى الأمير لما علم أنه رومانى، ولأنه قد قيده .

وهكذا وضع بولس اللبنات للكذب إما لتغيير العقيدة أو الهروب من مأزق ووضع نظريات عجيبة مثل ما فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح ٢ العدد ٧: {بل نتكلم بحكمة الله فى سر الحكمة المكتومة، التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد . بل كما هو مكتوب: ما لم تر عين، ولم تسمع إذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه} . وهى فقرة مضافة لأن هذه الفقرة لم توجد فى أى عهد قديم .. بل أضيفت بعد الرسالة المحمدية لأنها أخذت من حديث رسول الله ﷺ فى وصفه للجنة {فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر} . ولو أعددنا كمية الأكاذيب التى قالها بولس سواء فى أعمال الرسل أو رسائله لرأينا مدى الاختلافات الخطيرة بين الاختلافات العقيدية فى الكاثوليك والبروتوستانت وكأن بولس هذا غير ذاك .

إن هذه الإختلافات قد اعتبرتها كل طائفة بطريقة ما وكأنها من لوازم سيرة عيسى، وكأنها حقيقة لا شك فيها، واسترسل الكثير فى سذاجته وطيب مشاعرهم،

فأصبحوا لا يفرقون بين الحقيقة والخيال، أو بين الواقع والتدقيق العلمى لخيالات الآباء الأولين، فالمسألة لا تعدو اغتيالاً للتاريخ وهؤلاء الآباء لم يدركوا ذلك، وأصبحوا لا يفرقون بين الحقائق والخيالات حتى ولو أرادوا ذلك .. فقد وضع من سبقهم هذا . وأصبح تحمسهم لا يدع لهم مجالاً للتهيؤات فكل من يريد ما عليه سوى أن يملى على نفسه أو على غيره اتصالاً خيالياً مباشراً بالروح القدس لتؤخذ القضية فرضاً واجباً لا يجرؤ أحد على المجادلة أو المناقشة . ولنا مثال: {ولما صلّوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه، وإمتلأ الجميع من الروح القدس}[1] . وكما قلنا من قبل أن نزول الروح القدس هى لعبة يتخذونها وقتما يشاءون حتى أن بولس نفسه ساوى معجزاته بمعجزات السيد المسيح فأشفى من أشفى وحتى أنه أحيى الموتى {انظر الإصحاح ٢٠ بداية من العدد ٩} . وحتى أنهم جعلوا من الروح القدس موهبة تنسكب على الناس: {فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة . فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً[2] .

وهكذا تم اغتيال التاريخ والحقيقة التى لم يعلم عنها أحد شيئاً . ولذلك أن تاريخ تدوين الأناجيل على صورتها التى بيدنا الآن، والذى فرض علينا العقيدة الخاصة ببعث عيسى والتى أصبحت الأساس الأول للمسيحية أن تبرز للناس فى إطار قوى مدعمة بأحاديث عيسى نفسه . حتى أن عيسى نفسه لم يقل أبداً أنه ابن الله، فهى كلمة لم يبدأ فى استخدامها سوى بولس ومؤلف الإنجيل الرابع . حتى أن أكثر مشاكل هذا التاريخ المسيحى غموضاً فى تلاقى الحواريون مع المسيح بالجليل، وظنوا أنهم رأوه هناك، ثم ظنوا أنه بعث من بين الأموات . كيف وما هى التفاصيل فلا أحد يعلم ذلك، وكان لابد من تدخل الأساطير لتفسير ذلك وهى قصص قد تعود إلى العالم الشرقى، وإذا كان علينا أن نعلم ألا ننسى أن المسيح لم يؤسس شيئاً، ولم يأت بدين جديد، ولا بأى طقس من طقوس العبادة ولم يأت سوى بإطار جديد من الديانة اليهودية، ولم يزعم قط

---

(١) أعمال الرسل: ٣١/٤ .

(٢) أعمال الرسل. ٤٤/١٠ـ٤٥ .

أنه يبغى التغيير من المعتقد اليهودى أو من شرعها وشعائرها[1] .

لذلك يؤكد الآب عبد الأحد داود الأشورى: {لو كان المسيح مأموراً بتأسيس دين لسار فيه على منهج واضح وخطة منتظمة، وكان الزمان والحال موافقين لمثل هذه الحركة إذ كان اليهود قد سئموا اختلاف الفرق الثلاثة، وكانوا فى انتظار ظهور المسيح . ولكن المسيح لم يعمل هذا، فلم يتخذ صديقاً حميماً من المجلس الملى {السنهردين} ولا أحد من كبار القوم فكيف أمكنه أن يحصل على انقلاب دينى بواسطة اثنى عشر رجلاً من الصيادين والعشارين؟ ماذا كان يتمكن أن يصنع بشرذمة من الناس الأميين الجاهلين ما لم يحصل عليه وظاهرة من الخواص؟ ولا يوجد فى شئ من الأناجيل الأربعة نبأ صريح عما إذا كان للمسيح منهج معين أم لا . بل كلها تبحث عن قرب ملكوت الله، ولا تبين بالصراحة ما هذا الملكوت، وهل يريد به تأسيس دين جديد أو دولة دنيوية مادية؟ ولكنها تؤمى إلى أن غايتها ونتيجتها أن الملكوت المنتظر يوحد الدين والدولة معاً . ولكن مع الأسف لم تعلم حينئذ ما هذه {البشارة} {الأمل} {الكلام} الذى يريده . يقول يوحنا {٢٩/١٦} إن المسيح إلى آخر ليلة كان يكلم تلاميذه بالأمثال، ووعد المرسل من طرف الله والذى سيأتى بعده سيفسر ويبين كلامه وإنجيله الحقيقى ـ إننا نفهم من الآيات الإنجيليه الآتية {يوحنا ١٤: ٢٦، ١٦، ٧} {لوقا ٢٤: ٤٩} مايأتى مما استنتج من تلك الآيات:

١} أن المسيح لم يعط الحواريين إنجيلاً مرقوماً فى كتاب .

٢} إن العقيدة والكلام الإنجيلى الذى علم به شفهياً لم يفهمه الحواريين، بل بقى من قبيل المعميات والألغاز .

٣} لم يتسن للمسيح أن يفهّم إنجيله وكلامه لتلاميذه فى هذه المدة الزمنية لذلك أخبر وبشر بمجئ واحد آخر[2] .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارب جينبر .

(٢) الإنجيل والصليب ـ عبد الأحد الأشورى .

رسالة أخيرة للدكتور منيس

والرسالة كانت مناظرة بين الآب عبد الأحد داود الأشورى والمرحوم السيد/ أحمد أفندى الموصلى ـ وزير العدل السابق فى العراق . وذلك قبل أن أقف على هذا الكتاب ببضع سنين، قال: لما كنت موظفاً صغيراً فى المحكمة الشرعية بالموصل، أرسلنى القاضى إلى المطران؛ لأجل تحرير تركة لبعض أيتام النصارى . ولما لقيته وجدت فى يده ورقة قد كتب عليها عدة أبيات من الشعر يظهر أنها من نظمه، لأن بعضها كان مشطوباً عليه وقد صححه بأحسن منه . فأحببت أن أباحثه لأطلع إلى مبلغ علم الرهبان من العربية .

وبهذه الوساطة حدثت بيننا صداقة سببت أن أزوره عدة مرات، بحثنا فى بعضها عن الدين، فوجدته مطلعاً على العلوم الإسلامية أيضاً . ولكننا لم نقف على شئ من بحثنا لأنه كان ينشر البحث إلى حد يضيع معه المقصود .

وبعد أن أمننى ووثق من حسن نيتى، عاتبته على عادته لنشره البحث، فقال وماذا تأمل من الجدال غير القيل والقال؟

قلت: وهل الحقيقة مفقودة من العالم؟

قال: إن وظيفتى توجب علىّ أن أتكلم هكذا مادمت راهباً، أم أنا فقد قرأت القرآن والتفسير وبعض كتب الحديث وسيرة النبي ﷺ وآمنت به إذ كنت فى سوريا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

قلت: وما يمنعك من إظهار إيمانك؟

قال: هل تريد أن أكون محضراً لديك فى المحكمة، وأترك هذا الاحترام والمنصب والسعادة والراحة؟ .

قلت: وهل يجوز لك أن تكتم إيمانك وأنت فى ديار المسلمين؟

قال: لا، ولكنى لا أميل إلى أكل أموال الناس بالباطل، فأنتظر أن أحصل على مبلغ ألف ليرة من الحلال، لأستعين به على العيش ونوائب الدنيا .

أنت تعلم يا عزيزى الدكتور منيس أن كل السماحات والخلق الكريم والحب الذى نادى به السيد المسيح والذى رفع شعار {أحبوا أعدائكم} لم يكن أبداً من شيم المسيحية الحديثة أو حتى بين الملل المختلفة .. وأن الحراب التى مزقت أحشاء شبان المسلمين فى الروملى قد هيجت نخوة شبان الهند، والبنات المسلمات اللائى هتكت أعراضهن وإفتضت بكارتهن بعدوان الوحشيين، واللائى ودعّن الحياة طاهرات الذيل وذهبن ضحايا العفاف .. وكثير لو بحثنا من خلال التاريخ لوجدنا ما يشيب معها شعر الولدان . بل ما فعله بعض الملل المسيحية بالملل الأخرى . ثم يتهمون الإسلام بالإرهاب . وليس لى سوى قاعدة من قواعد الفقه الإسلامى هو أن {درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة} والذى لا إله إلا هو إن المسلمين فى كل بلاد العرب يدرءون مفسدة محاولات الفتن التى تحاول بعض الفرق المسيحية إيقاد بذورها .. من افتعال المشاكل ـ تهييج أقباط المهجر ـ محاولات التنصير التى لا تكل ولا تمل . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أهم المراجع

١.	القرآن الكريم	
٢.	تفسير ابن كثير	الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير
٣.	القرآن والإنجيل والتواره	د. موريس بوكاى
٤.	وحي الكتاب المقدس	د. سامي نجيب محمد
٥.	هل القرآن معصوم	د. سامي نجيب محمد
٦.	حقيقة تاريخ العرب	د. محمد فتحي الريس
٧.	المسيحية نشأتها وتطورها	شارل جنيبر
٨.	التوراة تاريخها وغايتها	ترجمة سهيل أديب
٩.	كنوز التلمود	ترجمة محمد خليفة التونسى
١٠.	محاضرات فى النصرانية	الدكتور محمد أبو زهره
١١.	عقائد النصارى الموحدين	حسني يوسف الأطير
١٢.	المدخل إلى العهد الجديد	القس فهيم العزيز
١٣.	الأسفار المقدسة	د. على عبد الواحد
١٤.	قاموس الكتاب المقدس	د. يوسف
١٥.	موسوعة تاريخ الكنيسة	جون لويمر
١٦.	الدولة والكنيسة	د. رأفت عبد الحميد
١٧.	الفكر المصرى المعاصر	د. رأفت عبد الحميد
١٨.	تاريخ الأمة القبطية	د. بوتشر
١٩.	أبو كريفا العهد الجديد	د. إبراهيم سالم
٢٠.	برديات نجع حمادى	
٢١.	مروج الأخبار في تراجم الأبرار	بطرس قرماج
٢٢.	الإنجيل والصليب	د. عبد الأحد الأشورى
٢٣.	قصة الحضارة	ول ديورانت
٢٤.	الكتاب المقدس	طبعة بيروت

المؤلفات

١.	أوراق مبعثره	الدار العربية للطباعة والنشر
٢.	أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك	دار النشر والتوزيع الإسلامية
٣.	تعالوا إلي كلمة سواء	مؤسسة دار الشعب
٤.	طريق الجنة في ترك البدعه وإحياء السنه	دار الصفوة للطباعه والنشر
٥.	فقه أحمد بن حنبل في فكر ابن خلدون	دار النور للطباعه والنشر
٦.	بل الحجاب فريضة والحديث حجه	دار التقوى للطباعه والنشر
٧.	السيف المسلول على ناكر سنة الرسول	دار الصفوه للطباعه والنشر
٨.	هل القرآن معصوم؟	دار التنوير للطباعه والنشر
٩.	المسيح الدجال في الكتاب المقدس	دار الروضه للطباعه والنشر
١٠.	محمد والمسيح	دار الروضه للطباعه والنشر
١١.	وهمية الشبهات الوهمية في الكتاب المقدس	دار الروضه للطباعه والنشر
١٢.	إلا رسول الله	تحت الطبع

الفهرس


دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر